دراسات في تاريخ الجزيرة العربية

STUDIES IN THE HISTORY OF ARAB PENINSULA

قبيلة عنز بن وائل

جذور وحضور

منصور العسيري

MANSOUR AL-ASIRI

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ

دار الطنائي للنشر

دراسات في تاريخ الجزيرة العربية

قبيلة عنز بن وائل

جذور وحضور

منصور العسيري

دار الطنائي للنشر

قبيلة عنز بن وائل
جذور وحضور

المؤلف:
منصور الثبيت العسيري

الناشر: دار الطناني للنشر والتوزيع
خطوط الغلاف: الفنان الكبير حمام
التصميم الداخلي: عادل ندا
تصميم الغلاف : كريم مطاوع

الطبعة الأولى ٢٠١٦



٩ شارع المقاول - عابدين - القاهرة
رمز بريدى ١١٥٢١
تليفون: ٢٣٩١٣٦٢٢
فاكس: ٢٣٩٢١٥٩٠
www. tanany. com
tanany@tanany. com

العسيري، منصور الثبيت
قبيلة عنز بن وائل: جذور وحضور/ منصور الثبيت العسيري، ط١- القاهرة: دار الطنانى للنشر والتوزيع، ٢٠١٦
٣٥٨ ص، ١٤,٥×٢٢سم
تدمك: 978-977-6217-48-5
١- القبائل العربية
٢- الأنساب العربية
٣- العشائر العربية
أ- العنوان
٩٢٩,١
رقم الإيداع: ١١٢٤٠ / ٢٠١٦
ISBN: 978-977-6217-48-5

إهـــداء

إلى أخي بندر الثبيت العسيري

جزيل الشكر على ما زودني به من معلومات قيمة

منصور العسيري

المحتويات

المبحث الثاني: عنز بن وائل عبر التاريخ

المبحث الثالث: أعلام من عنز بن وائل



مُقَدِّمَة

موضوع هذا الكتاب الذي سنبحث معاً فيه هو عن بقية شعب استوطن إقليم عسير فيما بين جرش ونجران وتثليث وترج في العصور القديمة، وتمدد خلال ذلك جنوباً إلى الجوف وشبوة وما حولها، وشمالاً إلى بيشة وتبالة، وشرقاً إلى بلاد كندة حيث (الفاو) وما حولها، وغرباً في سهول تهامة إلى جزر فرسان، ثم رحل معظمه خلال القرن السادس الميلادي إلى بلاد هجر واليمامة وإلى العراق، وتمدد هنالك فيما بين بلاد الشام والعراق وتركيا واستوطن بعضه بلاد فارس وشمال أفريقيا، وبقي منه من بقي ضمن فرع من فروعه التي استقرت في منطقة عسير وهي قبيلة "عنز بن وائل" (موضوع الدراسة).

وقد اخترت دراسة تاريخ هذه القبيلة نظراً للفقر الكبير في دراستها، فلم يكن هنالك إلا إشارات متفرقة بعضها ذات اتجاه سلبي، فلا زال هنالك جهل كبير بهذه القبيلة وشك يخامر الكثير من أبناء عسير في صلتها بهم وببلادهم.

فمن أهم المواضيع التي أصبحت في حكم (شبه المحرمات) في منطقة عسير لعقود طويلة تاريخ قبيلة عنز بن وائل، والتي هي جزء أساسي من المكون البشري لهذه الأرض، وتمثل جزءا رئيسياً من هويتها.

فجل ما بين أيدينا من مدونات حول تاريخ هذه المنطقة تجاهلت هذه القبيلة، بل الكثير منها تجاوز وجودها، أو ادعى فنائها بالكامل، بينما تشير المصادر التاريخية إلى أن قبيلة "عنز بن وائل" تمثل محوراً رئيسياً للحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي المحلي في منطقة عسير.

وهذه الحساسية والنزوع إلى القطعية في الرفض أو الفرض، لا صلة له بسلوك هذه القبيلة، بل كله يتعلق بمفهوم "اليمنية العرقية" المتواتر في المدونات العربية منذ القرن

الثاني للهجرة، وهو مفهوم شككت في حقيقته الدراسات البحثية والأركيولوجية الحديثة بعد تفكيكها لنصوص النقوش في الجزيرة العربية وما حولها، واستحضارها للمدونات القديمة في المناطق الأخرى التي أظهرت حقائق مختلفة، بينما انعدم فيها أثر الروايات المدونة في المصادر العربية حول الأنساب والأعراق في جزيرة العرب، إلى أن سقطت فكرة اليمنية العرقية سقوطاً نهائياً مع ظهور الفحص الجيني كما سيأتي معنا في هذا الكتاب.

لذا، ففي هذا الجهد المتواضع، سنحاول إنصاف هذا الشعب وهذه القبيلة، وإعادة ولو جزء يسير من حقوقها المهدرة بقدر ما نتمكن منه، رغم معوقات البحث الكثيرة على إثر قرون من حالة المواجهة، ومحاولة تجاهل وجودها من كل الأطراف بما فيهم القبيلة ذاتها، كما سيرد من تفاصيل.

إن من سوء حظ الباحث في تاريخ هذه القبيلة أن لها حالة خاصة تنفرد بها بين القبائل العربية، فقد كانت "عنز بن وائل" عدنانية بين اليمنيين ويمنية بين العدنانيين.

فعنز بن وائل قبيلة نزاريَّة تحضرت واستقرت منذ وقت مبكر، واستوطنت منذ العصور الجاهلية الأولى في بلاد تعد من أخصب المواقع في الجزيرة العربية، وأغزرها مطراً، وأطيبها هواء، وهو ما قلص من هجرة أبنائها إلى خارج بلادهم، حيث مقر المراكز الإسلامية في بغداد والكوفة والبصرة ودمشق ومصر وقرطاجة والأندلس، وحيث بدأ تدوين التاريخ العربي، فرغم وجود عدد من أبنائها في هذه المراكز وظهور أعلام من هذه القبيلة في تلك البلاد، فإن تواجد من كانوا هنالك لم يكن سوى امتداد لمشاركة أجدادهم في الفتوحات الإسلامية، لذا فإن هذا التواجد لم يكن يوازي وجود قبائل أخرى كقبائل البادية التي هاجر جزء كبير منها أو ربما هاجرت بكاملها إلى هنالك خلف مصادر الحياة، أو تلك القبائل المستقرة التي تعاني من شح المصادر في بلادها الأساسية، فهاجرت إلى حيث تتوفر هذه المصادر.

وهذه الأثرة التي كانت تحظى بها قبائل عنز بن وائل في موطنها أدت بالمحصلة إلى ضعف وجود هذه القبيلة في المراكز الإسلامية الشمالية – حيث كُتِبَ التاريخ – مقارنة بالقبائل الأخرى.

وعلى الجانب الآخر، فإن عنز بن وائل كانت بلادها تقع في الجزء الجنوبي من الحجاز

وتجاورها قبائل ممن حسبت على اليمنية - حسب تقسيم القبائل العربية الذي برز للوجود خلال العصر الأموي - والتي كانت تحيط بها من كل جانب، ومن ثم فإن العنزيين منذ انتشار المدونات حول الأنساب في القرن الهجري الثاني أصبحوا غرباء في كل مكان، فهم يمنيون في البصرة والكوفة ودمشق، ولكنهم معديون وبالتالي فهم عدنانيون في بلادهم في نظر مجاوريهم المحسوبين على (القحطانيين)، ومن ثم فقد كان لهذا الغياب عن مراكز التدوين والكتابة في المراحل الأولى والحضور السلبي في بلادها أثره على تسجيل أحداثها وأعلامها وشعرائها بطريقة موضوعية، كما أن كثرة الحروب مع مجاوريها أدى في النهاية إلى أن تتخلى عنز بن وائل عن وحدتها القبلية منذ منتصف القرن السابع، وبدأت بطونها في إفراد انتمائها عن القبيلة الأم، للخروج من تاريخها المثقل بالنزاع مع المجاورين، خاصة بعد تعرض بلاد القبيلة والمجاورين لحادث الوباء في نهاية القرن السادس للهجرة.

في هذا الكتاب حاولت أن أوضح هويَّة "عنز بن وائل" من ناحية النسب والوطن، وعلاقتها بمنطقة عسير بشكل جلي، بل والبحث في جذورها الأولى حيث مواطن القبيلة الأم "ربيعة" التي كانت تقطن في نفس البلاد، مستوعبة لمواطن "عنز بن وائل" التي عرفت بها منذ العصر الجاهلي، والبحث في تاريخها وأحداثها وحقيقة هذه الأحداث من خلال استقراء شامل للوضع ما قبل وأثناء وما بعد هذه الأحداث، والبحث في أعلام هذه القبيلة.

كما حاولت التنبيه إلى ضرورة إعادة تقييم الكثير من المفاهيم السائدة حول الأعراق والجغرافيا التاريخية لأحداث القبائل العربية، لتعارضها مع دلالة الإشارات التلقائية الجانبية الواردة في المصادر التاريخية، وفي الشعر الجاهلي، وقد استحضرت في هذا الباب أيضاً ما توصل له الكثير من الباحثين الذين تم الإشارة إليهم هنا، كل بطريقته، كما عمدت إلى استحضار نتائج ما يرد في مواقع الفحص الجيني مثل شركة (فاميلي تري) (family tree)، والمواقع المتخصصة في هذا الشأن، من نتائج فحص، ومشجرات، ومشروعات، وبحوث ميدانية، ونظريات، وفرضيات علمية، نظراً لأهمية نتائجها وحسمها في هذا الخصوص.

وقد شكلت الظروف السياسية القائمة في مرحلة كتابة هذا الكتاب خاصة في دولة

اليمن الشقيق المجاورة للموقع، أهم معوقات الكتابة خلال هذه المرحلة، إذ نتوقع أن تكون في دور الوثائق اليمنية المزيد من الإشارات - بين ثنايا الوثائق المختبئة والتي لم تلمس بعد - إلى بعض أحداث هذه المنطقة، من خلال سردها للأحداث هنالك وما ينتج عنها من لجوء بعض الأطراف إلى المناطق المجاورة، فمع أنني قد تمكنت من الحصول على بعض الوثائق الخاصة والمراجع أثناء الأحداث عن طريق بعض الأصدقاء هنالك، إلا أنه سيظل هنالك عجز في الوصول إلى كل المصادر ما لم تصل أنت بذاتك.

ولأن نتائج البحث تسير في عكس اتجاه التيار العام، لذا كان لا بد من تعرية خطأ المعلومة السابقة، لإيصال الجديدة، وهو ما استلزم إمعاناً في تفتيش المعلومة، ووضع الفرضيات، وتقليبها بين يدي القارئ، للوصول إلى ما وراء ظاهرها، وقد نجد من يعترض على هذا النمط من الكتابة مدعياً بأن الموضوعية في كتابة التاريخ تتلخص في نقل المعلومات من كافة المصادر إلى المدونة وترك الحكم للقارئ، وهذا عمل أراه ناقصاً، فمهمة الباحث في التاريخ استقراء النصوص وليس قراءتها، ولست مبتدعاً في هذا الرأي، فلي فيه سلف كثير، وأشير هنا إلى حديث لعبدالوهاب المسيري في هذا الخصوص في أحد كتبه نستخلص منه قوله: "من الضروري أن نميز بين الموضوعية السلبية من جهة، والموضوعية الاجتهادية الإيجابية من جهة أخرى".

من هذا المنطلق، فقد حرصت في هذا الكتاب على تحاشي الانسياق خلف نمطية إيصال المعلومة صامتة كما هي إلى القارئ، وتجاوز هذا النوع من العلاقة السلبية بين الطرفين، إلى علاقة حيَّة، يُستدرج القارئ فيها إلى المشاركة في استثمار المعلومة الاستثمار الأمثل، للكشف عن الحقيقة التاريخية، وما وراءها، بعيداً عن حسابات اتجاه الريح.

وأسأل الله التوفيق والسداد.

منصور بن أحمد الثبيت العسيري

جدة، ٥ أبريل ٢٠١٦

المبحث الأول

عنز بن وائل
الهويّة والوطن

الفصل الأول

الهويَّة

أولاً: عنز بن وائل - المسمى

أختلف الأخباريون والرواة حول مسمى "عنز" من جوانب عدة، كطريقة النطق، وحقيقة الاسم، وملابسات التسمية.

وسنبدأ هنا بعرض تباين الآراء حول طريقة نطقه، إذ اختلفوا حول ذلك، فمنهم من نطقه بالفتح "عَنَز"، ومنهم من نطقه بالسكون "عنْز"، وممن نص على أنه بالفتح محمد بن جرير الطبري، فقد نقل عنه السمعاني قوله "عنز بن وائل مفتوحة النون"[(١)]، ومنهم علي بن المديني، قال: "عامر بن ربيعـة من عنز - بفتح النون -"[(٢)]، ومنهم مرتضى الزبيدي، قال: "وعَنَزُ بنُ وائِلِ بنِ قاسِط بنِ هِنْبِ بنِ أَفْصَى بنِ دُعْمِيّ بنِ جَدِيلة بنِ أَسَد بنِ ربيعة: أَبو حَيّ، وهو بالفتح، وهو أَخو بَكْرِ بنِ وائِل"[(٣)]، وغيرهم، ولكن الكثير من الرواة

---

(١) السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، ط١ - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٤/ ص٢٥١ - ٢٥٢

(٢) ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل - بيروت، ط١ -١٤١٢هـ، ج٢/ ص٧٩٠

(٣) الحسيني، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي، راجعه عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج١٥/ ص٢٤٩

تذكره بسكون النون، وعلى رأسهم هشام الكلبي، ويلاحظ أن الحديث عن سكون النون عند الرواة والأخباريين عادة ما يوازي عملية التفريق بين العنزي من "عنزة بن أسد" والعنزي من "عنز بن وائل"، فيشيرون إلى أن الأولى بالفتح والثانية بالسكون.

والحقيقة أن الترجيح بخصوص صحة سكون النون أو فتحها في وقتنا الحالي - حيث لم يعد هنالك وجود للمسمى - فيه الكثير من الصعوبة، فما الحال ونحن أمام إشكال في حركة الحرف غير المنظورة، والتي لم تكن تدوَّن في المراحل الأولى من عصر التدوين، أي أنه لم يكن هنالك تفريق بين الحرف المفتوح والساكن كتابياً، ومن ثم فإن هنالك اختلاف ربما يكون قد حدث مع بدايات عهد التدوين وتطوره في قراءة المدونات بعيداً عن الواقع، خاصة وأن الحديث هنا عن قبيلة قليلة العدد في مواقع التدوين، ويتداخل اسمها كتابيا مع اسم قبيلة أخرى ذات صلة بها وهي "عنزة"، بل يقال أنها تداخلت معها بالفعل حتى اندمجت فيها، فتوارى اسمها عن التداول في مواقع التدوين الأولى في الشام والعراق.

ولا شك أن الاختلاف الواضح في فهم الرواة لطريقة نطق الاسم يدلنا على احتمال حدوث التحريف للنطق بطريقة أو أخرى، ولعله بدأ بغرض التمييز، فأشكل على الرواة الاتفاق على تحديد طريقة النطق بوضوح كما أوردنا، ومما هو معلوم أن تأثير التحريف والتصحيف على طريقة النطق الدارجة مع الزمن هو أمرٌ حادث بكثرة، ومن ثم فأي اللفظين واردةٌ صحته.

كما اختلف الأخباريون في حقيقة الاسم، فقد ذكر ابن الكلبي في "نسب معد واليمن الكبير" أن عنز بن وائل اسمه "عبدالله"، عندما قال:

"فولد وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة: بكراً، ودثاراً، وهو تغلب، وعبدالله وهو عنز، والشخيص، دخل في بني تغلب..."[1]

إلا أننا نجد ذلك يتناقض مع روايته التي أوردها في الجمهرة عن سبب التسمية،

---

(١) الكلبي، محمد بن هشام بن السائب لكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ص١٩

عندما ذكر أن والده كان يخرج من بيته عند مخاض زوجته فيسمي ابنه بما رآه فكانت أسماء أبناءه مشتقة من ذلك ومنهم عنز الذي سمي على أنثى الضباء[1] - كما سيأتي معنا نصه -، وهو ما يدل على أن المستفيض هو أن "عنز" و"بكر" و"تغلب" و"شخيص" هي الأسماء الأساسية التي سموا بها منذ الولادة.

كما أن الاسم السائد فعلاً هو مسمى "عنز" بن وائل، وقد عرفت سلالته ببني "عنز بن وائل"، ولم نجد أي إشارة إلى "بني عبدالله"، كما لم نجد في المصادر ما يحمل على أن اسمه عبدالله، سوى ما نقل عن الكلبي في إشارته تلك (الشاذة عن بقية رواياته)، وربما كانت تلك الإحالة والتشكيك في صحة مسمى أبناء وائل مجاراة للُّغة الدارجة في العراق والشام حينها.

فالراجح لدينا من خلال الاطلاع على المستفيض والمشهور في الموقع وخارجه ولدى الأخباريين أن اسمه هو "عنز" بن وائل، ولم نجد ما يدعم رواية الكلبي في المصدر الآخر ومن نقل عنه حول اسم "عبدالله".

وفي شأن تسمية "عنز"، ومعنى الإسم، فإن هنالك آراء بعضها تحمل سمة الغرابة، وبعضها معقولة إلى حد ما، ولا مراء في أنه بمثل ما هو متعذرٌ قبول كل ما ورد لدى الأخباريين من قصص وأساطير وروايات على علاتها دون مستند سابق، فإنه لا يمكننا أيضاً إنكارها بشكل قطعي لمجرد أنها دون مستند سابق، فلا يمكننا استبعاد المصدرية لبعض الروايات المتوارثة شفاهة، وإن كنا نؤمن بأن هنالك اختلاف لا بد منه في التفاصيل، قد يكون معقولاً في حالات، وربما امتد بعيداً عن الحقيقة في حالات أخرى، ولكننا قد نستطيع منابلة الرواية بالتحليل العقلاني المتوازن للوصول إلى النهاية المحددة،

---

(١) الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، (رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١ -١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣/ ص٤٨٥؛ وانظر أيضاً: السهيلي، عبدالرحمن، الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق وشرح عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، ط١ - ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج٣/ ص٣٦-٣٧

أو حيث منطقة تحوي كل الاحتمالات الممكنة، ومن ثم تحديد الموقف، وسنبدأ بإسقاط ذلك على موضوعنا هنا للوصول إلى المقاربة المعقولة.

من الملاحظ كثرة تردد اسم "عنز" بين العرب في عهودهم الجاهلية، فقد أورد الرواة تسلسلا لنسب عدنان (جد البني ﷺ)، وكان اسم جده الخامس "عنز"(١)، كما أن في هوازن قبيلة اسمها "عنز"(٢)، وفي الخزرج بنو "عنز" بن سالم بن عوف(٣)، وفي خزاعة الأزد "عنز"(٤)، وفي بني الأشعر "عنز"(٥)، ومنهم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري، وفي تجيب "عنز"(٦)، وفي عذرة "عنز"(٧)، ... وغيرها، قال الحسيني في تاج العروس: "عنز اسم رجل"(٨).

---

(١) الأغاني، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، التزم طبع الكتاب الحاج محمد أفندي سامي المغربي، قرب على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية، بتصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي، ص٧؛ وقد جاء فيه: "معد بن عدنان بن أدد بن آمين بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عنز بن سريج بن محلم... إلخ".

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، ج٣/ ص٨٨٧

(٣) الزركلي، خير الدين، موقع الوراق، ج٥/ ص٩٢

(٤) الحسيني، محمد بن محمد بن عبدالرزاق المعروف بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٥/ ص٢٤٨

(٥) انظر: ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل - بيروت، ط١ -١٤١٢هـ، ج ٤/ ص١٧٦٢

(٦) ابن عبدالبر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج٢/ ص٧٣٩

(٧) ابن عبدالبر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج٢/ ص٥٦٤

(٨) الزبيدي، مرتضى الحسيني، تحقيق الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي، راجعه عبدالستار احمد فراج، طبع بمبطبعة حكومة الكويت بإشراف لجنة من وزارة الإعلام الكويتية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج١٥/ ص٢٥٠

ومن خلال ما تقدم فإن اعتماد اسم "عنز" كإسم علم مذكر (رجل) لدى العرب، كما أورد الحسيني، وكثرة التسمية به، لدرجة حمل عدد من القبائل والبطون للاسم تجعلنا نعيد تقييم الثقة فيما ورد لدى المصادر التاريخية عن سبب تسمية عنز بن وائل بهذا الإسم، حيث جاء عند الكلبي حول تسمية وائل بن قاسط لأبنائه قوله:

"خرج وائل بن قاسط، وامرأته تمخض، وهو يريد أن يرى شيئاً يسمي به، فإذا هو ببكر قد أشرف، فرجع، فولد له غلام فسماه بكراً، ثم خرج مرة أخرى، فإذا هو بعنز من الظباء، فرجع، فولدت له غلاماً فسماه عنزاً، ثم خرج مرة أخرى، فإذا هو بشخيص قد ارتفع له، فرجع فولدت له غلاماً فسماه شخيصاً، ثم خرج مرة أخرى وهو يريد أن يرى شيئاً فغلبه فرجع، فولدت له غلاماً فسماه تغلب"[(١)]

فالإسم حسب الدلالة الضمنية لرواية الكلبي ومن نقل عنه هو استثناء، حيث تدل الرواية على أن والده (وائل) قد اتبع طريقة خاصة لتسمية أبناءه يحاكي بها ما صادفه في طريقه من الأشياء.

وتسمية الأبناء بأسماء الحيوانات هي من العادات المتعارف عليها لدى قبائل العرب منذ القدم، فقد جاء في كتاب "الاشتقاق" لابن دريد ما يلي:

---

(١) انظر:

- الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، (رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١ -١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣/ ص٤٨٥
- السهيلي، عبدالرحمن، الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق وشرح عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، ط١ - ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج٣/ ص٣٦-٣٧
- الأزدي، أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط١ - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج١/ (المتن) ص٦

"واعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها فمنها ما سموه تفاؤلا على أعدائهم".. إلى أن يقول: "ومنها ما سمي بالسباع ترهيباً لأعدائهم: نحو: أسد، وليث، وفراس، وذئب، وسيد، وعملّس، وضرغام، وما أشبه ذلك."[1]

فمحاكاة أسماء الحيوانات ومحاولة تشنيع أسماء الرجال هو من عادات العرب المعروفة - كما ذكر ابن دريد - والتي ظلت سائدة إلى عهدنا القريب، فنحن نجد في أسماء العرب الاوائل أسماءً على شاكلة "حمار"، و"كلب"، و"جرو"، و"ضبيعة"، و"جندب" و"هجرس"، و"ثور"، و"ثعلبة"، وغيرها، ولا زلنا نجد مثل هذه الأسماء سائدة في البوادي - وربما بعض الحواضر - حتى وقت قريب، مثل "ضفيدع"، و"خنيفس"، و"حنش"، و"ذيب"، و"قنيفذ" و"جريبيع"، وغيرها، بل إن عدداً من مشاهير وفرسان العرب وشعرائهم لهم مثل هذه الأسماء أو ما يوازيها في البشاعة، وقد سأل الأصمعي أحد الأعراب قائلاً: "لماذا تسمون أبناءكم بأسماء كريهة وتسمون مواليكم بأسماء جميلة"، فأجابه الأعرابي: "لأننا إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا لكي يرهبوهم، ونسمي موالينا لنا لكي يريحونا"، يقول القلقشندي: "الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء: ككلب، وحنظلة، ومرة، وضرار، وحرب، وما أشبه ذلك، وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء: كفلاح، ونجاح، ونحوهما. والمعنى في ذلك ما حكى أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي: لم تسمون أبناءكم بشرِّ الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا فاختاروا لأنفسهم خير الأسماء[2]".

---

(١) الأزدي، أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط١ - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج١/ (المتن) ص٥

(٢) القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية، ب ر ط، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، ج١/ ص٣١٢.

إلا أن بعض الدارسين من المستشرقين ذهبوا في تفسيرهم لسبب حمل عدد من القبائل العربية لأسماء حيوانات إلى محاولة الربط بين فكرة الطوطمية وبين هذه الأسماء على اعتبار أن الحيوان الذي اعتبرته القبيلة جداً لها لم يكن إلا طوطماً للقبيلة، فعلق مسماه بها، والطوطم هو رمز يقوم على أساس أسطورة خرافية ترتبط بالمعتقد لهذه القبيلة، فترى أن هذا الحيوان يحمل لها الخير أو الشر فتحمل اسمه، ثم ينسحب الاسم إلى اسم جد لها، وهي نظرية بدأت من خلال دراسة بعض الباحثين لقبائل الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية، ومن ثم فقد حاول بعض المستشرقين مثل "روبرتسن سمث" إسقاطها على القبائل العربية[1].

وفكرة الربط هي فرضية وضعها الدارس كاحتمالية، وإذا كان من غير الممكن القطع بنفي احتمالية حدوثها في أي مجتمع بما في ذلك المجتمع العربي، إلا أننا نرى أنها بهذه المقاربة تتجاهل أحوال العرب وبيئتهم التي نشأت عنها هذه العادة وكذلك تاريخ قبائل العرب وعلاقتهم بهذه الأسماء ومتى بدأت، لأن مضاهاة أسماء الحيوانات لدى العرب أمر موجود منذ القدم، وله أسباب كاللتي ذكرها الأصمعي، والقلقشندي، وابن دريد، وغيرهم، ويكفي أن نشير في هذا السياق إلى أن أقدم ذكر مدوَّن وجد للعرب كان للقائد "جندب العربي" الذي كان يشن حروباً على الآشوريين قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة، وقد ورد في أحد النصوص أنه شارك في إحدى المعارك مع الآراميين ضد الآشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد[2]، ونلاحظ أن الإسم كان اسم رجل حقيقي، وليس قبيلة، وهو في نفس الوقت اسم (حشرة)، ومن الطبيعي أن تحمل ذريته اسمه كاسم عشيرة أو قبيلة، ولا شك أن هذا يضعف بقوة الرأي الذي يفترض أن هنالك علاقة لوجود هذه الأسماء وأمثالها بنظرية الطوطم.

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١/ ص٥٢٠

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١/ ص١٦

إذن يجب أن نقر بأن التسمية المباشرة للأبناء بأنواع المخلوقات الأخرى كالحيوانات والطيور والحشرات والجمادات تيمناً بقوتها، أو إيحاءً بالقوة وإخافة الخصوم من خلال تبشيع الإسم هي عادة متجذرة في العرب منذ القدم، ولا يصح إسقاط نمط الحياة عند الهنود الحمر على نمط حياة العرب بهذه الطريقة التبسيطية فيما أرى، فالظروف البيئية والحضارية المحيطة مختلفة، والثقافة مختلفة، والمزاج والقيم العقائدية مختلفة، فهذه العادة أسبابها ملموسة في تاريخ القبائل العربية المثقل بالحروب والغزوات التي تكاد تكون وسيلة للحياة لدى بعض قبائل البادية.

فرغم أن العرب كانوا يعبدون أصناماً بعضها صنعوه على هيئة حيوان (مثل الصنم "يغوث" الذي كان على هيئة أسد) إلا أن معضمها كان على هيئة بشر، وكان العرب يتقربون بها إلى الله كما يظهر من جوابهم للنبي ﷺ، وكما يرد في قصصهم وشعرهم الجاهلي، وقد تحمل القبيلة الصنم معها في الحرب أو في تنقلها تبركاً وطلباً للنصر، كقول شاعرهم:

وسار بنا يغوث إلى مراد فناجزناهم قبل الصباح [(١)]

فقد كانت لهم فلسفتهم المرتبطة بقدرة هذا الصنم كإله أو كوسيط بينهم وبين الإله (الله): (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)، فالقدسية مرتبطة بالصنم ذاته وبقدراته (الماورائية)، لا بالهيئة الحيوانية التي هو عليها، فهيئة الأسد للصنم تحمل دلالة على القوة، ولكن لم يرد أن أهل جرش عبدوا الأسد الذي كان صنمهم على هيئته، أو أن للأسد قدسية لديهم، فالأسد عند العرب رمز للشجاعة مثلما أن الثعلب رمز للمكر والذئب رمز للحذر والحسم، وهي صفات لا زالت عرفاً بين الناس، ولا علاقة لها بالقدسية، بل ولم نجد في التاريخ العربي أو الأدب الجاهلي ما يفيد أن القبائل كانت تحمل هيئات أصنامها

---

(١) الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٥/ ص٤٣٩

الحيوانية كأيقونة للقبيلة أو كطوطم في حروبها أو في حراكها العام أو طلب معيشتها، كتلك الحالة التي عرفت لدى قبائل "الفيندول" في أوروبا[1] قبل عدة قرون مثلاً.

ورغم أننا لا نجد ما يقطع بنفي احتمالية صحة سبب التسمية ولا الاسم في كل الحالات، كجزء من ثقافة سائدة، إلا أننا لم نجد اسماً يتوافق مع اسم حيوان شاع - رغم غرابته - كما شاع "عنز" كاسم لعدد من القبائل المتفرقة، فإذا افترضنا صحة رواية سبب تسمية "عنز بن وائل" حسب ما أورد الكلبي ومن نقل عنه كابن دريد وغيره، من أن أباه سماه - كحالة استثنائية - تيمنا برؤيته لأنثى الضباء عند ولادة ابنه، كما فعل مع بقية اخوته، فماذا عن "عنز" هوازن، و"عنز" بني الأشعر، و"عنز" الخزرج، و"عنز" الاسماعيلي (الجد الخامس لعدنان)، و"عنز" العمليقي، و"عنز" عذرة، و"عنز" تجيب... وغيرهم من المشاهير أو المغمورين، هل نفترض أن كلاً منهم اتبع نفس الطريقة !.

مما تقدم يترجح لدينا أن تعليل المسمى "عنز" مرتبط بمفهوم المفردة، والإشكال كما يبدو لي هو إشكال لغوي، فنحن مثلاً نجد أن مفردة "تعنَّز"، أو "اعتنز"، بمعنى "اتكأ" أو "استند" هي مفردة دارجة في اللهجة المحلية في منطقة عسير (حيث عرفت قبيلة عنز بن وائل)، بل يتجاوز استعمالها هذه المنطقة إلى المناطق الأخرى من الجزيرة العربية، وخاصة أهل البادية، وإن كانت بصورة أقل مما هو في منطقة عسير، فالتعنُّز، أو "الاعتناز" يأتي بمعنى "الاتكاء" أو "الاستناد" أو "الاتكال"، فيقال "فلان ما عليه مَعْنَزْ" أي أنه لا يعتمد عليه، ولا يصلح "سندا"، ويقال "تعانزت على الجدار"، أو يقال "عصاي أتعانز عليها"، أو "أتعنَّز عليها"، بمعنى أتكئ عليها، ويقال - بصيغة الأمر -: "تعنزْ على

(١) الفندول: قبائل بدائية من أكلة لحوم البشر كانوا يتخذون الدب شعاراً (طوطم) لهم ويحملون رأسه في مقدمة جيوشهم ويضعون جماجم الدببة في مقدمة مساكنهم ومواقع تجمعاتهم. انظر: البقالي، أحمد عبدالسلام، مغامرات سفير عربي في اسكندنافيا منذ ألف عام، انطلاقاً من رسالة ابن فضلان لسامي دهان - وأكلة الاموات لمايكل كرايتن، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٠٧

جبل"، بمعنى اتّكِل على رجل كالجبل، ومن هذه المفردة أرى أنه يصح اشتقاق الاسم "عنز"، فلا زال هذا اللفظ المحلي ذو الجذور العميقة شائعاً بقوة في وقتنا الحالي في بلاد عسير - حيث بلاد عنز بن وائل - بهذا المعنى الذي لم يتطرق له المعجميون بشكل واضح رغم حضوره لديهم في بعض أسماء المفردات، ولعل ذلك عائد لاكتفاءهم باللغة الدارجة في العراق والشام وما حولها وما بينها وبين مكة، فتجاهلوا العمق حيث لا زالت لغة العرب الأولى ولهجاتهم تتداول كما هي.

ومن الملاحظ أن المعنى المحلي "للمفردة" يتوافق إلى حد كبير مع مفهوم "العنزة" (العُكّازَة)، التي روي عن رسول الله ﷺ أنه صلى إليها، مما يدل على قدم ارتباط المفردة بنفس المعنى المستعمل حالياً في منطقة عسير، والذي لم يدركه سكان الكوفة والبصرة وما جاورها في نهاية القرن الهجري الثاني بشكل كامل، فاجتزؤوا مفردة "العَنَزَة" من الرواية، وكأنهم اعتبروها مفردة جامدة، دون التطرق إلى اشتقاقات "العَنَزَة" ومصدر التسمية الأساسي في معاجمهم.

وقد جاء في تاج العروس أن العنز: الأكمة السوداء[1]، كما ذكر الجوهري في الصحاح أن العنز: أنثى العقاب[2].

ومما تقدم فإن تكرار الاسم، وشيوع معانٍ واضحة له في بلاد العرب لم يتطرق لها المعجميون، وتوافقها التلقائي مع معنى "العنزة" (العكازة) الوارد خبرها في الحديث الشريف، ما يدل على مصدرية قديمة للمعاني الدارجة في عسير - حيث بلاد عنز بن وائل - للمفردة، يجعلنا نعتبر أن رواية الكلبي وسواه ومن نقل عنه حول اسم عنز بن وائل ممن ربطوا المسمى برؤية والده لأنثى الضباء مرجوحة، والراجح أن الاسم "عَنَز" أو "عَنْز" أتي اشتقاقاً من "الاعتناز" الموازية بالمعنى لمفردة "الاستناد"، فنقول "عنز" كأنها

---

(١) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس..، نفس المصدر، ج١٥/ ص٢٤٥

(٢) الجوهري، الصحاح، ج / ص٨٨٧

نقول "سند" فهو "سند" بن وائل، أو "سند" بن عوف الخزرجي، أو"سند" الهوازني، أو "سند" الخزاعي، لذا شاع الاسم عند العرب كاسم رجل يسمون به أبناءهم، وهذا هو التعليل الأرجح لدي.

ولكننا مع ذلك لا نستبعد تماماً أن يكون المقصود بالاسم معاني أخرى ومنها "الأكمة السوداء" إذ درج العرب على تسمية أبنائهم بما غلظ وخشن من الأرض وخشن لمسه مثل "صخر" و"حجر" و"جندل" و"حزم" و"جبل" وغيرها، لذا استفاض عند العرب إطلاقه كاسم لأبنائهم، ففي إشارته للتسمية بمثل هذه الأسماء قال ابن دريد:

" ومنها ما سمي بما غلظ من الأرض وخشن لمسه وموطئه، مثل حجر وحجير، وصخر، وفهر، وجندل، وجرول، وحزن وحزم[1]".

كما لا نستبعد أيضاً أن يكون قد قصد به " أنثى العقاب"، ومن ثم فهو من باب الإحالة إلى القوة.

ورغم كل ما ذكرناه فإن رواية التسمية الواردة عند الكلبي ومع التسليم بأنها مرجوحة لغرابتها، ومستبعدة لأنها تدل على التفرد بينما الاسم شائع عند غيره، إلا أنها ليست من الأمور المستبعد حدوثها عند العرب في العموم، والله أعلم.

---

(١) الأزدي، أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط١ - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج١/ (المتن) ص٥

ثانياً: القبائل المنتمية إلى "عنز بن وائل"

جاء لدى الكلبي (١١٠ - ٢٠٤هـ) في كتاب "جمهرة النسب" ما يلي:

"وولد عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة: رفيدة وأراشة فولد أراشة: قناناً وعسيراً[١] وجندلة فولد عسير: مالكاً وتيماً فولد مالك غنماً وولد تيم: سلمة وزهيراً وعمراً وولد رفيدة بن عنز: عبدالله وعامراً وربيعة ومعاوية وعمراً وحماراً فولد عمرو: شقيقاً وسلمة وتميماً وعبدالله وولد ربيعة بن رفيدة: مالكاً فولد مالك جذيمة وسلامان وتولباً فولد سلامان: حجراً منهم عامر بن ربيعة بن مالك بن حجر شهد بدراً مع النبي ﷺ وهو حليف الخطاب بن نفيل وولد عامر بن رفيدة: عبدالله وأياساً ووهباً."[٢]

كما أورد الهمداني في كتاب الإكليل ما يلي:

"وأولد عنز بن وائل على ما خبرني بعض من يصاليهم من جنب: رفيدة وأراشة فأولد رفيدة: ربيعة ومعاوية وعامراً وعبد الله وعمراً وحماراً، فأولد ربيعة مالكاً، فولد مالك جُريمة وتولباً وسلامان. وولد عامر بن رفيدة: عبد الله ووهباً وإياساً، وولد عمرو بن رفيدة سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله، وأولد أراشة بن عنز: عسيراً وقناناً وجندلة، فولد عسير: مالكاً وتميماً، فولد مالك: غنماً وجارمة وجدبلاً[٣] وتيماً، فولد تيم بن مالك: زهيراً وسلمة - وفيها

(١) وردت في الأصل المحقق "عشير" وصححتها "عسير"، وتم اعتماد التصحيح من قبل الكاتب بناء على الواقع ؛ وما ورد لدى الهمداني وهو الأقرب إلى بلاد عنز وقبائلها في الإكليل ج١ / ص٢٦٢، ٢٦٣؛ ونقلاً عن الفدعاني، عبدالله بن عبار، أصدق الدلائل في أنساب بني وائل، ١١٧

(٢) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣/ ص٥٧٥-٥٧٦

(٣) يذكر المحقق أنه ورد في نسخة أخرى "حديد" بدلاً من جدبلاً.

بنو شيبة – وعضاضة، (وعضاضة من نهم من ربيعة أيضاً)، وبنو اللقاح"[1]

وقد ورد نسب عنز بن وائل ولكن بتفاصيل أقل مما أورده هؤلاء لدى الكثير، منهم ابن قتيبة[2]، والأشعري[3] وابن حزم[4]، وعمر كحالة[5] وغيرهم كثير، فكتب الأنساب كافة قد تطرقت إلى عنز بن وائل وإلى بطونها وكانت القبيلتان الرئيسيتان (أراشة، ورفيدة) قاسما مشتركا وجوده في جميع المصادر، أما ما دونها فهنالك من أسهب وهنالك من أوجز، ولكن الهمداني تميز عنهم بأنه لم يتوقف على ما ذكره عن الأنساب الواردة في الإكليل من تفاصيل، بل تجاوز ذلك إلى تحديد قرى عنز بن وائل، وأسماء القبائل العنزية التي تقطنها، وبعض هذه القبائل ممن لم يرد اسمه في تسلسل النسب العنزي المذكور في "الإكليل" عند الهمداني ولا في كتب الكلبي.

ومن خلال ما تقدم نجد أن القبائل المذكورة في كتب الأنساب هي: "أراشة" بما فيها كامل قبيلةعسير(بكل بطونها)، وقبائل "الشعف"، ورفيدة بجميع بطونها وقبائل كود وما إليها في تندحة وخميس مشيط وما حولها.

إذن فقبائل عسير هم بنو "عسير بن أراشة بن عنز بن وائل" وقد فصل الهمداني والكلبي في نسبها كما في بطونها كما ورد معنا، وهي مطابقة لما هو معروف إلى وقتنا الحالي، كما أن هنالك الكثير من الدلائل التي تؤكد لنا صحة انتسابها إلى عنز بن وائل، واستفاضته

---

(١) الهمداني، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة الإرشاد – صنعاء، ١٤٢٩/٢٠٠٨م، ج١ / ص٢٦٢، ٢٦٣

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ، ص٩٥

(٣) الأشعري، محمد بن أحمد، التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب، نادي أبها الادبي، ١٤٠٩هـ، ص١٠١

(٤) ابن حزم، علي بن أحمد الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ضبط ومراجعة عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٤، ٢٠٠٧، ص٣٠٣، ٤٨٤

(٥) كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين – بيروت، ١٣٨٨هـ، ج٢/ ص٤٤٠

على امتداد تاريخها، فقد ذكرها الهمداني في بلادها بشكل واضح، وسمى أوديتها وقراها الرئيسية بشكل دقيق، وكرر الإشارة لانتمائها إلى عنز بن وائل عدة مرات حسب ما كان مستفيضاً في عصره، بل إن الأحداث التاريخية تدل على مركزية قبيلة عسير ومحوريتها في تاريخ قبيلة عنز بن وائل، ودورها التاريخي منذ القرون الأولى للإسلام، خاصة مرحلة ما بعد القرن الخامس، حتى أن بعض المؤرخين اعتبر أن كل فروع عنز بن وائل قد انضوت في قبيلة عسير[(١)]، فلا يذكرون من فروعها المتبقية اليوم إلا عسير[(٢)]، كما أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أعيان وقادة من عنز بن وائل كانوا من قبيلة "عسير" أو من أي فروعها، مثل "مالك بن زيد بن الحارث"[(٣)] بمصر و"عرفطة بن الطحل"[(٤)]، والشاعر "ثابت بن عبدالملك العريجي" وهو ما سيأتي معنا في سرد الأحداث التاريخية ومواقع حدوثها والأعيان، كما أنها كانت جزءاً من أحداث الصراع بين عنز ومجاوريها مثل العواسج ونهد والحارث بن كعب وصداء وغيرها، كما يشير الجاسر، وابن عقيل، والهمداني مما يدل على استمرار مركزيتها في تاريخ بلاد عنز بن وائل منذ القرن السادس للهجرة إلى مرحلة بداية الدولة السعودية، وما يقطع الشك باليقين بوضوح تام حول كل ذلك اصطفاف القبائل العسيرية في اختبارات الدي إن إي إلى جوار بعضها في سلالة خاصة

---

(١) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران "نصوص، مشاهدات، انطباعات"، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط٢ - ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧، ص٤٧٨ .

(٢) انظر تعليق أبو عبدالرحمن بن عقيل على: ابن جريس، راشد بن علي الحنبلي، مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تحقيق محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ط٢ - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٣١.

(٣) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ج١/ ص٩٤، ٩٥.

(٤) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٩٨- ٩٩.

بقبيلة عسير، ثم التقائها بقبائل الشعف ورفيدة وكود وغربي بلاد شهران (بطون عنز بن وائل)، في سلالة واحدة ثم التقاء الجميع في سلالة شاملة مع عنزة بن أسد (الربعية)، مما يقطع بحقيقة ما ورد في كتب التاريخ والانساب عن أصول قبيلة عسير العنزية الربعية.

وكان الهمداني في معرض ذكره لأحواز جرش وبلاد عنز بن وائل أورد عسير بقوله (عسير من عنز) ثم اتبعها بقوله (وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز[1]، ولكنه استمر في ذكر عسير واتباعها بكلمة (من عنز) دون بقية الإضافة في بقية أجزاء الكتاب متجاهلاً هذه العبارة التي ذكرت في نفس السياق، كما أعاد ذكر قرى بلاد عسير ووصفها بأنها من عنز في قوله: "والعيبا لبني أبي عاصم من عنز، ذو الينيم يسكنه بنو ضرار، والدارة والحللة والفتيحا فحمرة وطبب فأتانة والمغوث فجرشة بالأيداع أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود[2] ... ".

وقد وجدت بعض من يستند إلى عبارة (وعسير يمانية تنززرت ودخلت في عنز) للادعاء بأنها تدل على أن عسير دخلت في عنز بن وائل بينما ليست منها.

في الواقع أننا لو أخذنا العبارة "يمانية تنزرت ودخلت في عنز" على ظاهر ما فهموه، وقلنا بأنها تدل على أن الهمداني يرى أن عسير قبيلة يمنية الأصل انضوت في عنز بن وائل، كما يرى هؤلاء، فإن هذا التناقض مع ما ورد في نفس الكتاب من عبارات متكررة، ومع ما ورد في كتاب الإكليل من تفصيل، سيحملنا على التشكيك في نسبة هذه العبارة - كعبارة تشكيك - إلى الهمداني، فلا سبيل لتلافي هذا التناقض إلا باعتبار هذه العبارة مضافة من النساخ لاحقاً، خاصةً مع ما عرف من تعرض مؤلفات الهمداني كثيراً للتحريف[3] في اليمن.

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، ص٢٣٠

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، ص٢٣١

(٣) يقول الجاسر في مقدمة كتاب صفة جزيرة العرب: " كثير من نصوص الهمداني دخلها التحريف ولم تصل إلينا لها أصول صحيحة" صفة جزيرة العرب، ص٢١

فلا يصح أن يناقض الهمداني في نفس الكتاب بل ونفس الصفحة رأيه الذي يعيده كلما ورد ذكر عسير، إذ لم يورده إلا مقروناً بلفظة (من عنز)، بينما لم يكن ملزما بذلك، فقد ذكر بعض القبائل دون الإشارة لانتمائها، كما لا يقبل أن يتناقض جذرياً مع نفسه فيكذب ما أورده في مؤلفه الآخر (الإكليل) عندما أورد تسلسل نسب عسير إلى عنز بن وائل، إذ أن هذا التفصيل به ما يقطع الشك باليقين حول رأيه في نسب عسير العنزي ويناقض أي إشارة مخالفة، ويجعل هذه الإشارة اليتيمة حتى ولو لم يكن هنالك ما يدل على أنها ليست له، فهي غير ذات معنى، ولا تستحق أن تعطى أي أهمية.

وبالإضافة لما سبق، فإن ما أورده في الإكليل نقلاً عن أحد نسابة جنب المجاورين لعسير جاء مصداقاً لما أورده ابن الكلبي في العراق قبله بحوالي قرنين، ومكملاً له إذ كان هنالك توافق في الهيكل الأساسي مع اختلافات وإضافات من قبل الهمداني الذي كان يكتب عن كثب، ومصداقاً أيضاً لما ورد في أنساب الرجال الذين نسبوا إلى عنز بن وائل وإلى بطون عسير وبلادها في نفس الوقت، مثل الصحابي/ عامر بن ربيعه ﵁ ، والشاعر/ ثابت بن عبدالملك العريجي، وعرفطة بن الطحل.

وإذا كان من الأمور الغريبة التي يصعب قبولها مناقضة ظاهر مضمون عبارته لرأيه الواضح في الإكليل عن عنزية عسير، كما أسلفنا، فالأغرب منه أن العبارة وردت مبهمة، فلم يوضح الهمداني حقيقة هذه اليمنية كما جرت العادة، إذ كان من المفروض بديهياً - إذا كان الهمداني يرى بيمنية عسير - أن يورد نسبها اليمني محدداً لانتمائها الصحيح، فلو كان لعسير نسب يمني معروف لدى الهمداني لأورده، إلا أنه بدلاً من ذلك عاد ليكرر الحديث عن عنزية عسير كل ما ورد ذكرها متجاهلاً التشكيك الذي تبناه، وهو أمر لا منطقية له، مما يزيد الثقة حول حقيقة رأيه، وبأن أي إشارة شاذة مخالفة لرأي الهمداني الواضح في كتاب الإكليل، ولما كرره في كتاب صفة جزيرة العرب حول انتماء عسير إلى عنز بن وائل لا يمكن أن تكون منتمية له.

كان هذا رأياً مبدئياً في ورود عبارة الهمداني أعلاه، ورغم معقوليتها ومصداقيتها

المشروطة بظاهر الفهم (كونه يعني التشكيك)، إلا أنني بعد أن قرأت رأي حمد الجاسر وجدت أن رأيه كان أعمق في فهم العبارة، وأصوب، كما أنه متلائم مع بقية الإشارات للمؤلف، فقد جاء في كتاب "في سراة غامد وزهران" لحمد الجاسر قوله:

"عنز: سراة عنز تقع بين سراة جنب جنوباً وسراة الحجر شمالاً، نجدها خثعم، وغورها بارق، وهي معروفة الآن بسراة عسير، نسبة إلى أحد أجداد القبيلة، وهو عسير بن أراشة بن عنز بن وائل - من ربيعة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان - على ما في كتب النسب القديمة، ومع أن الهمداني ساق نسب هذه القبيلة كما تقدم في "الإكليل" إلا أنه قال في "صفة جزيرة العرب": (وعسير يمانية تنزرت) ولعله يقصد من حيث العصبية والمواطن، أي أنها تعيش في بلاد كل سكانها قحطانيون إلا أنها تؤازر النزاريين وتناصرهم وتميل إليهم، وقد أشار إلى حروب جرت بين هذه القبيلة وبين العواسج - سكان جرش قديماً - وهم من أشراف حمير - وحروب جرت بينها وبين قبائل أخرى قحطانية، في كتابه "الإكليل" وليس هذا موضع تفصيل ذلك. وحدد الهمداني مواطن عنز - وعسير منهم - في "صفة الجزيرة" وقد ألفت مؤلفات عن عسير في الرجوع إليها ما يغني عن الاسترسال في الحديث[1]".. انتهى.

والشيخ حمد الجاسر، علامة الجزيرة العربية، الذي سبر أخبارها وتواريخها وأحوالها، واطلع على وثائقها ومخطوطاتها ونقوشها، واستوعب مضامين الكتابة عنها، ودرس طرق كُتَّابها، هو أيضاً الذي قدم لكتاب الهمداني المقصود إلى جانب الأكوع، واستوعب مقصد الهمداني في قوله "يمانية تنزرت".

وقد عدت لقراءة الهمداني وطريقة عرضه لمثل هذه الحالة فوجدت أن رأي الجاسر هنا يوافق بالفعل نمط الهمداني في الإشارة إلى القبائل النزارية في اليمن، فمما جاء لدى

---

(١) الجاسر، حمد، في سراة غامد وزهران "نصوص، مشاهدات، انطباعات"، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط٢ - ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧، ص٤٧٨

الهمداني عن القبائل النزارية في اليمن في كتاب صفة جزيرة العرب قوله:

"أسماء القرى التي يكون أهلها جزءين متضادين: عدن أبين بين المربين والحماميين والملاحيين. لحج وأبين بين الأصابح وبني عامر، صنعاء بين الشهابيين والأبناء ويدخل من تنزر بها مع الأبناء ويدخل أهل البلد ومن تقحطن بها مع بني شهاب، "[1].. انتهى.

ونلاحظ هنا استعماله عبارة (ويدخل من تنزر) في إشارة إلى الذين حملوا العصبية النزارية وشاركوا في الصراع الدائر مع مجاوريهم من القبائل القحطانية، واستعمل عبارة (ويدخل من تقحطن) للدلالة على الذين حملوا العصبية القحطانية ودخلوا في الصراع الدائر مع القبائل النزارية، وجلي لنا أنه بذلك لا ينفي عن القبائل التي وصفها بأنها "تقحطنت" انتمائها لـ"قحطان"، وبالتالي من "تنزرت" انتمائها لـ"نزار"، وهذا يعطينا دلالة على أسلوب الهمداني في وصف النزاريين الذين يحملون عصبيتهم النزارية مقابل الذين تقحطنوا، والذي يتوافق تماماً مع رأي الجاسر حول مقصده من قوله "وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز".

فعبارة" يمانية" إذن هي إشارة لموقع سكناها بين القبائل المحسوبة على القحطانية اليمانية (حسب رأيه)، أما عبارة "تنزرت ودخلت في عنز" التي أوردها الهمداني فتشير إلى أنها دخلت في حروب عنز بن وائل التي حملت لواء النزارية (أي دخلت بعصبيتها النزارية) في صراعها مع القبائل التي تقحطنت مثل العواسج، ونهد، والحارث بن كعب، ويام، وسنحان وغيرها (حسب رواية الهمداني).

كما أن قبيلة رفيدة - والقاطنة حوالي أحد رفيدة والواديين وما بينها وبين خميس مشيط وتندحة وسراة عبيدة - تجمع جميع كتب الأنساب والتاريخ على أنها إحدى البطون الكبرى من عنز بن وائل، فقد وردت رفيدة لدى الهمداني الذي حدد قراها وبلادها كما هي الآن من

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١ - ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٣٧

قرية العيص في سراة عبيدة جنوباً إلى شعف جارمة إلى شعف أراشة وبلاد عسير شمالاً كإحدى قبائل عنز بن وائل[١]، وحدد نسبها إلى عنز بن وائل بدقة وتفصيل في كتاب الإكليل[٢]، وقبله كان الكلبي في جمهرة النسب وفي أنساب معد واليمن قد أوردها[٣]، ومثلهم كان الأشعري في طرفة الأصحاب[٤]، ومثلهم عمر كحالة[٥]، وغيرهم، فكل من كتب عن قبيلة عنز بن وائل وبطونها لم يتجاوز ذكر قبيلة رفيدة وبطونها كما هي معروفة إلى الآن.

وقد وجدت البعض ممن يفصل بين رفيدة المعروفة في أحد رفيدة وما حولها الآن ورفيدة عنز بن وائل[٦]، ويوردون تفاصيل اخرى لنسب رفيدة، إلا أن ما ورد لدى مفرح الربعي في كتاب "سيرة ألأميرين" في وصفه لقصة رحلة أبناء القاسم العياني في منتصف القرن الخامس الهجري إلى ترج عبر منطقة جرش يقطع الشك باليقين حول المستفيض عن نسب قبيلة رفيدة المعروفة فيما قبل القرن الخامس الهجري، واختصاصها بما ورد في كتب الأنساب عن رفيدة بن عنز بن وائل، عندما أشار إلى دخولهم بلاد عبيدة ثم بلاد عنز المجاورة لقبيلة عبيدة فقال:

"ثم سأل الصحابة فأرسل معنا رجلين من بني عمه فصارا بنا على صرم لعبيدة من جنب فما شعروا بنا إلا بين أبياتهم."

وبعد سرده عن أحداث وجودهم في عبيدة وصل بالسرد إلى قوله:

"ثم سأل الشريف منهم الصحابة فانتدب منهم لذلك رجلان وسرينا من ليلتنا تلك"

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩ - ٢٣١

(٢) الهمداني، الإكليل، ، ج١، ٢٦٢-٢٦٣

(٣) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ، ج١/ ص٩٤، ٩٥

(٤) الأشعري، محمد بن أحمد، التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب، نادي أبها الادبي، ١٤٠٩هـ، ص١٠١

(٥) كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين - بيروت، ١٣٨٨هـ، ج٢ / ص٤٤٠

(٦) انظر مطوان، احمد، جرش، ص٥٣-٦٠، ٦٧-٨٥

إلى أن يقول:

"ثم مضينا نحن وهم ونحن على أحزم أمورنا حتى انتهوا بنا إلى قرية من بلد عنز مما يليهم فلقينا أهل تلك القرية بالترحيب فقال لهم الشريف: ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابة لنا إلى إمامنا فصحبونا حتى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل، وهو دليل الحاج فرحب وأجمل وقرى وأجزل وعرفنا أنه مفاتن للعواسج بجرش.

وكانت كتب الصليحي قد تقدمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرة الصليحي بمساءتنا حراص، ونحن لهم خوف، وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً فأمرنا فكمنا في دربه صبيحة يومنا ذلك. فلما كان من الليل ركب معنا حتى استصحب لنا رجلاً رفيدياً من عنز فسار بنا الرجل من فوره... "[1]

وإشارته هنا إلى أنهم خرجوا من بلاد عبيدة إلى بلاد عنز ثم أرسل معهم مضيفهم في بلاد عنز (البذاخ) "رجلاً رفيدياً من عنز بن وائل" تقطع الشك باليقين حول المستفيض في تلك الفترة بين الرفيديين والقبائل المجاورة لهم عن نسبهم.

والإشارات إلى قبيلة رفيدة خلال التاريخ تدل على ذلك، فناهيك عن أن رفيدة كانت مركز الصراع مع المجاورين حيث كانت جذيمة محرك هذه الصراعات، فقد وجدنا أنه حتى بداية القرن الحادي عشر كانت رفيدة معدودة كقبيلة مستقلة، حيث أشار عبدالله بن علي المؤيدي إليها كقبيلة مستقلة بذاتها فذكرها وذكر قحطان وشهران بصفتها الثلاثة القبائل التي حضر مشائخها إليه ووعدوه بالنصرة في اليمن[2].

ومما يؤيد انفراد رفيدة بنسبها أنه خلال العهد العثماني كان يطلق على قبيلة رفيدة اسم

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الاميرين... ، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي - بيروت، ط١، عام ١٤١٣هـ، ص١٢٢، ١٢٣

(٢) انظر مخطوط التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية لمحمد المؤيدي، الأصل موجود بالجامع الكبير بصنعاء، ورقة ٣٢٢ - ٣٣٨

"رفيدة اليمن"[١] تمييزاً لها عن رفيدة عسير التي تقع إلى الشمال عنها في بلاد عسير، كما أن الخرائط البريطانية للمنطقة والتي حددت التوزيع القبلي فيها خلال الفترة العثمانية أشارت إلى رفيدة باسم "رفيدة اليمن"، إلا أن جزءاً من قبيلة رفيدة كان يتبع إدارياً خلال الفترة العثمانية لناحية قحطان، وهي المناطق الواقعة جنوب قرية المضيق من بلاد رفيدة (قيس، وجارمة، وخطاب)، ويدل على ذلك قول سليمان شفيق باشا في مذكراته حين قال:

"ولما كنا في قرية "آل عامر" أثناء هذه الرحلة طلبت من أبها "أورطة" أخرى وطنتها في قرية آل عامر وقرية سر وكلاهما من رفيدة اليمن"[٢]

إلى أن يقول:

"وبعد قرية مضيق تبدأ حدود قحطان وأن قبائل قيس وجارمة وخطاب كلها معدودة من قحطان"[٣]

ومن سياق السرد هنا فإن قبيلة رفيدة حتى تلك المرحلة كانت منقسمة إدارياً إلى جزئين، فالجزء الجنوبي (وهو الاكبر) منها الممتد من قرية المضيق إلى سراة عبيدة كان يتبع إدارياً لناحية "قحطان"، ومن الراجح أن تبعية هذا الجزء إدارياً لناحية "قحطان" التي كانت تحت إدارة مدير ناحية قحطان "ابن دليم" هو ما أدى إلى التداخل القبلي خلال المرحلة العثمانية.

إذن فقد تأكد لنا نقلاً عن المصادر التاريخية أن رفيدة تنتمي إلى عنز بن وائل، ورغم كثرة المدونات المخالفة والسعي الدؤوب لإيجاد أي موقع للشك حول هذه الحقيقة، إلا

---

(١) تطلق كلمة اليمن في منطقة عسير (ومعظم أنحاء غرب الجزيرة العربية) بمعنى الجنوب ويقابلها كلمة الشام بمعنى الشمال، فيقال ألمع الشام وألمع اليمن بمعنى ألمع الشمال وألمع الجنوب، وعمرو الشام وعمرو اليمن، وشهر الشام وشهر اليمن، ورفيدة الشام ورفيدة اليمن، وحتى في منطقة الطائف يقال ثقيف الشام وثقيف اليمن، وكلها بنفس سياق المعنى

(٢) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، النادي الأدبي بأبها، ط١ - ١٤٠٥هـ، ص١٠٠

(٣) نفس المصدر، ص١٠١

أن كل هذه الجهود لم تتمكن من إخفاء هذه الحقيقة الجلية، لأن ما دونه المؤرخون وشهود الحال حول هذه الحقيقة منذ البعثة النبوية حتى الآن أكبر بكثير من أن يمكن طمسه، ونعود لنقول أن اختبارات الـ "دي إن إي" قد قطعت الشك باليقين حول هذه المسألة.

كما أن شعف أراشة سمي نسبة إلى "أراشة بن عنز بن وائل" وهو ما فصّل فيه الهمداني وأشار لقرى الشعف جميعها التي أرجعها إلى عنز بن وائل في كتاب "صفة جزيرة العرب" ومنها دلغان، والمسقي، والقرعاء، وتمنية، وعضاضة[١]، وأشار إلى نسب أراشة بن عنز بن وائل الذي تنتسب إليه قرى الشعف بالإضافة لقبيلة عسير في كتاب "الإكليل"[٢]، وقبله ذكره هشام الكلبي في كتابيه "جمهرة النسب" و"نسب معد واليمن"[٣]، ولا علاقة للاسم بسوى أراشة العنزي كما ادعت بعض الكتب المزورة كإمتاع السامر وأشباهه، فلم يرد ذلك لدى أي المؤرخين، وكل ما ورد هو أن أراشة الموجود في بلاد عسير والشعف، هو أراشة بن عنز بن وائل.

أيضاً فإن تندحة التي أشار الهمداني إلى أنها من بلاد عنز بن وائل، وأشار إلى سكانها من قبيلة "كود" التي ذكر انها من عنز بن وائل، ودخلت في شهران، وأشار إلى الحروب التي خاضتها عنز بن وائل دفاعاً عن تندحة - حيث تقطن كود -، قد ثبت من خلال الفحص الجيني صلتها بعنز بن وائل، حيث التقت عينات من تندحة (من آل عجير) مع عينات رفيدة وعسير في تحور واحد قبل التقائها بغيرها، مما يدل على أن قبائلها هي بالفعل من بطون عنز بن وائل[٤].

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣٠، ٢٣١

(٢) الهمداني، الإكليل، ، ج١ / ص٢٦٢، ٢٦٣

(٣) الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٨٨م، ج١/ ص٩٤، ٩٥

(٤) للاطلاع على هذه النتائج بشكل مفصل تابع موقع مشروع فيكتار J1) المتجدد بدعم شركة فاميلي تري (familytree):

https://www.familytreedna.com/public/J-M267/default.aspx?section=ycolorized

وكما نرى فقد أشارت كتب التاريخ والأنساب إلى عنز بن وائل وأوردت مواطنها وقبائلها، وكانت نفس القبائل والقرى الحالية[١] الواقعة ما بين سراة عبيدة، وطلحة الملك، وعبل، بما يجعلنا نتيقن من حقيقة وجود هذه القبيلة ولعبها دوراً مركزياً في أحداث المنطقة عبر التاريخ، واستمرارية هذا الوجود إلى وقتنا الحالي، وأن الهمداني وغيره لم يكونوا واهمين كما ادعى بعض الكتاب حول وجود قبيلة عنز[٢]، وخطأ من ذهبوا لإنكار وجودها أو محاولة اختزال هذا الوجود وتقزيمه بطريقة أو أخرى.

ومن خلال ما تقدم فإن القبائل الثابت انتسابها إلى عنز بن وائل هي كل من: قبيلة عسير، وقبيلة رفيدة، وقبائل الشعف، وتندحة وما بينها بلادها جميعاً، وجميع القبائل المحيطة بأبها وبخميس مشيط وأحد رفيدة بشكل عام، وهذه هي القبائل الأساسية المعنية بتاريخ عنز بن وائل المدون بين أيدينا منذ العصر الجاهلي حتى الآن، إلا أن هنالك لا شك قبائل أخرى من عنز بن وائل انضوت في القبائل المحيطة، أو أنشأت أحلافاً وتخلت عن أنسابها القديمة تحاشياً لحالة الصدام المستمر مع الوسط المحيط، وانقطع اتصالها النسبي - حسب المستفيض - بأصولها العنزية الربعية المعدية، خاصةً تلك التي توغلت في البلاد المجاورة لبلاد خولان وهمدان، بالإضافة إلى قبائل أخرى خرجت من المنطقة إلى مناطق أخرى مثل بني روح بن مدرك الذين انتقلت بعض بطونهم إلى بلاد اليمامة وهجر والشام،

---

(١) انظر

- الإكليل للهمداني، تحقيق الأكوع، ج١/ ص٢٦٢، ٢٦٣
- صفة جزيرة العرب للهمداني، ص٢٢٩ - ٢٣١
- كتاب نسب معد واليمن الكبير للكلبي، ج١/ ص٩٤، ٩٥
- طرفة الأصحاب للأشعري، ص١٠١

(٢) يقول محمد الاكوع: يبدو مما ألف أخيراً أن القبائل اليمنية هي التي تسيطر على هذه المناطق ولا شيء غيرها، لا قبيلة عنز التي ذكرها "الهمداني" في الجزء الأول من كتاب "الإكليل" وأفرد لها فصلاً ذكر بطونها كما نوه بها في كتابه صفة جزيرة العرب ولا غير عنز، انظر: الأكوع، محمد علي، اليمن الخضراء، ١٥٤

وحسب ما تشير إليه نتائج اختبارات الدي إن إي حتى اللحظة يترجح انتماء الكثير من القبائل التي لم تعرف ضمن بطون عنز بن وائل منذ القرون الإسلامية الوسيطة، مثل عنزة والعجمان والهواجر وجزء من الجحادر والحباب إلى عنز بن وائل أو إلى جذمها الأقرب "بني وائل"، إلا أن المؤكد أن هذه القبائل استفاض انقطاع صلتها بعنز بن وائل منذ ما قبل عصر الهمداني (القرن الثالث والرابع للهجرة)، فناهيك عن ما نعرفه عن انقطاع عنزة منذ العصر الجاهلي عن عنز بن وائل، فقد ذكر الهمداني أن القبائل المنضوية في جنب في القرن الرابع كانت جزء من التحالف المعادي لعنز بن وائل، كما ذكرها الثقفي في القرن السادس كجزء من التحالف المعادي لها.

استدراك في مفهوم النسب

عندما نكتب عن التكوين القبلي، وعن نتائج الفحص الجيني وما آل إليه حتى الآن (كما سيأتي)، فهذا لا يعني مصادقتنا على ضرورة الالتزام بالانتماء القبلي المبني على هذه النتائج، أو المطالبة بنقاء العرق للمنتمين إلى هذه القبيلة أو سواها، أو التشجيع على تعميق الفاصل الحدي بين أبناء الوطن حسب قبائلهم.

فلا شك أن المكونات القبلية الحالية في معظمها لا تشكل وحدة واحدة من حيث السلالة الأبوية، ولكن هذا لا يعني عدم وجود القواسم المشتركة بين أفراد هذه القبيلة أو تلك، فمن المعلوم أن المورِّثات تنقسم بين الأب والأم، وتكون فرص اكتسابها من أي الطرفين متساوية، كما ورد في "قوانين مندل" للوراثة، فصفات الإبن عادة ما تكون مكتسبة من الأب والأم على حد سواء، ومن ثم فالانتماء الأموي (إلى الأم) له نفس الأهمية، فلكل منا فرصة الانتماء في أي صفاته الوراثية إلى أسرة أخواله بقدر فرصة الانتماء إلى أسرة أعمامه بالضبط، وكل فرد منا يحمل جينات وراثية من الطرفين يفترض أنها متساوية، وصفات ورثها من أي الطرفين، وهذه الصفات تستمر في أبنائه بنفس التوازن فيما بينهما، إلا أن الام الجديدة سيكون لها أثر آخر يعيد كامل الصفات التي يحملها الأب من الجد والجدة إلى النصف، ثم هكذا تتضاءل مع كل جيل.

ولكن لأن هنالك زوج واحد من الكروموزومات (XY) لا يحمل عن طريق المرأة بجوار ٢٢ زوج من الكروموزوم (XX) الذي يحمله الرجل والمرأة، فإن معرفة السلالة الأبوية (Y) ممكنة، وتتبعها يعطينا فكرة عن الانتماء التاريخي للمجتمع المحلي، إذ ارتبطت الأحداث والحراك السياسي التاريخي بالرجل، كما أن العصبية كانت دائماً تنتمي عرفاً إلى التسلسل الأبوي كما هو معلوم، لذا فنحن مضطرون لمعرفة نتائج فحص الدي إن إي (Y) لتتبع مسار التاريخ والهوية للإنسان والأرض.

ومن ثم فقد ينتمي شخص ما (أبوياً) إلى قبيلة "س" - على خلاف القبيلة (المجتمع) "ص" التي ينتمي إليها عرفياً - بينما نجد أن صفاته الجسمانية والخلقية وطباعه لم تعد

تحمل من الصفات الوراثية للقبيلة "س" إلا نسبة لا تذكر، فهو ينتمي فعلياً من خلال جيناته وصفاته الوراثية إلى القبيلة (المجتمع) "ص" التي يقيم فيها بنسبة عالية، وهذا عائد إلى تراكم الصفات الوراثية للأمهات القادمة من تسلسل جداته لأبيه ولأمه عبر الزمن من خلال تواجده في هذه القبيلة.. حتى تفقد صفاته الأبوية الأولى بدرجة كبيرة، ومن ثم فنتيجة فحص الدي أن أي الأبوي (Y) في هذه الحالة لا يمثل سوى سجل تاريخي لا أكثر، ونحن بحاجة إليه لقراءة التاريخ والهوية العامة للمجتمع، لا للفرد.

وبمثل هذا الوزن أيضاً يكون انتماؤنا للقبائل الأخرى المجاورة جزء من موروثنا الجيني، فنحن عموماً لا نملك جينات صافية تنتمي إلى قبيلة واحدة، بل إن صفاتنا الوراثية قد اشتركت في تكوينها الكثير من المصادر حسب تنوع أصول الأمهات عبر الدهر، مما يعطي الجغرافيا والمجتمع المحيط أهمية في مفهوم الوطنية أو القومية.

فهنالك مثلاً الكثير من أبناء مناطق المملكة المختلفة ممن ظهر في فحص الدي إن إي تحت تحور السلالة ® التي تنتمي إلى أوروبا، ولكنه ينتمي عرفياً لإحدى القبائل العربية، ويشبه في شكله العام وصفاته الوراثية ولون بشرته المجتمع الذي ينتمي إليه بالضبط، فما علاقة هذا الشخص بأوروبا، إنه عربي كامل العروبة بكل المقاييس.

وبمثل هذا الفهم يمكن اعتبار القبيلة "وطناً جينياً" و"وطناً بيئياً" تنمو فيه قواسمنا المشتركة تحت أثر التزاوج المستمر، وأثر البيئة، عبر الأجيال.

لذا فلا أجد أن الكتابة عن قبيلة ما، وعن تاريخها، وتحديد القبائل المنتمية إليها، والمحتمل انتمائها إليها يسقط حق أي أبنائها في انتمائه الحالي، حتى ولو لم يكن يحمل صيغة الدي إن إي المحددة للسلالة الأبوية لهذه القبيلة.

ولكن هذا لا يعني أن التقارب بين المجتمعات الملتقية في اختبارات الدي إن إي (Y) عموماً لا أهمية له، فلا شك أن تكريس مثل هذا التقارب سيدل على التداخل بين القبائل المتفرقة وبالتالي وحدة التاريخ والأصول الأولى، ويزيد من التواشج بين جميع القبائل العربية، ويعلي من الشعور بالقومية الموحدة.

ثالثاً: علاقة عنز بن وائل بربيعة الفرس

إن من لا يعرف الكثير عن تاريخ إقليم عسير وعلاقته بالجوار ومن لم يقف على الحالة الاجتماعية السائدة في هذا الإقليم، ومن لم يستوعب مضامين الشعر الجاهلي وعلاقة مدلولاته الجغرافية بهذه المنطقة بشكل جيد: فإنها ستبرز لديه الكثير من الأسئلة حول مدى إمكانية قبول وجود قبائل معدية عميقة الحضور التاريخي في المنطقة، وسيبحث عن تعليل لذلك، أو ربما افترضه.

ونجد ذلك من خلال ما أوردناه من محاولة البعض إثبات عدم وجود عمق تاريخي لقبائل عنز بن وائل في المنطقة، واعتبارها قبيلة طارئة، بصفتها معدية يفترض أنها شمالية قدمت من الشمال ثم فنيت، ومن ثم رفض أي ارتباط لمن ينتمون لبطونها بأسلافهم.

ولا يستبعد أن يتجه آخرون لاحقاً إلى محاولة ربط قبيلة "عنز" بطريقة أو أخرى بأصول أخرى غير ربعية ولا معدية، ومن ثم سنجد من يشكك في انتماء قبيلة عنز بن وائل المعروفة في منطقة عسير إلى معد.

لذا وفي هذا المبحث سنبحث في حقيقة انتماء عنز بن وائل إلى ربيعة الفرس المعدية وفي عمق استفاضة معديتها في المنطقة في العصر الجاهلي، وارتباط مفهوم عنز بن وائل الربعية المعدية بعنز المعروفة في منطقة عسير من خلال استقراء الأخبار الواردة في المصادر التاريخية.

جاء في كتاب تاريخ الملوك والأمم للطبري في أحداث سنة ١٦هـ:

"كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا فما ذهب لهم في الماء يومئذ إلا قدح كانت علاقته رثة فانقطعت فذهب به الماء، فقال الرجل الذي كان يعاوم صاحب القدح معيرا له: أصابه القدر فطاح، فقال والله إني لعلى جديلة ما كان الله ليسلبني قدحي من بين أهل العسكر" إلى أن قال:"وصاحبه حليف لقريش من عنز يدعى مالك بن عامر، والذي قال طاح يدعى عامر بن مالك"(١)

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ب ت ن، أحداث سنة ١٦، ج٤/ ص١٢

مما تقدم نجد أن مالك بن عامر[1] العنزي - حليف قريش - كان معروفاً بانتمائه إلى "عنز" بين الصحابة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ (عام ١٦هـ)، ولم يعد عدوياً كما كان أبوه (عامر بن ربيعة[2] في بدايات عهده، وكما يلاحظ.. فإن الإشارة إلى عنزيته جاءت بشكل مستقل في النص، حيث لم يرد اسم أبيه في النص، لنحتمل أن عنزيته كانت من استنتاج المؤلف بناه على كتب الأنساب اللاحقة، فنسبته إلى عنز جاءت من داخل النص المنقول، دون أن تربطه بوالده عامر بن ربيعة (الصحابي المعروف)، وهو ما يدل على استفاضة نسب عامر بن ربيعة ونسب ذريته إلى عنز بن وائل بين الصحابة في ذلك العهد المبكر، أي أن وجود عنز بن وائل كقبيلة، ينتسب لها أبناؤها، معروفة لدى القرشيين منذ ما قبل ابتداع فكرة التقسيم القحطاني العدناني الذي بدأ الرواة الحديث عنه في عهد معاوية وما بعده، وقد وجدنا بين التابعين ومن تبعهم من ينسب عامراً إلى اليمن، وهو ما يدلنا على استمرارية وجود عنز بن وائل بجهة اليمن منذ ما قبل الإسلام، ومن ثم نخرج من ذلك بأن عنز بن وائل المعنية لدى هؤلاء هي عنز بن وائل التي تقطن منطقة عسير، وهي ذاتها التي نسب إليها الصحابي عامر بن ربيعة.

وعنز بن وائل المعروفة منذ عهد الصحابة بجهة اليمن (بمنطقة عسير) هي ذاتها التي ذكرها الكلبي في القرن الثاني ضمن قبائل بني وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد في إطار سرده لنسب قبائل ربيعة[3]،

---

(١) "عامر بن ربيعة" صحابي جليل من قبيلة "عنز بن وائل" حالف بني عدي من قريش، ويظهر من خلال الرواية وتاريخها أن "مالك بن عامر" المذكور والمنسوب إلى قبيلة "عنز" هو ابنه.

(٢) كان الصحابي عامر بن ربيعة ﷺ في بداية عهده حليفاً للخطاب، فكان معدوداً في بني عدي من قريش إلى أن نزلت الآية " ادعوهم لآبائهم" فعاد إلى نسبه العنزي، ورغم ذلك فقد ورد لقبه في بعض المصادر: "العدوي" وإلى جانبه "العنزي".

(٣) الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، (رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١ -١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣/ ص٤٨٣ - ٤٨٦

عندما قال:

"فولد وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة: بكراً، ودثاراً، وهو تغلب؛ وعبدالله، وهو عنز؛ والشخيص، دخل في بني تغلب؛ والحارث، دخل في بني عايش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة؛ أمهم: هند بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد"[١].

وعندما حدد موطنها بقوله " وهم إلى جنب خثعم في السراة"[٢]. (قلت: ولا زالوا كذلك)

ثم عندما أورد فروعها وبطونها بالتفصيل، فقال:

"وهؤلاء بنو عنز بن وائل، وولد عنز بن وائل:رفيدة، وإراشة، فولد إراشة بن عنز: قتانا، وعسيرا، وجندلة، فولد عسير[٣] بن إراشة:مالكا، فولد مالك بن عسير:غنم، وولد تيم بن عسير:زهيرا، وسلمة، وعمرا، وولد رفيدة بن عنز:عبد الله، وعمرا، وربيعة ومعاوية، وعمرا، وحمارا، فولد عمرو بن رفيدة:شقيقا، وسلمة، وغنما، وعبد الله، وولد ربيعة بن رفيدة:مالكا، وولد مالك بن ربيعة:جذيمة، وسلامان، وتولب، فولد سلامان بن مالك:حجرا، منهم: عمر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة، شهد بدرا مع النبي (وهو حليف الخطاب بن نفيل أبي عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله بن عامر، ولد في زمن النبي ﷺ، منهم:مالك بن زيد بن الحارث بن خديج بن إياس بن ذهل بن سعد بن غنم

---

(١) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ج١/ ص١٩

(٢) الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب (رواية السكري عن ابن حبيب)، المصدر السابق، ج٣/ ص٤٨٥

(٣) وردت في التحقيق "عشير" والتصحيح من الكاتب هنا بناء على ما ورد لدى لهمداني في "الإكليل" وفي "صفة جزيرة العرب"، ونقلاً عن عبدالله بن عبار "أصدق الدلائل في أنساب بني وائل"، وبناء على الواقع

بن مالك بن عسير بن إراشة بن عنز، حليف الأزد بمصر، وولد عامر بن رفيدة: عبد الله، وإياسا، ووهبا، هؤلاء بنو عنز بن وائل"[١] .. انتهى.

ومما تقدم فقد أحال الكلبي في القرن الثاني للهجرة "عنز بن وائل" الموجودة في السراة بجوار خثعم إلى "عنز بن وائل" الربيعية المعدية، وأوضح نسبها وفروعها وبطونها المعروفة كما هي إلى الآن ببيان صريح واضح لا يقبل التشكيك.

كما أن عنز بن وائل هي ذاتها المذكورة بوضوح لدى الهمداني في القرن الرابع الذي فصل في قراها ومساكنها بجرش وأحوازها في بلاد عسير ورفيدة والشعف وامتدادها إلى بلاد جنب جنوباً وإلى بلاد الحجر شمالاً وإلى بلاد شهران شرقاً وامتدادها في تهامة[٢]، ثم أورد نسبها إلى بني وائل من ربيعة من معد بالتفصيل، كما فصل في بيان فروعها وبطونها في كتاب الإكليل، ومما أورد في ذلك قوله:

"وأولد عنز بن وائل على ما خبرني بعض من يصاليهم من جنب: رفيدة وأراشة فأولد رفيدة: ربيعة ومعاوية وعامراً وعبد الله وعمراً وحماراً، فأولد ربيعة مالكاً، فولد مالك جُريمة وتولباً وسلامان. وولد عامر بن رفيدة: عبد الله ووهباً وإياساً، وولد عمرو بن رفيدة سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله، وأولد أراشة بن عنز: عسيراً وقناناً وجندلة، فولد عسير: مالكاً وتميماً، فولد مالك: غنماً وجارمة وجدبلاً[٣] وتيماً، فولد تيم بن مالك: زهيراً وسلمة - وفيها بنو شيبة - وعضاضة، (وعضاضة من نهم من ربيعة أيضاً)، وبنو اللقاح"[٤]

---

(١) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، نفس المصدر السابق، ج١/ ص٩٤، ٩٥

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣٠، ٢٣١ ؛ ولمزيد من التفصيل راجع فصل "بلاد عنز بن وائل" في هذا الكتاب.

(٣) يذكر المحقق أنه ورد في نسخة أخرى "حديد" بدلاً من جدبلاً.

(٤) الهمداني، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٩/٢٠٠٨م، ج١ / ص٢٦٢، ٢٦٣

وهي ذاتها "عنز" التي ورد نسبها الوائلي في العصر الجاهلي على لسان مجاوريها مرتبطاً بمواطنها المعروفة شمال بلاد "خولان" و"جنب" و"خثعم"، فهي "عنز": "دار وائل" في قول الشاعر الخولاني "عمرو بن يزيد" أخو بني حي بن عوف (المعاصر لسيف بن ذي يزن)[1] عندما قال:

وملت إلى عنزٍ ففي دار وائلٍ   بهاليـــل منّا ســـادة وأسود[2]

وهي نفسها "عنز بن وائل" التي ذكرها مالك بن قطينة العوفي عندما قال في دخول عمرو بن يزيد في عنز بن وئل:

ترحل عمرو عن طلائع قومه   فحالف موج البحر عنز بن وائل

وكانوا لعمرو إخوة وبني أبٍ   فأكرم بها من عترة وقبائـــل[3]

وهي ذاتها عنز بن وائل - المعدية - التي خاضت مع العواسج الحميريين وحلفائهم من مجاوريهم حروباً أخذت بين الطرفين بعداً يحمل طابع العصبية القحطانية في مقابل العدنانية بصفة عنز بن وائل من قبيلة "معدّ" المعروفة التي احيلت إلى"العدنانية" - حسب السائد في حينه - وهو ما ظهر جلياً فيما نقل من شعر أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان بعد انتقاله إلى جرش في النصف الأول من القرن الهجري الأول، ومنه قوله:

لقد لفلفت عنز علينا وأجلبت   ودبـــت إلينا في كتائبها تســـري

وساقت علينا من معدٍّ قبائلاً   تبختـــر في الماذي في الحلق الخضر

فقالت معدّ إرحلوا من سيوفنا   وخلو بلاد الأكرمين ذوي الفخر[1]

---

(١) كان عمرو فارساً وسيد قومه بني عوف، وهو معاصر لسيف بن ذي يزن وله معه قصة ومساجلة أوردها الهمداني، وكانت أمه من عنز بن وائل، وقد انتقل إلى بلاد أخواله "عنز بن وائل" وحالفهم، الإكليل، ج١، ص٢٤٩، ٢٥١

(٢) الهمداني، الإكليل، ج١/ ص٢٤٩

(٣) الهمداني، الإكليل، ج١/ ص٢٥٦

وفي شعر محمد بن إبراهيم العوسجي والذي حمل نفس النبرة، ومنه قوله:

وكيف ترى عنز خضوعي وذلتي   ونهد وجنب جيرتي وأقاربي
وهم عدتي في النائبات وجنتي   وحصني ودرعي في الوغى ومخالبي[2]

وقوله:

يا أخوتا ثأري وثأركم معاً   لا تذهبن به العنوز الرضع
عيدانكم نبع إذا اقترن القنا   يوم الهياج وعود عنز خروع
عودوا لهم بكتيبة يمنية   سعدية فيها السِّمام المقنع[3]

ونلاحظ في أبيات عمرو بن يزيد المعاصر لسيف بن ذي يزن ثم في شعر أحمد بن يزيد في النصف الأول من القرن الهجري الأول ثم في أبيات محمد بن إبراهيم العوسجي في القرن الثالث الالتزام بربط عنز بـ"بني وائل" فهي "عنز بن وائل"، وبلادها هي: "دار وائل"، كما نلاحظ ربطها بـ"معدٍّ" فهي قبيلة معدية في نص أبيات العوسجيان، وهو ما يدلنا على استفاضة انتماء عنز بن وائل إلى معد في الوسط المحيط منذ ما قبل عهد سيف بن ذي يزن، كما أن استدعاء محمد العوسجي للعصبية اليمنية في شعره التحريضي لقبائل نهد وسنحان وجنب لمواجهة عنز بن وائل يدل على عمق الانتماء لكل من الطرفين وهو عمق لا يحتمل الخطأ، خاصةً من الجانب العنزي، فقد كانت عنز بن وائل تدفع ثمناً غالياً لتنزرها، وتكبد القبائل التي تقحطنت (على قول الهمداني) نفس الثمن ولنفس السبب، ولا يقبل أن لا تكون عنز نزارية معدية تعي معديتها جيداً بمثل ما يعيها الوسط المحيط، ثم تقبل أن تواجه بهذه العصبية والتكتل من القبائل المجاورة في مواجهتها، وتظل متمسكة بمعديتها الزائفة رغم فداحة الثمن.

==

(١) الهمداني، الإكليل، مصدر السابق، ج٢/ ص١٣٩- ١٤٠

(٢) الهمداني، الإكليل، مصدر السابق، ج٢/ ص١٤٣- ١٤٦

(٣) الهمداني، الإكليل، مصدر السابق، ج٢/ ص١٤٦-١٤٨

كما أن عنز بن وائل هي ذاتها الواردة في كتاب مفرح الربعي عندما مر بديارها االمجاورة لديار عبيدة واستضافه أحد شيوخها وأشار لها بقوله "عنز بن وائل"[(١)].

وهي "عنز بن وائل" التي وردت في كتاب الحسين بن أحمد بن يعقوب[(٢)] المسمى "سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني"[(٣)]، وعند الثقفي "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"[(٤)]، وعند ابن دعثم[(٥)]، وعند ابن أبي الرجال[(٦)]، وعند ابن رسول[(٧)]، وهي ذاتها التي أشار لها ابن الأثير[(٨)] وابن كثير[(٩)]، وكل هذه الإشارات كانت تشير إلى وائليتها وتربطها ببلادها في منطقة عسير، فيما بين مكة واليمن.

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الاميرين... ، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي - بيروت، ط١، عام ١٤١٣هـ، ص١٢٢، ١٢٣

(٢) هو الفقيه القاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب، من أعيان القرن الهجري الرابع باليمن

(٣) الحسين بن أحمد بن يعقوب، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١٧٥، ١٨٥

(٤) سليمان بن يحي الثقفي، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٩٨-٩٩

(٥) بن دعثم، أبي فراس، السيرة المنصورية الشريفة، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مج١/ ص٥٦

(٦) بن دعثم، أبي فراس، السيرة المنصورية الشريفة، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مج١/ ص٣٣٧

(٧) ابن رسول، عمر (الأشرف) بن يوسف، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ك. و. سترستين، ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ، ص١٢٠، ١٢١

(٨) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الشيباني، المكتبة العصرية - بيروت، ج٢/ ص٢٦٣٠

(٩) الدمشقي، أبو الفداء الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٦هـ، ج٨/ ص٥٧٦

وهي ذاتها "عنز بن وائل" (العسيرية) التي عناها الأمير عز الدين محمد بن الإمام عام ٦١٩هـ في قصيدته عند دخوله صنعاء، حين استعاض عن مسمى "عدنان" باسم "عنز " بموازاة ذكره لـ"قحطان" كأحد شقي العرب الذَين أطلق عليهما: "اليعربان" كناية عن "عدنان" و"قحطان"، في قوله:

"حولي اليعربان عنز وقحطان وجنب وأختها أنمـــار"(١)

وهي ذاتها التي أشار لها عبدالله بن حمزة في القرن السابع مفاخراً بالقبائل العدنانية على اليمانية في قصيدته "ذات الفروع" عندما قال:

ومنهم بنو النمر بن قاسط للعلا وعنزا إذا عد الفخار وتغلب

وعنز نفوا نهد بن زيد وجدعوا معاطسهم بعد اصطلام فأوعبوا (٢)

ومن ذلك فإن انتماء عنز بن وائل إلى "بني وائل"وإلى "ربيعة" وإلى "معد" كان أمراً مستفيضاً تعرفه عنز بن وائل عن نفسها، كما يعرفه ويعيه كافة مجاوريها، ويعيه كل النسابة والأخباريون، بل والعرب قاصيهم ودانيهم، ويتعارفون عليه منذ ما قبل الإسلام بفترة طويلة، وهذه الاستفاضة تؤكد لنا صحة انتساب عنز بن وائل إلى ربيعة وإلى معد، خاصةً وأنه أمر مجمع عليه، فلم نجد من يشكك في ربعيتها ولا معديتها ممن كتبوا عن هذه القبيلة.

وما كان لقبيلة يمنية أن تنسب نفسها إلى معد وهي بين القبائل اليمنية فتخوض لأجل ذلك حروباً تمتد لعدة قرون معرضة نفسها لاحتمال الفناء الكامل لو لم تكن معدية بالفعل، بل ربما أن عنز بن وائل تمنت لو أنها تجردت من معديتها وانتمت إلى الوسط المحيط، ومن ثم فإن انتماء عنز بن وائل إلى ربيعة وإلى معد هو أمر يمكن أن نؤكد حقيقته وباطمئنان كامل.

---

(١) اليامي الهمداني، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث، مركز تحقيقات كامبيوتر علوم إسلامي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٧٩

(٢) الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤، ج٣، ص١٩١

رابعاً: بين عنز بن وائل وعنزة بن أسد

من الملاحظ أن هنالك دائماً إشكال قديم متجدد لدى الرواة والأخباريين وأهل الحديث في التفريق بين "عنز بن وائل" و"عنزة بن أسد"، وفي فهم العلاقة بين القبيلتين، وطبيعة هذه العلاقة.

فرغم أن النسابين جميعاً قد فرقوا بين القبيلتين في النسب والموطن منذ بداية تدوين الأنساب، فنسبت الأولى إلى "عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة"، بينما نسبت الأخرى إلى "عنزة بن أسد بن ربيعة"، إلا أنه ظل هنالك خلط في أعيان القبيلتين، وأحداثهما، وفي الإشارة إلى أيهما، ونحن إذ نطرح ذلك ونناقش هذه الإشكالية، فإنه يعود لعدة أسباب نوجزها في التالي:

١- تقارب القبيلتين نسبياً، وتشابه مسمى الانتماء فيقال لأي أعلام القبيلتين "العنزي"، ما نتج عنه الخلط الذي وجدناه لدى الأخباريين والنسابة والرواة فيما بين أعلام عنز بن وائل وأعلام عنزة بن أسد وأخبارهم وأنسابهم وخاصة المتقدمين منهم إلى درجة عدم إمكانية التمييز لانتماء الكثير منهم، مما يعني أن حدوث الخطأ في هذا الخصوص أمر لا مناص من أخذه في الاعتبار.

٢- أيضاً فقد خلط الكثير من الرواة بين "عنز بن وائل" و"عنزة بن أسد" في روايتهم للأحداث التاريخية، وقد تأثر بعض المؤرخين بهذا الخلط لدرجة الاستمرار في توثيق الخطأ في العصر الحديث، بل ومحاولة إثبات صحته.

٣- استفاضة الانتساب إلى وائل وحمل العزوة الوائلية لدى قبائل عنزة (أولاد وايل) منذ زمن مبكر، ووجود مدونات قديمة تشير إلى ذلك، على خلاف ما هو مدون حول نسبها في أمهات كتب النسب.

وقد يكون من الطبيعي أن نفترض أن أكثر حالات الخلط بين القبيلتين هو ما يفترض الإحالة إلى "عنزة بن أسد" بصفتها قبيلة كبيرة معروفة لدى الرواة في عين التمر بالقرب من الكوفة، ولعلها احتوت وجود الجزء المهاجر من الطرف الآخر في الكوفة مجاوراً له،

فانعكس ذلك على وجوده في الشام ومصر وغيرها في المرحلة اللاحقة، بل إن هذا الاحتواء قد انسحب لدى الرواة إلى مناطق بلاد عنز بن وائل الرئيسية في منطقة عسير، فقد ذكر الرواة بعض أخبار عنز بن وائل في بلادها (بين مكة واليمن) منسوبة إلى "عنزة"[(١)]، ومن أقدم أمثلة هذا الخلط لدى الرواة والأخباريين والنسابة أن الصحابي الجليل "عامر بن ربيعة العنزي" والذي ينتمي كما هو معروف وحسب المتواتر إلى"عنز بن وائل" والتي تقطن منطقة عسير (أي في جهة اليمن)، كان بين الأخباريين والرواة من أطلق على قبيلته مسمى"عنزة"، ولكنهم (وخاصةً المتقدمين منهم) في مقابل ذلك اعتبروا"عنزة"(حي من اليمن)[(٢)] تبعاً لما هو سائد عن جهة وطن عامر بن ربيعة الذي قدم منه، وكنتيجة لذلك الخلط فإن بعض الرواة عندما ذكر اسم قبيلته قال بأنه من "عنزة بن وائل"، ومثل هذا الإشكال دار حول معظم أعيان عنز بن وائل، وهو ما يدل على وجود اللبس، وحدوث الكثير من الأخطاء، ولا زال هنالك الكثير من الحديث والخلط حول علاقة القبيلتين ببعضهما إلى وقتنا الحالي، فقد ذكر الغزاوي أن عنزة الموجودة حالياً في شمال الجزيرة العربية والعراق والشام هي "عنز بن وائل"، ولم يبحث أكثر من ذلك حول وجودها في منطقة عسير، وذهب نفس المذهب الكثير، ومنهم عدد من أبناء قبيلة الأشاجعة في كتاب: "قبيلة الأشاجعة من عنزة الوائلية"، حيث اعتبروا وجود "عنز بن وائل" في منطقة عسير امتداداً طارئاً فيما بعد الإسلام لقبيلة "عنزة" والتي اعتبروها هي "عنز بن وائل"[(٣)]، وقد استندوا – بالإضافة

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الشيباني، المكتبة العصرية - بيروت، ج٢/ ص٢٦٣٠ ؛ وانظر أيضاً: الدمشقي، أبو الفداء الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٦هـ، ج٨/ ص٥٧٦

(٢) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي، الثقات، ج٣/ ص٢١٩

(٣) حمود مهلي الأشجعي، مهارش العجرش الأشجعي، مساعد عوض الأشجعي، عويد القوطي الأشجعي، تحقيق د. إسماعيل سلامات، قبيلة الأشاجعة من عنزة الوائلية، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية، ب د ن، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١٢-١٧

إلى تشابه الأسماء وخلط بعض الأخباريين في ذلك - إلى كتاب "تاريخ عسير المنسوب زوراً إلى "محمد بن مسلط"، كما استندوا إلى ما نقله عمر بن غرامة من كتاب "إمتاع السامر" المنسوب زوراً إلى "شعيب الدوسري"، ولم يتنبه المؤلفون إلى ضعف المصادر التي استندوا إليها، ولا يلامون بصفتها مصادر متاحة، إذ الكثير خدع بذلك.

كما أن هنالك الكثير ممن يخلط بين القبيلتين منذ مراحل مبكرة، فقد اعتبر ابن الأثير[١] وابن كثير[٢] أن "عنزة" هي المقيمة في السراة بين الحجاز واليمن (في بلاد عسير)، وأشاروا للوباء الذي أصاب بلاد عنز بن وائل ولكنهم أطلقوا عليها بلاد "عنزة".

ورغم أن القبيلتين تنتميان إلى قبيلة واحدة في الأصل وإلى أرومة واحدة فهما من ربيعة بن نزار، ويلتقيان في أسد بن ربيعة حسب المدونات العربية المتوارثة جميعها، إلا أننا لا نستطيع في الوقت الحالي تقويم حقيقة الوضع حول علاقة "عنزة بن أسد" بـ"عنز بن وائل" بشكل قطعي من ناحية الانتماء، والمؤكد أن الزمن كفيل بفك رموز هذه العلاقة بعد أن تكون قد خرجت المزيد من النتائج لفحص الـ (دي إن إي) للقبيلتين سواء لعنزة في الشمال أو لعنز بن وائل في منطقة عسير، وبقية قبائل ربيعة في اليمامة والشام والعراق وإيران وتركيا وشمال أفريقيا وغيرها، ومن ثم يمكننا التحقق من طبيعة وعمق العلاقة النسبية ومنطقة الالتقاء بين القبيلتين، والقياس لمعرفة الصلة، وعلى العموم فإن نتائج الفحوصات حتى الآن تشير إلى تكتل لقبيلة عنزة بن أسد وفروعها، مع قبائل عسير، ورفيدة، وبني هاجر، وجزء من قبيلة العجمان، وجزء من قبائل الجحادر والحباب، تحت سلالة التحور (FGC29864)، كما يلاحظ تنوع السلالات الفرعية تحت نفس التحور لقبائل

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الشيباني، المكتبة العصرية - بيروت، ج٢/ ص٢٦٣٠

(٢) الدمشقي، أبو الفداء الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٦هـ، ج٨/ ص٥٧٦

منطقة عسير، مثل عسير، ورفيدة، والشعف، وتندحة (آل عجير)، والحباب، والجحادر، والعجمان، وغيرهم، وكل منهم يحمل بصمة سلالة تحور خاص، بينما عنزة تتكتل في معظمها تحت سلالة تحور واحد، وهو ما يدل على أن أصل هذه الأرومة نشأت في منطقة عسير، وأن عنزة هي إحدى الفروع الوائلية التي رحلت من المنطقة، ورغم وجود عينات قليلة متفرقة من خارج منطقة عسير إلى جانبها تحت التحور (FGC29864)، فإن التكتل الحقيقي تحت التحورات المتفرعة منه كان للقبائل التي ذكرنا، أما ما سواها فكانت عينات فردية مشتتة من هنا وهناك ربما تكون لبطون وأسر من ربيعة حالفت قبائل أخرى، ومع انه اتضح وجود الصلة وصحة النتماء الربعي لهذه القبائل، إلا انه لم يتم الوصول إلى ربط منطقة الالتقاء بالمتوارث في كتب الأنساب لتكوين صورة واضحة حول مصداقيتها ومعرفة العلاقة بين الطرفين حتى تاريخه.

ويلاحظ أن النصوص التي تربط الأخبار دائماً بقبيلة "عنزة" بن أسد كانت متأخرة، ومصدرها الأخباريون الذين بدؤوا التدوين في نهاية القرن الثاني للهجرة، وما بعده، بينما نجد أن النصوص المنقولة كما هي بحرفيتها عن الفترات المبكرة من القرن الأول تشير إلى غير ذلك، فنحن نجد الإشارة إلى وائلية عامر بن ربيعة، وإلى يمنيته في نفس الوقت منقولة على ألسن معاصريه من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم مباشرة، إلا اننا نلاحظ ذكر بعض الرواة بأنه من "عنزة" وإحالة "عنزة" إلى حي من اليمن[1]، ومنهم من أطلق على

---

(١) انظر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٣/ ص٢٩١، وقد نقل عن أبو نعيم (١٣٠ - ٢١٩هـ) في ترجمته لعبدالله بن عامر بن ربيعة العنزي ﷺ قوله: "عنزة حي من اليمن".
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي، الثقات، ج٣/ ص٢١٩
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢٥/ ص٣٢٥

قبيلته: "عنزة بن وائل"[١]، وهو ما يدل على افتراق القبيلتين وطناً وتداخلهما نسباً في ذاكرة المجتمع في مكة وما حولها، فكأنهم يشيرون إلى أن عنزة الموجودة في جهة الشرق ترتبط بتلك الموجودة في جهة اليمن رغم تباعد المواطن بين القبيلتين، ولكن ربما حصل الخلط بعدهم عندما انتقل المركز إلى الشام والعراق، وبدأ التدوين هنالك حيث تتواجد عنزة بكاملها منذ وقت مبكر متمركزة في "عين التمر" وما حولها، وبعد أن لاحظ الناس تباعد القبيلتين، فهذه لا زالت بادية وأولئك عليهم سمات الاستقرار والتحضر، بالإضافة لأثر الطابع الجبلي الحجازي السروي، كما أن ألسنتهم ربما تمايزت بتمايز الموقع والسكن والجوار فتمايزت في أسماع أهل العراق والشام ففرقوا بينهم في النسب تبعاً لذلك، وطغى ذكر عنزة على ذكر القلة ممن تواجد من "عنز بن وائل" الذين يبدو أنهم انضووا في عنزة أخيراً !.

ونجد مثال ذلك فيما ذكره المؤرخون - ومنهم الطبري - في خبر مشاركة قبيلة عنزة بن أسد في جيش علي بن أبي طالب ثم جيش الحسين بن علي، ولم يورد مشاركة عنز بن وائل في هذه الحروب، ولكن هنالك نص نقله الطبري - حرفياً - كما هو، ونجده يحمل بين طياته إشارة ضمنية إلى وجود عنز بن وائل أيضاً ضمن جيوش الحسين بن علي في عام ثلاثة وستين للهجرة[٢]

حيث أشار عرضياً إلى انتماء أحد أفراد الجيش إلى "عنز بن وائل"، وقد كانت الإشارة من داخل النص المحفوظ من ألسنة المتحدثين كما هو فبقيت كما هي، وربما لو لم تكن هذه الإضافة مدونة في النص المنقول لاعتبر "يزيد العنزي" من بني عنزة بن أسد الذين أفردوا لهم المشاركة دون عنز، فما يقوله الأخباريون خارج النصوص ومنهم الطبري

(١) ابن عبدالبر، أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، يليه في نفس الكتاب - الإنباه على قبائل الرواة (ترقيم موحد)، مكتبة القدسي، - القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص٩٧

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج٥/ ص٤٢١

ذاته من آراء، وافتراضات، ورتق للروايات، عادة ما يكون عرضة للتأثر بالسائد والمتنحي من الأخبار والمفاهيم في عصر الكاتب، فلا يشار إلى عنز بن وائل، بل دائما ما يشار إلى القبيلة ذات الاسم المشابه، والقريبة منها نسباً، السائدة في الموقع، وهي "عنزة" فقط.

وقد تحدث ابن قتيبة الدينوري في كتاب المعارف عن "عنزة بن أسد"، وعن "عنز بن وائل" فقال عن عنزة:

"وأما (عنزة بن أسد)، فاسمه: عامر - وسمي عنزة، لأنه قتل رجلاً بعنزة، ويقال: إن (عنزة) هو: ابن أسد بن خزيمة - فولد (عنزة): يذكر بن عنزة، ويقدم بن عنزة. "(١)

وقال عن عنز بن وائل:

"فأما (عنز بن وائل)، فولد: أراشة، ورفيدة. فمن أراشة: أشجع، وعضاضة"(٢).

والدينوري عاصر فترة مبكرة نسبياً - مقارنة بمعظم النسابة والأخباريين - وهي النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، فرغم أنه جاء بعد ابن الكلبي وبعد شيوع مؤلفاته وتأثيرها على الذاكرة الجمعية، مما يتوقع معه أن يكون لها أثر عليه أيضاً، إلا أن كونه مقارب له (هو من الجيل الذي جاء بعد وفاة هشام)، فإنه ربما عاصر بعض الأحداث والمفاهيم والوقائع التي كانت لم تزل متداولة، مما لم يعايشه من بعده من الأخباريين، ويتضح ذلك من حديثه عن عنز بن وائل حيث اختلف إلى حد ما عما أورده الكلبي قبله وما أورده الهمداني بعده، فمن خلال إيراده لهاتين القبيلتين اللتين أشار لهما (عضاضة وأشجع) واللتان لم يذكرهما الكلبي، فمن الواضح أنهما كانتا ضمن قبائل عنز بن وائل المعروفة في العراق والشام في مرحلته، إذ أنه لم يأت على بلاد عنز بن وائل ولا على التفرعات التي أوردها الكلبي في كتبه، مما يدل على أنه كان ينهل من منهل آخر ولم يبلغ مبلغ الكلبي، كما

---

(١) ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة، ط٤، ب ت ن، ص٩٢

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ، ص٩٥

يلاحظ أنه أورد تذييل جزئي منقطع لفروع عنز ولم يورد تدرج تسلسل النسب، حيث أورد البطنين المذكورين منسوبين إلى أراشة مستخدما العبارة (ومنه) بما يفيد أنهما ضمن من ينتمون لـ"أراشة بن عنز " (أحد فرعي عنز بن وائل الرئيسيين)، قلت لا شك أن ابن قتيبة الدينوري الذي كان بعيداً عن منطقة عسير قد أورد ما علم بوجوده في بيئته من فروع تنسب إلى عنز بن وائل، وهذا يدل على أنه كتب في ظل بداية الخلط في المفهوم حول القبيلتين وقبل حدوث المزيد من التداخل بينهما، فعضاضة جزء لا زال له وجود في بلاد عنز بن وائل، أما أشجع التي ذكرها فقد انقطعت عن عنز وأصبحت من فروع "عنزة بن أسد"، ولا زال بنو أشجع (الأشاجعة) يمثلون قبيلة كبرى من قبائل عنزة، ويقطنون في تلك الجهات (شمال الجزيرة العربية) مما يعني وجود صلة انتماء لهذه القبيلة بالقبيلتين، فـ"أشجع" كانت من "عنز بن وائل" في عهد ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦هـ)، ولكنها من "عنزة" في وقتنا الحاضر، مما يجعلنا نصادق على مقولة أن "عنز بن وائل" الذين خرجوا للفتوحات الإسلامية واستقروا في العراق والشام قد دخلوا في "عنزة بن أسد".

ورغم كل ما تقدم من إشارات حول تقارب عنزة مع عنز بن وائل في الانتماء، إلا أن القبيلتين لا شك كانتا منفصلتين منذ بدأ التدوين إلى يومنا هذا، ولا يصح البناء على هذا التقارب لإنكار وجود إحدى القبيلتين منذ عهد النبوة إلى الآن، فقد استنبط البعض من هذه الإشارات أن عنزة بن أسد المذكورة في القرون الأولى هي ذاتها عنز بن وائل التي ذكرت في منطقة عسير، وأن وجودها في منطقة عسير كان امتداداً مرحلياً طارئاً لما عرف بقبيلة "عنزة" القاطنة في عين التمر(١)، وهو ما تنفيه المصادر الإسلامية السابقة للدينوري، واللاحقة له، حيث ورد ذكر القبيلتين والتفريق بينهما على ألسنة بعض أبناء القبيلتين منذ وقت مبكر، فقد أورد الذهبي بسنده عن أبا غاضرة، محمد بن أبي بكر وهو أحد التابعين:

---

(١) حمود مهلي الأشجعي، مهارش العجرش الأشجعي، مساعد عوض الأشجعي، عويد القوطي الأشجعي، قبيلة الأشاجعة من عنزة الوائلية، تحقيق د. إسماعيل سلامات، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية، ب د ن، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١٢-١٧

"قال بينا أنا في حلقة ابن الزبير فقال لي رجل منهم يا أبا غاضرة ممن أنت قلت من عنزة قال من أيكم عامر بن ربيعة البدري قلت ومن عامر بن ربيعة قال أنت امرؤ من عنزة ولا يعرف عامر بن ربيعة البدري قلت عامر بن ربيعة بن عنز بن وائل لا من عنزة"[1]

كما أنه ورد عن ابن اسحق الذي عاش فيما بين القرن الأول والثاني للهجرة أنه تحدث عن عامر بن ربيعة العنزي (من عنز بن وائل) ونسبه إلى اليمن[2]، بينما ورد في حديث حنظلة بن نعيم العنزي عن عمر أن النبي ﷺ عندما ذكر عنزة قال: "حي من ها هنا – وأشار بيده نحو المشرق – مبغي عليهم منصورين"[3]، وهو ما يدل على وجود القبيلتين منفردتين ومفترقتين منذ ما قبل الإسلام، ومن ثم فالقبيلتين منفصلتين عن بعضهما منذ العصر الجاهلي.

وإذ ترجح وبقوة على كل حال وجود صلة نسبية لـ"عنزة" بـ"عنز بن وائل" أعمق من انتماء الطرفين إلى أسد بن ربيعة، فإن الواضح لدينا أن عنزة بكاملها في الأساس لم تكن

---

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢٥ / ص٣٢١ - ٣٢٢

(٢) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢٥/ ص٣٢٥

(٣) انظر:

- الهيثمي المصري، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق محمد عبدالقادر احمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج١٠/ ص١٥-١٦
- ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، جمعه وأشرف عليه، الدكتور أحمد معبد عبدالكريم، دار المنهاج، جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٢٩هـ، مكنز الجزيرة للنشر والتوزيع - جدة، ج١/ ص٥٤
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية - بيروت، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ، ص٣٥٢ -٣٥٣

إلا بطناً مهاجراً من بطون بني وائل والتي تمثل شعباً سائداً في منطقة عسير ونجران وما بينها، والأرجح أنها من عنز بن وائل أو من بكر بنْ وائل، فقد عرفت عنزة باستيطانها جبال الحجاز (جبال السراة) في العصر الجاهلي، يقول الزركلي:

"عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، من عدنان: جد جاهلي. كان من منازل بنيه في الجاهلية "جبال السراة" وكان لهم صنم اسمه "سعير" ونزلوا بعد الإسلام بعين التمر من برية العراق"[(١)]

فقد كانت عنزة تقطن في جبال السراة حيث عرفت عنز بن وائل (ولا زالت)، وهو ما يزيد الثقة بالصلة الوثيقة بين الطرفين، فالارتباط بنفس الجغرافيا في ذاكرة المجتمع يعني قرب عهد انفصالها، فلعل قبيلة عنزة في الأساس جزء من "بني أسد" التي ذكر الهمداني لها بقية ضمن قبائل عنز بن وائل، وذكر أن موطنها طلعان (دلغان)، ومن ثم فهي إحدى بطون عنز بن وائل او إحدى بطون بكر التي جاورت وحالفت "عنز بن وائل" قبل رحيلها فحملت اسمها، ولكنها فيما يظهر انفردت عن البقية منذ العصر الجاهلي فحُوِّر اسمها بشكل مستقل، بعد أن انعزلت عن القبيلة الأم التي استقر معظمها وعمل في الزراعة والتجارة، لذا ظلت عنزة تحمل اسمها الأساسي "عنز" محوراً إلى "عنزة"، وتتداول نسبها الأعلى (ربيعة) والخاص (بني أسد) كما هو، فافترض النسابون العرب لاحقاً لها كياناً ونسباً آخر يحمل الطرفين، فساد ذلك على الذاكرة الشعبية مع مرور الزمن، وهو ما سيأتي معنا تفصيله.

فالمحتمل في هذا الخصوص، أن مفردة "عَنَزَة" والتي سادت للدلالة على قبيلة معينة لم تكن بالضرورة تعني النسبة إلى جد يسمى "عنزة" كما زعم الأخباريون، مقلدين لبعضهم، بل ربما تكون صيغة الإحالة إلى الوحدة القبلية من بني "عنز" بن وائل، فيقال العنَزَةْ على وزن "الشكَرَةْ"، أو "العصَمَةْ"، فنقول مثلاً "إن الواقفون هنالك عصمة" -

(١) الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٥/ ص٩٢

بدلأ من قولنا " من بني عصيم" -، وعليه فقد يقال مثلاً "من هاجر إلى الشمال كانوا عنزة" بدلاً من قولهم "من بني عنز"، ويبدو أن هذا المسمى قد علق بذلك الفرع الذي انفرد عن القبيلة الأم حتى ارتبط به، أعني "بني أسد" الذين ذكرهم الهمداني في "دلغان" كأحد فروع عنز بن وائل، فذهب خيال النسابة إلى أنها قبيلة أخرى تنتمي إلى رجل اسمه "عنزة" وجعلوا من "بني أسد" العنزيين الذين كانوا في "دلغان": بني الجد الأكبر "أسد بن ربيعة"، وأحالوا المسمى إلى قصة ذكروها ابتداء بهشام الكلبي.

وهذا كله لا يعني أننا نقرر يقيناً بأن المنتمين لقبائل عنزة الحالية والقبائل التي عرفت بانتمائها لعنز بن وائل في منطقة عسير تجمعهم وحدة الانتماء لعنز بن وائل، بل وحتى في حالة ثبوت حقيقة وحدة الأصل يقيناً، فلا شك أن هنالك تحالفات، ودخول قبائل أخرى وعشائر في كلا الجانبين، قد يجعل كل قبيلة منهما أكثر ارتباطاً بجوارها، إلا أن المقصود في هذه الدراسة هو تسليط الضوء على المستفيض حول العلاقة المفترضة، وصفتها، ومعرفة ما تم من حراك تاريخي في بلاد عنز بن وائل.

الفصل الثاني

علاقة عنز بن وائل بمنطقة عسير

أولاً: بلاد عنز بن وائل

بعد أن تعرفنا على هوية القبائل المنتمية إلى عنز بن وائل، فلا بد أن نتعرف على بلاد عنز بن وائل بالتفصيل، ونعرف حدودها وامتدادها في كل الاتجاهات، وهنا سنعرض لمضمون المدونات التي بين أيدينا، وإذ أصبح من المتاح لنا الاطلاع على حقيقة أن عنز بن وائل قبيلة معروفة في بلادها في منطقة عسير منذ ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحالي حسب ما تفضي إليه الأخبار التاريخية والقصائد المعاصرة لتلك الحقب والتي نقلت لنا عن طريق الاخباريين والنسابة والشعراء، وما تحمله الآثار المروية عن التابعين وأعيان القرن الأول للهجرة من دلالات، إلا أننا لن نبدأ تدويننا هنا بتاريخ التواجد المفترض، بل بتاريخ المدونات التي ننقل منها بصفتها تعكس مفاهيم العصر الذي كتبت فيه، والموقع الذي كتبت منه، وحيث أننا لا نملك في العموم مدونات سابقة لمرحلة القرن الهجري الثاني، فسنبدأ من ما ورد في هذا القرن.

بلاد عنز بن وائل في نصوص القرن الثاني:

ومن ذلك ما جاء عند الكلبي في كتاب جمهرة النسب في قوله:

"عنز مع خثعم حيث كانوا حلفاء لهم، قال: وفي الكوفة درب يقال له درب العنزيين، لم يبق منهم في ذلك الدرب أحد، وهو إلى جنب خثعم، وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا، وكذلك هم بفلسطين مع خثعم"[١].

وهذا النص يؤكد على أن بلاد "عنز بن وائل" كانت مجاورة لبلاد "خثعم" في السراة فيما قبل مرحلة القرن الثاني للهجرة، قلت: وهي نفس المناطق التي عرفت فيها ولا زالت تقطنها فروع عنز بن وائل إلى هذه اللحظة مجاورة لقبيلة خثعم (شهران) على وادي بيشة، كما يدل على استيطان عنز بن وائل للكوفة وانتقالهم منها أو بينها فيما قبل عصر الكلبي.

بلاد عنز بن وائل في نصوص القرن الثالث:

أورد الهمداني في صفة جزيرة العرب ملخصاً لبلاد عنز بن وائل في جرش وأحوازها ومنه قوله:

"جرش وأحوازها... جرش هي كورة نجد العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير وهو من ولد يريم ذي مقار القيل ولهم سؤدد وعود وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عنز وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش والغاز من نزار من الغرباء وهم رابطة لعنز على العواسج ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها وجرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء حمومة وحمة وكولة ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة

---

(١) الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، (رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١ -١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣/ ص٤٨٥

بعطان، فجرش رأس وادي بيشة ويصالى قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تية وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمئة من تاريخ الهجرة، والدارة والفتيحا واللصبة والملحة وطبب وأتانة وعبل والمغوث وجرشة والحدبة هذه أودية عسير كلها. ومن النجدي أوطانها الرفيد بلد حصون وزروع لعنز ووادي هذا وسعيا ويسكنها البشريون من الأزد، وقد يقال أنهم من بلحارث، ثم يصلاها عنقة ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز ثم تندحة وهي العين من أودية جرش وفيها أعناب وآبار وساكنه بنو أسامة من الأزد ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة، والعيبا بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز، ويليها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز، والقرعا لشيبة من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى وهم مسالمون للعواسج. والذي يصالي جنب من ديار عنز الرفيد والغوص وأداي وعنقة والراكس والعين عين الرفيد وتمنية والعقالة فالرفيد يسكنه حازمة من عنز والغوص يسكنه بنو حديد من عنز، والراكس يسكنه بنو غنم من عنز والعين يسكنه بنو العراص من عنز، وتمنية يسكنها بنو مالك من عنز والمسقى لشيبة من عنز، وطلعان لبني أسد من عنز، والعيبا لبني أبي عاصم من عنز، ذو الينيم يسكنه بنو ضرار، والدارة وأبها والحللة والفتيحا فحمرة وطبب فاتانة والمغوث فجرشة بالإيداع أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود، وأما أغوارها إلى ناحية أم جحدم فالذيبة والساقة لبني جابرة من شيبة، ورأس العقبة لبني النعمان وهي عقبة ضلع، ومن جرش إلى رأس العقبة ثم إلى أسفل عقبة ضلع ثم إلى ياسبين ثم إلى سبتين ثم إلى عفرانين وإلى القوائم ثم إلى أم جحدم ومن جرش إلى بلد بني نهد وخثعم شرقيا وشماليا: تنداحة، ثم ذات الصحار لكود من عنز، ثم الشقرة لبني قحافة، ثم بنات حرب لجليحة، ثم حسد لبني الهزر ثم بلد نهد من جرش إلى كتنة: الهجيرة ثم يتلو سراة عنزو سراة الحجر بن الهنو ابن الأزد ومدنها الجهوة ومنها تنومة والشرع من باحان، ثم يتلوها سراة غامد، ثم سراة دوس ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الطائف، بلد خثعم: أعراض نجد بيشة وترج

وتبالة والمراغة وأكثر ساكن المراغة قريش بها حصنان أحدهما القرن مخزومي والثاني البرقة سهمي، بلد هلال: الواديان رنية وأبيدة ومن القرى القريحا وقد خربت، والعبلاء والفتق وقد خربت، انقضت نجد وحضر موت. "[١]

من خلال ما ذكره الهمداني فإننا نجد أن بلاد عنز بن وائل كانت تمتد جنوباً إلى قرية "العيص" الواقعة حالياً في قلب سراة عبيدة، وشمالاً إلى وادي عبل، كما تمتد بلادها إلى القوائم علي البحر الأحمر ومنه تمتد شرقاً إلى تخوم وادي طريب ونواحيه شرق تندحة، وتتخلل بلادها قرية "سعيا" لبني بشر، بالإضافة "للعواسج" - من حمير - الموجودين في جرش، كما أنها تمتد إلى "وادي تية" من جهة تهامة وتجاورها من الشمال بلاد الحجر ومن الجنوب بلاد جنب ومن الشرق خثعم، وهي منطقة واسعة.

بلاد عنز بن وائل في نصوص القرن الرابع:

كان تحديد الهمداني لبلاد عنز بن وائل في الفترة الواقعة ما بين نهاية القرن الثالث إلى قبيل نهاية العقد الرابع من القرن الرابع حيث عاش الهمداني، ولكننا نجد أنه في نهاية القرن الرابع ورد نص يحمل تحديداً مختلفاً لبلاد عنز بن وائل، فقد جاء في كتاب "أحسن الأقاليم.. " للبشاري المقدسي (ت٣٨٧هـ) ما نصه:

"والقبائل تأخذ من السروات نحو الشام، فتقع في أرض الأغر بن هيثم، ثم تخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى، ثم إلى سردد، ثم ألى ديار عنز وائل في بني غزية، ثم تقع في ديار جرش، والعتل، وجلاجل، ثم إلى ديار الشقرة، بها خثعم، ثم في ديار الحرث، بلد يقال له ذنوب، واسم ساحلها الشرى، ثم في شكر وعامر، ثم في بجيلة.... إلخ"[٢]

في هذا النص يظهر لنا بأن عنز بن وائل قد تمددت باتجاه الجنوب خلال النصف الثاني من القرن الرابع، حيث ذكرها في مناطق ما قبل جرش وجلاجل إلى الجنوب، وجلاجل هو

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩ - ٢٣١

(٢) البشاري، المصدر السابق، ص١٠٣ - ١٠٤

"ظهران الجنوب"، وهي مناطق لم يشر الهمداني إلى تواجدها بها، وهذا يعني امتداد عنز بن وائل إلى داخل محافظة صعدة في فترة ما بعد الهمداني، ولا ندري هل كان الأمر تقديراً خاطئاً من المقدسي، أم أن هنالك أحداثاً سبقت هذا النص، أم أن الهمداني تجاهل هذا التواجد لعنز بن وائل جنوبي بلاد جنب وبجوار سنحان ووادعة ؟

ورغم وجود إشارات لاحقة تؤيد هذا الاتجاه، وتلمح إلى تواجد لعنز بن وائل بجهة الجنوب (في راحة شريف وما حولها) عند تعرض المنطقة للوباء[1] نهاية القرن السادس، وإلى مجاورتها لقبيلة شريف[2] المجاورة لغيل جلاجل في العقد الثاني من القرن السابع للهجرة، كما سيأتي معنا، إلا أنه من غير المستبعد أن لا يتجاوز الأمر خطأ التقدير، فلعل المقدسي كان ينقل من الكتب السابقه ويقرنه بما يسمع، فخلط بين مواطن "عنزة بن أسد" في خيبر والتي انتهى بها الحال بعد رحيلها إلى "بني غزية" من طي - حسب المدون - وبين ما يسمعه عن وجود "عنز بن وائل" شمال صعدة، فانتهى إلى جعل عنز بن وائل في "بني غزية" (الواقعة بلادها في خيبر شمال المدينة المنورة) وجعلها في نفس الوقت جنوب "غيل جلاجل" (ظهران الجنوب) الواقع شمال صعدة !.

كما جاء في نفس المصدر في وصف جرش والتي هي إحدى بلاد عنز بن وائل:

"جرش مدينة وسطة ذات نخل، واليمن ليس ببلد نخيل، ونجران، مثل جرش، وهما دون صعدة، وأكثر ما ترى من الأدم فمن هذه المدن"[3]

وجرش بذاتها، والقرى الملاصقة لها لا تزرع النخيل، وربما عنى بالنخيل تلك

---

(١) ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه، ومحمد يحيى عزان، مركز التراث والبحوث اليمني، ص٦٧٤

(٢) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص٤٠٧

(٣) البشاري، أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي (٣٨٧هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٨٧

القرى المرتبطة بجرش في الشرق مثل خيبر ويعرى وأثب وطريب وخلافها إلى تثليث حيث يوجد النخيل في هذه المناطق، فقد يصح الخبر لو أراد ذلك.

بلاد عنز بن وائل في نصوص القرن الخامس:

بعد ذلك جاء ابن حزم[1] (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) بخبر آخر حول مواطن عنز بن وائل وذلك في قوله:

"وبنو عنز بن وائل بجهة الجند من اليمن، ذوو عدد عظيم، يبلغون عشرات الألوف"[2]

لا نعلم عن حقيقة ما أورده ابن حزم، فالشك يطاول دقة هذا النص، خاصةً وأن الجند - وهو اسم بلدة بالقرب من مدينة تعز - ارتبط خلال مرحلة من التاريخ بالإشارة إلى اليمن سياسياً، إذ كان به مركز حكم اليمن كاملة منذ تولي الصحابي معاذ بن جبل ﵁ وما بعده إلى القرن الرابع ثم في فترات متقطعة ونفوذ متذبذب فيما بعد، فهل كانت الإحالة إلى الجند من باب التعميم على هذا الأساس، أم أن عنز بن وائل بالفعل تواجدت بجهة الجند من أرض اليمن في تلك المرحلة، وإن صح ذلك: فهل كان وجوداً ثابتاً، أم أنه كان تواجداً مؤقتا استدعته حملة عسكرية أو خلافة ؟

ما أرجحه في هذا الخصوص هو الاحتمال الأول، أي عدم دقة المعلومة، حيث لم يرد أي ذكر حول استيطان بهذا العدد لعنز بن وائل في جهة "الجند" بالذات في كل المصادر اليمنية السابقة واللاحقة، وقد أعاد ابن حزم الإشارة لبلاد عنز في اليمن دون أن يشير إلى الجند في قوله:

---

(١) أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، من أكبر علماء الاندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفاً، وتأليفاً بعد الطبري، وهو إمام حافظ فقيه ظاهري، أديب وشاعر، ونسابة، وعالم برجال الحديث، وناقد محلل، وزر لبني أمية توفي في منزلة في منت ليشتم عام ٤٥٦هـ.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط الأعلام عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م، ص٣٠٣

"وبنو عنز بن وائل، وأخبرني أبو سالم الشيباني الأنباري الشاعر: أنه رأى دارهم باليمن، وأنهم أزيد من ثلاثين ألف مقاتل"[١]

ولعل إشارته هنا إلى بلادهم في اليمن نقلاً عن الشيباني تدل على مصدر مفهوم ابن حزم حول بلاد عنز بن وائل وانتمائها، حيث أن عدم وجود تحديد لدى الشيباني أدق من انتمائها لليمن بشكل عام، ترك أثراً ظهر في إشارة ابن حزم الذي احالها إلى الجند، حيث المركز السياسي الأكثر شهرة لبلاد اليمن في حينه، فكان كمن يشير إلى اليمن بكامله في إشارته للجند.

بلاد عنز بن وائل في نصوص القرن السادس:

جاء في القرن السادس نص الثقفي الذي تحدث عن وجود بلاد عنز بن وائل مجاورة لبلاد خثعم وجنب[٢] في سياق حديثه عن أحداث تلك المرحلة، ومنها خبر تحريض بعض قبائل المنطقة له لغزو بلاد عنز بن وائل[٣].

بلاد عنز بن وائل في نصوص القرن السابع:

ثم جاء بعد ذلك ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥)، فذكر وجود عنز بن وائل في تبالة وما حولها، وذلك في قوله:

"ودخلت جزيرة العرب، فسألت: هل بقي في أقطارها أحد من ربيعة ؟ فقالوا: لم يبق من يركب الخيل وفيه عربية وحل وترحال غير عنزة، وهم بجهات خيبر، وبني شعبة المشهورين بقطع الطرقات وهتك الأستار في أطراف الحجاز مما يلي اليمن والبحر، وبني عنز في جهة تبالة؛ وغير ذلك لا نعلمه في المشرق ولا في المغرب."

---

(١) ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص٤٨٤

(٢) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٢٠٠

(٣) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، نفس المصدر، ص٩٨- ٩٩

وفي قوله:

"وولده ثلاثة: بكر، وتغلب، وعنز. والشرف القديم والعدد لبكر وتغلب سكان الجزيرة الفراتية؛ والباقية لعنز، وهم الآن قد غلبوا على تبالة من أرض اليمن"[(١)].

وفي قوله:

"وأما عنز بن بكر بن وائل فالباقية الآن لهم، وقد غلبوا على تبالة وجهاتها من اليمن"[(٢)]

من الواضح أن ابن سعيد قد نقل عن الرواة وأخذ يكرر ما فهمه، ولم يقف على بلاد عنز بن وائل بذاتها، كما لم يعرف الكثير عنها، فخلط بين عنز بن وائل وبكر بن وائل، فجعل "عنز" ابناً لبكر بن وائل، وهذا خطأ، كما أنه تجاهل وجودها في جرش وأنحائها، وكرر الإشارة لغلبتها على جهة تبالة، ولعله قصد بذلك الإشارة إلى تبالة كجهة، أو لعله بنى على رؤيته لبعض حجاج عنز بن وائل القادمين من تبالة في مكة، عندما التقى بطفل منهم وتحدث إليه، كما أنه لم يذكر الكثير في كتابه عن عنز ولم يقف على أي أعيانها في كتابه، ولا شك أنه لو استعاد اليسير مما قرأه في السيرة لأمكنه على الأقل التعرف على واحدٍ من رجال عنز بن وائل وهو الصحابي الجليل البدري "عامر بن ربيعة" الذي لم يجهله أي من كتبوا التاريخ والسيرة، بل وعلى ابنه الصحابي عبدالله بن عامر، وهما من الأعلام المشهورة، ناهيك عن ما كتبه مشاهير رجال العلم عن أعلام عنز بن وائل، كابن ماكولا[(٣)]، وابن حجر[(٤)]، وغيرهم.

---

(١) الأندلسي، ابن سعيد، نفس المصدر السابق، ص٦٠٤

(٢) الأندلسي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص٦٥٠

(٣) ابن ماكولا، الإكمال من أعلام عنز بن وائل، ج٧/ ص٤٤

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت، ج٤٢/ ص٢٤٠

ونقول إن استيطان بعض عنز بن وائل في تبالة في مرحلة ابن سعيد، أو ما قبله، خلال نفس القرن الهجري (السابع) أمر وارد، وفي حالة حدوثه، فإنه لا شك لا يلغي ثقل وجودها في بلاد جرش، حيث بلادها الأساسية، كما هو متواتر ومتوارث إلى هذه اللحظة، وحيث لا زالت فروع عنز بن وائل الرئيسية: عسير، ورفيدة، وأراشة تقطن حتى هذه اللحظة.

ومن الملفت ما أشار له ابن لعبون (ت ١٢٤٧هـ) عن وجودٍ لبني وائل حوالي "بيشة" - حيث تتواجد "تبالة" - وذلك في قوله:

"أما بنو خالد الذين انحدروا من بيشة، فهم من الوائليين الذين انتقلوا ودخلوا في قبائل بيشة، من أكلب وخثعم وغيرهم، هذا ما نقل لنا من متقدميهم"

وقد علق محمد بن معبر على هذا النص بخصوص استيطان عنز بن وائل في بيشة بقوله:

"وهذه العبارة بمفردها - لا تفيد اليقين، إلا إذا ورد ما يعضدها، وهذا من المتعذر الآن. وقد ذكر السخاوي (ت٩٠٢هـ) أن رجلاً اسمه: محمد بن مقبل بن زائد العقيلي، ولد سنة ٧٩٠هـ، في بيشة من بلاد نجد، ثم صاهر قبيلة عنز بنواحي اليمن، ولم يذكر تاريخ وفاته. بل نجد الكلبي (ت٢٠٤) يذكر ارتباط عنز بن وائل بخثعم فيقول: (عنز مع خثعم حيث كانوا حلفاء لهم) وقال: (وهم جنب إلى خثعم، وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا). ولا يستبعد وجود بعض فروع قبيلة عنز بن وائل في بيشة، إذ الوادي - وادي بيشة - يبدأ من سراة عنز بن وائل، وهو المألوف انسياح القبائل على امتداد الأودية طلباً للمكان المناسب للاستقرار"[1].

وقد أصاب محمد معبر في استقرائه، إلا أنه كان قد أورد أيضاً نصوص ابن سعيد عن غلبة عنز على "تبالة" في معرض حديثه عن استيطان عنز لتبالة، وأورد نص ابن لعبون، ولا أعلم، لمَ لمْ يربط ما ورد عند ابن سعيد بما ورد عند ابن لعبون، فتبالة أحد

---

(١) محمد بن أحمد معبر، بحث بعنوان: "قراءة نقدية تصويبية في كتاب: إقليم عسير في الجاهلية والإسلام. لعمر بن غرامة العمروي"، في كتاب "القول المكتوب في تاريخ الجنوب - الجزء الثامن" لغيثان بن جريس، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٢٩٥-٣٣٣

روافد بيشة وينتهي بالقرب من بيشة (البلد)، ووجود بني وائل في "تبالة" يعني بالنسبة لأهل اليمامة وجودهم في "بيشة"، حيث يشار للاسم الأشمل والأشهر (بيشة) ممن كان بعيداً عن الموقع (في اليمامة مثلاً) كما هو الحال مع ابن لعبون، بينما يشار للاسم الفرعي (تبالة) ممن هو قريب منه (في مكة مثلاً)، كما حدث مع ابن سعيد الأندلسي، ورغم أن الربط بين الخبرين يرجح صحة استيطان عنز بن وائل لبيشة (بصفة تبالة من روافد بيشة)، وصحة الهجرة منها إلى اليمامة التي رجح صحتها معبر بناء على ما ورد عند ابن لعبون عن وائلية آل عطا الذين منهم "عامر السمين" الذي قال: "أنا من بني عبدالحميد بن مدرك ** هل الضرب في الهامات والنسب العالي"[(١)]، مما يحمل الدلالة على انتماء آل عطا إلى بني عبدالحميد بن مدرك - من بني روح بن مدرك الذين أشار ابن رسول إلى أنهم من عنز بن وائل[(٢)]، إلا أننا نظل رغم تأييدنا لهذا الترجيح، نفتقر إلى اليقين حول ذلك كما ذكر الأستاذ معبر، خاصة وأن ابن سعيد قد استخدم لفظة "جهة تبالة" مما يعني التقريب لا التحديد، وبالإضافة لكل ذلك، فإن بلاد عنز بن وائل الأساسية حوالي جرش تقع على وادي بيشة أيضاً، ويمكن الإشارة إلى وجودها حوالي بيشة من هذا الباب.

وتجدر الإشارة إلى أن هنالك نص ورد في نهاية القرن الثالث عشر للهجرة يحمل دلالة على الانتشار القوي لعنز بن وائل في المنطقة واستفاضة ذلك حتى تلك المرحلة، حيث ربط النص اسمها بكافة أودية وسهول أنحاء إقليم عسير، وكان ذلك في مذكرات القائد العثماني "أحمد راشد باشا" في نهاية القرن الثالث عشر للهجرة[(٣)]، عندما عدد بلاد وقبائل المنطقة والتي كانت تشمل منطقة عسير والباحة، ثم ذكر أنه يطلق على أوديتها وجبالها "بلاد عنز"، وهو ما يتلائم مع الإشارات التاريخية التي تدل على امتداد عنز بن

(١) نبذة في أنساب أهل نجد، جبر بن سيار، ص١١٨ ؛ عامر السمين، أحمد الفهد العريفي، ص٧٤

(٢) ابن رسول، الأشرف بن عمر الغساني، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ص١٢٠

(٣) راشد، الأمير آلاي أحمد، الحملة العثمانية على عسير، قدم له وعلق عليه د. محمد آل زلفة، بلاد العرب للنشر والتوزيع - الرياض، ط١ ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص١٥٧

وائل فيها بعد عصر الهمداني على مناطق واسعة من منطقة عسير، مثل شمال صعدة فيما وقع جنوب غسل جلاجل كما ورد لدى البشاري[1]، وكراحة شريف وما حولها كما ورد في المصادر اليمنية حول موطن الوباء الذي حل ببلاد عنز بن وائل[2]، بالإضافة لما ذكر من إشارات حول تواجدها في بيشة وتبالة[3].

وقد تواجدت مجموعات من عنز بن وائل بعد الفتوحات الإسلامية في مناطق متفرقة من المراكز الإسلامية ومن ذلك مجموعة أقامت في فلسطين، وكان منهم أحد الصحابة ممن ولّاهم النبي ﷺ على أقوامهم، وهو عبادة بن الأشيب العنزي الذي استقر في فلسطين بعد الفتوحات وأصبح في عداد أهلها، بالإضافة إلى عدد من المحدثين مثل محمد بن شاهر العنزي، ومطرف بن جبير، والمصادف بن أمية.. وغيرهم[4]، وتواجدت جماعة أخرى في الكوفة، حيث عرف بها درب عنز بن وائل الذي ذكره الكلبي[5]، كما عرف مسجد عنز بن وائل في الكوفة، وهو ما يدل على استيطان عنز بن وائل للكوفة، وكان هنالك ذكر لعدد من المحدثين ورجال العلم والقادة والأعيان الكوفيين ممن يحملون اسم العنزي، إلا أنه يصعب التفريق في انتمائهم بين "عنز بن وائل" و"عنزة بن أسد"

---

(١) البشاري، المصدر السابق، ص١٠٣ - ١٠٤

(٢) أوردت المصادر خبر حدوث وباء في بلاد عنز بن وائل وحددت موقعه الجغرافي ببلاد راحة وما حواليها، حول ذلك انظر:

- ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه، ومحمد يحيى عزان، مركز التراث والبحوث اليمني، ص٦٧٤
- بن دعثم، أبي فراس، السيرة المنصورية الشريفة، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مج١/ ص٥٦

(٣) نبذة في أنساب أهل نجد، جبر بن سيار، ص١١٨ ؛ عامر السمين، أحمد الفهد العريفي، ص٧٤

(٤) ابن ماكولا، الإكمال، ج٧/ ص٤٤

(٥) الكلبي، جمهرة النسب، ج١/ ص١٩٣

بدرجة يقينية بسبب الخلط الذي حصل عند الرواة بين القبيلتين في كتابة الأسماء، وعدم تحديد صحة الانتماء أو تحديده خطأً، كما كان هنالك وجود لعنز بن وائل في الأندلس وممن عرفوا بها الفقيه المحدث إبراهيم بن عبدالملك الصدفي من أهالي بطليموس[(١)]، وقد تواجد بعض عنز بن وائل في مصر أيضاً ومنهم "مالك بن زيد بن الحارث بن خديج بن إياس بن ذهل بن سعد بن غنم بن مالك بن عسير بن إراشة بن عنز بن وائل"[(٢)].

ومن كل ما تقدم فلا شك أن لعنز بن وائل وجود في أكثر من موقع من العالم العربي والإسلامي، إلا أن بلاد عنز بن وائل الأساسية التي عرفوا بها وعرفت بهم منذ العصر الجاهلي هي: أعالي وادي بيشة وروافده مثل "أبها" و"جرش" وأحوازها من بلاد عسير ورفيدة وأراشة وما حولها (ما بين ترج وطلحة الملك)، ووجودها خارج هذه المنطقة فيما تحقق لنا حتى الآن هو حضور لاحق لوجودها في جرش (منطقة عسير).

أما مدن وقرى عنز بن وائل في منطقة عسير حيث جرش ونواحيها فهي كثيرة جداً ولا يمكن حصرها في كتاب، وتشمل كل بلاد عسير ورفيدة والشعف وتندحة وما بينها، ومن ثم فإننا أمام عدد من الحواضر والقرى يلزم لحصره مؤلف مستقل، ولكننا سنذكر هنا بعض من بلاد عنز بن وائل التي ذكرت في المصادر التاريخية، ومن ذلك ما ذكره الهمداني حيث أورد في كتاب "صفة جزيرة العرب"، وفي أبيات بعض القصائد التي وردت في كتاب "الإكليل" عددا من بلدات عنز بن وائل المشهورة في عصره، ومنها التالي:

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت، ج٤٢/ ص٠٤٢

(٢) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ج١/ ص٩٤، ٩٥

١- أبها	٢- المغوث	٣- أتانة	٤- المسقى
٥- الإيداع	٦- تمنية	٧- الملحة (الملاحة)	٨- تندحة
٩- الحدبة	١٠- ذوالينيم	١١- الدارة	١٢- جرش
١٣- الذيبة	١٤- جرشة	١٥- الراكس	١٦- عنقة
١٧- الرفيد	١٨- ذات الصحار	١٩- الساقة	٢٠- رأس العقبة
٢١- العقالة	٢٢- طبب	٢٣- العيبا	٢٤- طلعان (دلغان)
٢٥- العين	٢٦- عبل	٢٧- الغوص	٢٨- هذا
٢٩- الفتيحا	٣٠- اللصبة	٣١- القرعا	٣٢- أداي[١]
٣٣- حنوية	٣٤- المربع	٣٥- الرونة العليا	٣٦- الرونة السفلى[٢]

والملاحظ أن هذه الستة وثلاثون بلدة التي أوردها الهمداني تتألف كل واحدة منها من عدة قرى، فهي أسماء لمجموعات قروية موحدة الانتماء.

كما أورد أهل الحديث والأخبار وكتب الرجال بعض المدن والبلدات التي استوطنها العنزيون خارج منطقة جرش وأحوازها، ومنها: تبالة[٣]، والكوفة[٤]،

---

(١) من رقم (١) إلى رقم (٣٢) وردت عند الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، في كتاب صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد بصنعاء، ص٢٢٩ - ٢٣١

(٢) ذكر الهمداني بلدات حنوية، والرونتان، والمربع عرضياً في كتاب الإكليل على لسان الشاعر إبراهيم العوسجي بصفتها بلدات عامرة من بلاد عنز بن وائل، إلا أنه لم يتنبه لهذه القرى في كتاب صفة جزيرة العرب، فلم يأت على ذكر قرى الرونتان، ولا حنوية، ولا المربع، وهو ما يدلنا على وجود نقص كبير في البلدان المحلية المشار إليها في كتاب صفة جزيرة العرب، وأن ما يذكره الهمداني هو فقط إشارات مختصرة للدلالة، لا للشمول والإحاطة، انظر: الإكليل، ج٢/ ص١٤٦

(٣) إبن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى - عمان، ب ت ن، ص٥٩٩ - ٦٠٣

(٤) للمزيد راجع:

==

وفلسطين[(١)]، وصيدا[(٢)]، وبطليموس[(٣)] (من بلاد الأندلس).

كما أن هنالك حضور لعنز بن وائل في اليمن، يبدو أنه بدأ في القرن السابع بعد حدوث الوباء، إذ تشير المصادر إلى مشاركة مجموعة من عنز بن وائل في احداث ما بين عام ٦١٤ - ٦١٩هـ في صعدة، والمشاركة مع الإمام عز الدين في دخول صنعاء[(٤)]، ولا زال هنالك قبيلة يقال لهم العنزيين في جهة الجراف[(٥)] بصنعاء.

ثانياً: عمق علاقة الانتماء بين "جرش ونواحيها" و"عنز بن وائل"

يذكر البعض من المهتمين بالكتابة في التاريخ والأنساب في العصر الحديث أن عنز بن وائل حضرت إلى منطقة عسير من الشمال، ويحاول بعضهم حصر وجودها في حدود ما بين مرحلة أول ذكر مدون مشهور لها في المنطقة وهو حوالي القرن الثالث حيث ورد ذكر

==

- الكلبي، جمهرة النسب، ج١/ ص١٩٣
- البلاذري، الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق عليه، عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف - بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٠١

(١) الأزدي، أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط١ - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج١/ (المتن) ص٥ - ٦

(٢) ابن عساكر، ، تاريخ دمشق، ج١٩/ ص٧٥، ج٥٥/ ص١٥٤،

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت، ج٤٢/ ص٢٤٠

(٤) اليامي الهمداني، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، ص١٧٩

(٥) جحاف، لطف الله، حوليات المؤرخ جحاف - السنوات الاولى من سيرة المهدي عبدالله، تحقيق ودراسة د. حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر - دمشق/ بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٦٩

وجودها والإشارة إلى حواضرها وحدود بلادها مع مجاوريها في هذه المنطقة في كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمداني[(١)] الذي عاش في القرنين الثالث والرابع الهجري، ومرحلة آخر ذكر مشهور وصل إليهم عنها في هذه المنطقة في الكتب المشهورة وهو نهاية القرن السادس للهجرة، حيث أنها قد اندثرت وتشتتت حسب رأيهم[(٢)] بعد أن أصيبت بالوباء[(٣)].

وعلى ذمة أصحاب هذا الرأي، فقبيلة عنز بن وائل لا تتجاوز أن تكون قبيلة طرأت في مرحلة من مراحل التاريخ على هذه المنطقة التي لا تمت لها بصلة ثم اندثرت واختفت، وهذا مخالف للحقيقة التي ترشح عن الأخبار التاريخية، وما نقل على ألسن المعاصرين لمراحل بدايات التدوين حول وجود هذه القبيلة بل ووجود كافة ربيعة منذ ما قبل الإسلام بفترات طويلة.

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٢٩ - ٢٣٣

(٢) ومن ذلك:

- ما ورد في الكتاب المزور باسم: "إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر" (ن أ)، المنسوب لشعيب الدوسري، ص١٨
- ما ورد لدى: العمروي، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، ج١ ص١٦٤ - ١٦٥، ومن الملاحظ أن ما أورده العمروي كان نقلاً عن مجموعة إمتاع السامر رغم أنه لم يشر إلى مصدر معلوماته في الكتاب، بينما هي المصدر الوحيد للمعلومة.
- ما ورد لدى: مطوان، أحمد علي، جرش، ص١٢١-١٢٤، ١٢٧-١٥٢

(٣) عن بعض ما جاء عن هذا الوباء مما اتكأ عليه أصحاب هذا الرأي انظر:

- الدمشقي، أبو الفداء الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٦هـ، ج٨/ ص٥٧٦
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الشيباني، المكتبة العصرية - بيروت، ج٢/ ص٢٦٣٠

وقد ذكر أبو عبدالرحمن بن عقيل أن بلاد عنز بن وائل انتقلت إلى بيشة وتبالة وما حولها ثم انتقلت إلى الغرب حيث بلاد جرش ونواحيها فأكسبت الموقع اسمها، ومن ذلك إطلاق مسمى "عسير" الذي يعود إلى أحد فروع عنز بن وائل وهو "عسير بن أراشة بن عنز بن وائل"، واعتبر أن احتمال وجود أسر وعشائر يمنية بين قبيلة عسير سيكون ناتج عن وجود هذه العشائر والأسر في ما قبل سيطرة عسير العنزية على المنطقة - إذ أن هذه المنطقة يمنية أصلاً (على حد قوله)[١]، وقد وجدت من يساند هذا الرأي بين أبناء المنطقة ولكن بوجه آخر، فقد وجدنا من يدعى أن عنز بن وائل سيطرت على بلاد عسير، فانضوت عسير في عنز بن وائل على اعتبار أنهم يرون أن عسير في الأصل هي قبائل متفرقة من الأزد[٢].

والحقيقة أن عنز بن وائل ليست جسماً محدثاً في هذه المنطقة، فكامل ربيعة كان لها وجود راسخ في هذه الديار بل وامتداد وصل إلى أقصى العمق اليمني، كما سيأتي معنا.

ونرى أن الحديث عن حضور عنز بن وائل إلى المنطقة من الشمال، أمر مقبول في إطار دراسة الهجرة العربية الشاملة من منطقة الهلال الخصيب إلى جزيرة العرب، أي هجرة كافة قبائل العرب الساميون الذين تيامنوا من بلاد العراق والشام - كما سيأتي معنا - وانتشروا في كافة أنحاء الجزيرة العربية بما فيها اليمن، وليس من خلال كونها طارئة بذاتها، إذ لا حقيقة لذلك كما سنرى.

فعنز بن وائل بناء على ما تدل عليه إلماحات الجاهليين في الشعر والأساطير والروايات هم بقية ربيعة التي تشاءمت معظم بطونها في العصر الجاهلي، بينما بقي بعضها مثل "عنز"

---

(١) الفريح، عبدالرحمن، بنو بكر بن وائل، تقديم ومراجعة أبو عبدالرحمن بن عقيل، دار ابن حزم للنشر والتوزيع - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ص١٢١

(٢) انظر - على سبيل المثال لا الحصر - كلاً من:

- مطوان، أحمد، جرش - دراسة في المكان والسكان، ب د ن، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٤٤
- آل عساف، محمد، موقع الجهوة، مكتبة الحكمي - الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ، ص٩٣ - ٩٤

وسواها ممن استقروا وتحضروا في أوطان ربيعة الأولى ما بين جنوبي الحجاز وتهامة ونجد (حيث إقليم عسير).

أما رواية البكري في المعجم في قوله "وتيامنت عنز"[1] فهو أمر بني على السائد في حينه، لا على واقعة مشهورة، لذا لا يصح الاستدلال به في هذا الخصوص، فهو افتراض مرسل، لم يؤيده الراوي بأي رواية أخرى تحدد ملابسات هذه الهجرة، ولا تاريخها، فافتراض انتماء القبائل المعدية (العدنانية) إلى الشمال وانتماء القبائل غير المعدية (القحطانية) إلى اليمن (الجنوب) دارج منذ القرن الإسلامي الأول، يضعه الرواة افتراضاً، ولكننا لم نجد في الآثار والنقوش ما يدل على ذلك، بل إن الدراسات الجادة المتجردة من أثر الرواية العربية حول الأنساب - الطارئة في العصر الأموي - لا تعتد بهذه الفكرة، كما سيأتي معنا.

وقد تأكد خطأ هذه الرواية أخيراً من خلال نتائج الـ"دي إن إي" والتي أفرزت العرب إلى قبائل متفرقة ومتداخلة لم يكن للتقسيم القديم (العدناني القحطاني) أي ملامح فيها، إذ تكتل المعديون (حسب المستفيض) ومعهم جزء من قبائل البادية المحسوبة (حسب المستفيض) على قحطان تحت سلالة واحدة تعرف باسم "التحور (FGC1723)"، بينما تشتت البقية تحت سلالات التحورات المجاورة، ولم يكن هنالك عرق يمني جامع بالطريقة التي كانت تدعيها الروايات العربية، كما سيأتي معنا.

ومما يثبت أصالة انتماء عنز بن وائل إلى منطقة عسير وما حولها، لا إلى بلاد العراق وهجر واليمامة، أنه ورغم التشتت والاختلاف الكبير في نتائج الفحص الجيني عن الموروث لهيكل القبائل العربية، إلا أننا وجدنا توافقاً بين نتائج الدي إن إي والمتوارث في الكتب التاريخية في حالة واحدة فقط: وهي تكتل عينات متفرقة من بطون قبيلة عسير وأخرى من بطون رفيدة وغربي شهران تحت سلالة واحدة ثم التقاؤهم بسلالة تتكتل تحتها قبائل متعددة، منها قبيلة عنزة (القبيلة الربعية الشهيرة المعروفة ما بين خيبر وعين

---

(١) البكري، أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، المصدر السابق، ج١ ص٨٣

التمر)، وقبيلة رفيدة (وقشة وعينة من جارمة)، وجزء من قبيلة العجمان، وقبيلة الهواجر (بنو روح بن مدرك)، وقبيلة الجحادر (جحدر بن ضبيعة) وقبيلة الحباب، وكلا السلالتين أعلاه (المشتملان على سلالات هذه القبائل) يلتقيان تحت سلالة واحدة، وتلتقي هذه السلالة بسلالة أخرى تتكتل في بلاد اليمامة (حيث استوطنت بكر بن وائل، والنمر بن قاسط)، وبأخرى تحتوي جزء من العجمان في جهة المنطقة الشرقية من المملكة (حيث استوطنت عبدالقيس)، وهو ما يعني أننا قد تحققنا من وجود قبيلة ربيعة ووجدنا موقعها على الخريطة الجينية وتحققنا من موقعها الجغرافي، فمعظم هذه القبائل التي اجتمعت تحت التحور الأكبر لها موروث ربعي بطريقة أو أخرى، وتقطن (أو قطنت) في إطار (أو جوار) بلاد عنز بن وائل، فالعجمان موطنهم الأساسي هو "بدر الجنوب" الواقعة ما بين نجران وتثليث وجرش، بينما يذكرون أن جزءاً منهم هم من بني عبدالقيس حالفوهم عندما حلوا المنطقة الشرقية[١]، والجحادر ديارهم حوالي عين قحطان وتثليث وما حولها وما بينها وبين بلاد سنحان ويام، وقد ورد مسمى "بني جحدر" و"جنب" في قبائل ربيعة بالإضافة لصراحة نسب "عسير" و"رفيدة" إلى عنز بن وائل الربعية، وصراحة نسب "عنزة" إلى ربيعة.

وحيث أن القبائل المتبقية - ما عدا عنزة - كلها تنتمي جغرافياً إلى منطقة عسير، وأن تردد التحورات المنبثقة من التحور الأكبر (BY8) أكبر ما تكون في منطقة عسير، فإن ذلك يدل على أن سلالة هذا التحور يفترض انها نشأت بها، وتكاثرت بها ومن ثم كان لتنوع السلالات بها أن يكون أكثر مما هو بسواها من البلدان التي طرأت بها بعض بطون هذه القبيلة[٢].

وفضلاً عما ذكرنا حول ثبوت انتماء ربيعة إلى الجغرافيا العسيرية من خلال الفحص الجيني، فإنه وبتتبع أخبار الأحداث التاريخية الأولى لقبيلة عنز بن وائل في جرش وأحوازها

---

(١) شاكر، محمود، شبه جزيرة العرب - نجد، ص١٠١

(٢) للمزيد حول دلالات فحوصات الدي إن إي انظر: هذا الكتاب/ المبحث الأول / الفصل الثالث / ٣- هيكل تقسيم القبائل في مناطق إقليم عسير حسب نتائج فحص الدي إن إي"

(منطقة عسير) نجد أنه ورد ذكر لها يحمل ضمنياً الإنباء عن امتدادها الزمني على الجغرافيا العسيرية إلى ما قبل مرحلة العصر الجاهلي القريب من ظهور الإسلام بكثير.

فقد أورد الهمداني في الإكليل أخباراً تدل على وجود عميق لعنز بن وائل حوالي جرش (منطقة عسير)، أي منذ ما قبل الإسلام بفترة طويلة، وعلى اعتراف مجاوريهم بشرعية وجودهم وأقدميتهم وأحقيتهم ببلادهم التي يقيمون بها في ذاكرة المجتمع المحلي، ومن ذلك ما أورده الهمداني على لسان "عمرو بن يزيد" أخو بني حي بن عوف من خولان، المعاصر لسيف بن ذي يزن[١] ـ والذي كانت أمه من عنز بن وائل[٢] -، ومنه قوله بعد أن ترك قومه ودخل في عنز بن وائل (أخواله):

وملت إلى عنزٍ ففي دار وائـلٍ　　　بهاليل منا سـادة وأسـود[٣]

وقد قال مالك بن قطينة العوفي حول دخول عمرو بن يزيد في عنز بن وئل أبيات منها:

ترحل عمرو عن طلائع قومه　　　فحالف موج البحر عنز بن وائل

وكانوا لعمرو إخوة وبني أبٍ　　　فأكرم بها من عترة وقبائل[٤]

ومن خلال هذه الأحداث والأبيات والتي تدلنا على أن وجود عنز بن وائل في

---

(١) جرت له مع سيف بن ذي يزن محاورة عندما سأله سيف عن أحواله وقال له: شبت بعدي يا اخا بني عوف، فأجابه شعراً ومنه:

فما كبر يشيب لدات مثلي　　　ولكن شيبت رأسي الحروب... إلخ،

وقد شهد عمرو مع سيف بن ذي يزن حرب الأسباء، والصدف، وحضرموت، فعقل نفسه زويداً ورمى مالك بن زيد الصدفي الملك فقتله انظر: الإكليل، ج١، ص٢٥١

(٢) كان عمرو فارساً وسيد قومه بني عوف، وهو معاصر لسيف بن ذي يزن وله معه قصة ومساجلة أوردها الهمداني، وكانت أمه من عنز بن وائل، وقد انتقل إلى بلاد أخواله "عنز بن وائل" وحالفهم، الإكليل، ج١، ص٢٤٩، ٢٥١

(٣) الهمداني، الإكليل، ج١/ ص٢٤٩

(٤) الهمداني، الإكليل، ج١/ ص٢٥٦

حاضرتهم "جرش ونواحيها" المجاورة لبلاد خولان، واستقرارهم بها، واستفاضة إطلاق مسمى "دار وائل" على بلادهم في تلك الجهات بين المحيطين كان سابقاً لزمن سيف بن ذي يزن، حيث أن عمرو المذكور الذي عاصر سيف بن ذي يزن بعد أن غشى الشيب رأسه كانت أمه من عنز بن وائل، المجاورة بلادها لبلاد خولان من الشمال.

كما أنه أورد عن خبر أبناء وأحفاد عمرو بن يزيد بن مسعود بن عروة بن مسعود الذي دخل في عنز بن وائل التالي:

"فولد عمرو بن يزيد خمسة نفر: محكم بن عمرو، ..... "، إلى أن يقول: " فمحكم بن عمرو الذي رجع من بلد عنز بن وائل من دم أصابه من قومه، وذلك بعد خروج أبيه إلى المدينة في آخر أيام الهجرة، والدليل على ذلك قوله يعاتب بني سعد بن سعد:

لولا رحيلي يثرباً لكررتها	بالجد مني للئيم الأعزل
أمّلت أمراً لست أرجع دونه	والرشد في رفق الفتى المتأمل
حتى أزور نبي صدق مرسلاً	يأتيه وحي بالكتاب المنزل
من خير بيت في لؤي بيته	بيت لعمرك في الرفيع الأطول"(١)

ولا شك أن النص هنا واضح في الدلالة على وجود عنز بن وائل في نفس موقعها المعروف حول "جرش" منذ العصر الجاهلي، وتداخلها مع القبائل اليمنية المجاورة للموقع منذ ذلك العصر، حيث أن هجرة عمرو إلى بلاد عنز بن وائل في عصر سيف بن ذي يزن تعني أنها معاصرة للجد الثالث للنبي ﷺ(٢)، بينما كون أخواله من عنز بن وائل يعني أنها موجودة في مرحلة سابقة لمرحلة هجرته، أي أن عنز بن وائل كانت قبيلة مستقرة في بلادها الحالية في منطقة عسير فيما قبل الهجرة، بل وقبل عصر سيف بن ذي يزن بزمن

---

(١) الهمداني، الإكليل، ج١/ ص٢٥٥-٢٥٦

(٢) يروى أن عبدالمطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم توجه لتهنئة سيف بن ذي يزن بعد استعادته للملك في اليمن، الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٢٦

يكفي لاعتراف المجاورين بمواقع سكناهم كوطن لهم بشكل تلقائي، ومن ثم ضرورة التحالف معهم في حالة هجرة المجاورين إلى موطنهم، وهو أمر لا يكون قبل مرور أكثر من عدة أجيال على استقرار القبيلة في الموقع، وهو ما يعطينا المزيد من التأكيد على عمق هذا التواجد والاستقرار إلى مراحل زمنية سابقة لعصر سيف بن ذي يزن ربما بكثير.

كما جاء في نفس المصدر حول ملابسات استيطان قبائل "حمير" لجرش ونواحيها ما يلي:

"فأولد عوسجة بن إلى زاد: عامراً ذا حول الأصغر وقشيباً وعوسجة بن عوسجة وهم العواسج فمن قشيب: نابت بن الريان بن نابت بن زيد بن الريان بن عمرو بن المسيب بن عمرو بن قشيب بن عوسجة الذي قام في صلح حمير بين سيف بن ذي يزن وآل ذي مناخ. ومنهم أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان، وهو الذي سكن جرش وخرج من بلد خولان إليها"... إلى أن يقول: "وكان أحمد بن يزيد ساكنا بصعدة مع محمد بن أبان، وكان تحته أخته الفارعة بنت أبان. وعلى هذا الصهر وحد الحميرية، دخل معه في حرب بني سعد بن سعد بن خولان، فأفرى فيهم. فلما تداعت سعد والربيعة إلى الصلح، خشي على عقبه دوائر بني سعد بن سعد بن خولان، فظعن إلى أرض نجد، فحالف جنباً ونهداً وزبيداً، ثم تقدم فحمل على الرياض من تنادح في أهل بيته وخدمه ومن خف معه من عوسجة الصغرى، فلما أقام وتمادت أيامه اجتمعت عنز من كل أوب. ثم أقبلت إليه فسألته عن نزوله في أحميتهم، فأعلمهم أنه متوجه إلى الطائف وأنه قد بعث رواداً يرودون وهو منتظر لإيابهم، وسألهم الفسحة إلى عودتهم، فوقع ذلك عندهم مدافعة منه، فلم يجيبوه إلى الإقامة، وكره أن يخف حتى وقعت ملاحاة ثم مواثبة، وثار كل إلى سلاحه، وبعث الصارخ في نهد وزبيد وجنب، وكان منهم حلال بالقرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً ترابطوا فيه وتصابروا حتى تبالغوا المجهود، فانهزمت عنز وقتل من أشرافها ووجوهها مقتلة عظيمة، وارتفع من تندحة فنزل في قرية جرش فتوطنها من يومئذ وثقلت وطأته على أكتاف عنز إلى اليوم، ولا يزال الحرب بين العواسج وألفاف عنز من الجزارين وغيرهم في كل وقت، والقرية بينهم نصفين وفي ذلك يقول أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان:

لقد لفلفت عنز علينا وأجلبت ... ودبت إلينا في كتائبها تسري
وساقت علينا من معد قبائلاً ... تبختر في الماذي في الحلق الخضر
فقالت معد ارحلوا من سيوفنا ... وخلوا بلاد الأكرمين ذوي الفخر
فسارت إلينا من زبيد عصابة ... وقالوا لنا بالجد منهم وبالنصر
وجاءت بنو نهد بن زيد بعارض ... من المزن داني الرعد منبجس القطر"[1]

من خلال رواية الهمداني فإن أحمد بن يزيد الذي حل بأرض تندحة (من بلاد عنز) ثم بأرض جرش (من بلاد عنز) وحاربهم وبقي بينهم هو "أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان"، ومن خلال تسلسل نسبه فهو الحفيد الرابع لـ"نابت بن الربان" الذي أصلح بين سيف بن ذي يزن وآل ذي مناخ، ومن ثم فإن جده الرابع عاصر جد النبي ﷺ الثالث وهو عبدالمطلب بن هاشم الذي زار "سيف بن ذي يزن" بعد استعادته ملك آبائه حسب ما ورد عن هذه الرواية في بعض المصادر[2]، وبالتالي فإن أحمد بن يزيد يفترض أن بينه وبين النبي ﷺ فارق جيل واحد (ما يقارب الثلاثين عاماً)، أي أنه من جيل ابنته فاطمة رضي الله عنها، فتكون مرحلة ولادته المفترضة عندما كان عمر النبي ﷺ ٣٠ عاماً[3] (تقريباً)، أي قبل الهجرة بفترة ٢٢ عاماً، وحيث أنه خاض حروباً في اليمن مع قبائل خولان قبل هجرته إلى جرش، كما أنه عمَّر طويلاً بعد دخوله تندحة، وخاض حروباً كثيرة مع عنز بن وائل وانتقل إلى جرش، فمن الممكن افتراض أنه عاصر فترة بداية ظهور الإسلام وما بعدها (بفارق تقريبي يقع في حدود عشرة أعوام - قبل أو بعد -)، بينما نجد في الوقت نفسه أن الرواية رغم معاصرة الحدث لمرحلة مبكرة من ظهور الإسلام لم يرد في نصها ما يشير إلى حداثة وجود

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل من أنساب اليمن وأخبار حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٢/ ص١٣٨ - ١٤٠

(٢) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٢٦

(٣) على افتراض أنه لاحق لعصر النبي ﷺ بجيل فالمسافة الزمنية التقريبية تكون حوالي ٣٠ - ٣٣ عاماً، إذ يقدر كل قرن بثلاثة أجيال.

قبيلة عنز في بلاد جرش وما حولها، فهي تدافع عن "تندحة" و"جرش" كمواطن وبلاد خاصة بها استفاض ذلك بين الجميع وليس أدل على ذلك من قول أحمد بن يزيد:

"فقالت معدٌّ ارحلوا من سيوفنا   وخلو بلاد الأكرمين ذوي الفخر"

فهذا البيت الذي ورد على لسان ابن إبان الحميري يحمل دلالة واضحة على أن جرش من بلاد معد، واستفاضة ذلك بين المحيطين بها منذ العصر الجاهلي، وأن الوجود الحميري فيها هو وجود لاحق لوجود معد، فالشاعر الحميري يقر بأن جرش ونواحيها التي كانوا يقتتلون حول استيطانها هي بلاد عنز المعدية أساساً، وأن ذلك هو الدارج والمستفيض، ومثل هذه الاستفاضة لا تكون بين من عاصر أو عاصر آباؤهم أو أجدادهم الأقربون استيطان هذه القبيلة في هذا الموقع الاستراتيجي.

ومن أقدم الإشارات غير المباشرة إلى بلاد عنز ومواطنها من خارج المنطقة ما ورد مسنداً عن "ابن إسحق" الذي ولد في القرن الأول الهجري وعاش إلى منتصف الثاني (٨٥ – ١٥٠هـ) بين القرشيين – حيث عاش الصحابي الجليل عامر بن ربيعة رضي الله عنه – بل وروى عن حفيده الذي سماه: عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر العنزي[١]، فقد نقل عنه الذهبي في ميزان الاعتدال حسب الإسناد التالي:

"أخبرتنا أم البهاء فاطمة بنت محمد قالت أنا أبوطاهر أحمد بن محمود أنا أبوبكر بن المقرئ نا محمد بن جعفر الزراد نا عبيدالله بن سعد بن إبراهيم الزهري نا عمي عن أبيه عن ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرا من قريش من بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة من أهل اليمن يعني حليف بني عدي"[٢]

هذه إشارة وردت مسندة إلى مرحلة تدوين مبكر عن رجل عاش عمره بين القرشيين،

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية – الهند، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات – بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٤/ ص٣٣

(٢) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢٥/ ص٣٢٥

فكان أول من دون في السيرة، ونصه هنا يدل على ارتباط قبيلة عامر بن ربيعة بجهة اليمن (الجنوب)، ويشير بذلك إلى استفاضة تداول المعلومة عن يمنية عامر بن ربيعة العنزي بين القرشيين في مكة والمدينة - حيث عاش ابن اسحاق - ومن ثم إلى ارتباط هذه الإشارة بالبلاد التي قدم منها مع والده إلى مكة منذ العصر الجاهلي، فكل ما ورد عنه أنه من "عنز بن وائل"، وبعضهم أوردها بقوله: "من عنزة من اليمن"، وقيل: "من عنس"[١]، فكل الإشارات تشير إلى اليمانية (الجنوب) بالنسبة لأهل مكة والمدينة، وهو ما يزيد التأكيد على استفاضة حضوره من جهة الجنوب (الجهة اليمانية)، وعنه أيضاً قال ابن منده وأبو نعيم "عنزة حي من اليمن"[٢]، كما جاء عند ابن حبان في الثقات:

"عبدالله بن عامر بن ربيعة العدوى العنزي حليف لبنى عدى وعنزة حي من اليمن..."[٣]

ونلاحظ هنا أنهم ذكروا أنه من "عنزة" وعدّوا"عنزة" حي من اليمن بناء على ذلك، مما يدل على استفاضة ارتباط انتمائه بجهة اليمن (الجنوب)، مما أدى إلى الخطأ في تحديد موطن قبيلة "عنزة"، والصحيح أنه من "عنز بن وائل" التي كانت تقطن "جرش" وما حولها (في جهة عسير).

وما يعنينا هنا هو استفاضة يمنية عامر بن ربيعة وعنزيته في نفس الوقت، وهو ما يجعلنا نطمئن إلى وجود هذه القبيلة في جهة اليمن (الجنوب) قبل وفود عامر مع والده إلى مكة حيث عرف فيها بيمنيته، أي قبل البعثة النبوية (قبل الإسلام)، وهو ما يدلنا على وجود عنز بن وائل في جرش منذ العصر الجاهلي.

---

(١) يبدو أن التصحيف في نسب عامر بن ربيعة إلى "عنس مذحج" ناتج عن تشابه نطق اللفظ "عنس" مع "عنز"، ووجود القبيلتين في الجهة اليمانية (الجنوبية)، فلا صلة لعنس ببلاد جرش التي خرج منها عامر بن ربيعة ولا بقبيلته الأم (عنز بن وائل).

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، المصدر السابق، ج٣/ ص٢٩١

(٣) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي، الثقات، ج٣/ ص٢١٩

ومما يزيد الثقة بأقدمية وجود قبائل عنز بن وائل في جرش، وأنه وجود سابق لوجود القبائل الحميرية وسواها ممن استوطن إلى جوارها، الوجود الأقدم لقبائل معد في جرش وما حولها، يدل على ذلك ما جاء في معجم البلدان لياقوت حول انفراد معد باستيطان جرش في عهد الملك اليمني "أسعد كليكرب"[1]، كما سيأتي معنا.

ومن كل ذلك يتأكد لنا أن وجود "عنز بن وائل" يمثل امتدادا للوجود القديم لقبيلة معد ومنها ربيعة بن نزار في بلاد جرش وما حولها إلى نجران جنوباً وتثليث شرقاً وترج شمالاً وبطن تهامة غرباً.

ورغم وضوح الدلالة فيما أوردنا عن أحداث وأخبار عنز على عمق وجودها في جرش وأحوازها، إلا أن جل ما ورد إلينا - رغم ندرته - في كتب الإخباريين وأهل الحديث خارج الجزيرة العربية هو ربط جرش بالحميريين فقط، ومن الواضح أنه ربط يستمد وجوده من وجود العواسج الحميريين في جرش من جانب، وفي الجانب الآخر افتراض الانتماء القحطاني اليمني للقبائل القاطنة في الجهة اليمانية[2](أي الواقعة جنوب مكة المكرمة) بناء على التقسيم الثنائي المُدَّعى للقبائل العربية بين عدنان الشامي وقحطان اليماني، بالإضافة لما ابتدعه الكلبي - كعادته - من أساطير حول اسم جرش، إذ أحاله إلى من أسماه "جرش بن أسلم (من حمير)" ومن ثم افتراض الإخباريين حميرية جرش، وإلا فجرش "معدية" "ربعية" "عنزية" كما يتضح لنا من خلال ما تقدم، وما سيأتي.

---

(١) ياقوت الحموي، معجمالبلدان، ج٢/ ص١٢٦

(٢) كان بعض أخباريي وجغرافيي ونسابة الكوفة والبصرة يطلقون على ما وقع جنوبي مكة "يماني".

ثالثاً: ربيعة اليمانية (الجنوبية)

كما أسلفنا، وإذ ربط الأخباريون والنسابة العرب في كتاباتهم بين "اليمن" كمفهوم جغرافي وبين الجذم اليمني (القحطاني) الذي أوردوه وعدوه أحد جذمي العرب الرئيسيين، لذا وكامتداد لهذا المفهوم، فإن التواجد في جهة جنوب الجزيرة العربية في العصور القديمة ارتبط في نظر سكان العراق والشام (حيث بدأ التدوين) بفكرة الاسطورة العربية عن بني قحطان، وعن الممالك اليمنية، وانهدام سد مأرب، والهجرة الكبرى للقبائل العربية التي أحالوها إلى القحطانية كالأزد، وجذام، وطي، ومذحج، وقضاعة، وكندة، وغيرها من قبائل العرب من مأرب إلى انحاء الجزيرة العربية والشام والعراق حسب رواياتهم.

بينما ارتبط تاريخ المعديين (العدنانيين) بمكة والشام، حيث حضر جدهم إسماعيل من الشام إلى مكة فتكاثر أبناؤه حولها، ومنها اتجهوا شمالاً وشرقاً إلى باقي أنحاء الجزيرة العربية (ما عدى اليمن)، وإلى العراق، والشام وسواها، ومن ثم فإن أي إشارات إلى تواجد من أحيلوا إلى العدنانيين في اليمن أو فيما وقع جواره، أو في جنوب الحجاز، أو كل ما وقع جنوب مكة وتداخلهم بشكل محوري مع أحداث اليمن يتعارض بالضرورة مع الرواية المتوارثة، لذا كان يشار إلى أي وجود معدي (عدناني) في جنوب الجزيرة العربية كأمرٍ طارئ، مرتبط بهجرة محددة إلى جهة الجنوب، كما فعل البكري بخصوص تواجد عنز بن وائل وأكلب حوالي جرش وبيشة وتبالة.

فالانتماء لليمن في المدونات العربية - حسب ما أفضت إليه هذه الروايات من مفاهيم - له بعد مزدوج الدلالة، فهو عرقي، وجغرافي في نفس الوقت، فكلمة يمني في الموروث العربي المدون تعني الانتماء للأرومة القحطانية اليمنية، ويرتبط هذا الانتماء العرقي في نفس الوقت بالانتماء الجغرافي إلى مأرب فيما قبل انهدام سدها، حسب ما تحمله الأسطورة.

لذا فمنذ المراحل الأولى للتدوين في العصر الإسلامي كان هنالك تجاهل للوجود المعدي في جنوب الجزيرة العربية، وتجاوز للإشارات التي تحمل هذه الحقيقة في الشعر

الجاهلي من قبل النسابة والإخباريون، وبالغ بعض اليمنيين إلى محاولة إنكار هذا التواجد في كل ما يجاور اليمن من البلاد، وإثبات سيادة العنصر اليمني عليها، وانفراده بها، ومن ذلك كان إنكار التواجد الربعي في منطقة عسير ونجران وما يواليها من تهامة، بينما هو واقع، لذا وجدنا الهمداني ينافح لنفي كل ما يتعلق بالوجود الربعي في المناطق المجاورة لليمن[1]، وقد تبعه في بعض رواياته عدد من الباحثين.

وقضية الإنكار كما نراها لا تتعلق بعداء لهذه القبيلة أو تلك بذاتها، بقدر ما هي عصبية مردها الارتباط العاطفي بالأسطورة القديمة المتوارثة حول بني قحطان اليمني وبني عدنان الشامي، ضمناً من حامليها بانتمائهم إلى العرق اليمني القحطاني (كما ورد في كتب الأنساب)، ومن ثم الرغبة في إنكار أي وجود عدناني في المنطقة.

من خلال الإشارات التاريخية الواردة في الشعر الجاهلي، وأحداث التاريخ المرتبطة به، فقد كانت ربيعة أكثر القبائل العربية المعدية امتداداً وتداخلاً مع أحداث اليمن، حسب ما تشي به أشعار شعرائها وأخبارها وأساطيرها وأحداثها، ولكن هذا التداخل الثابت في جميع المصادر- كما سيأتي معنا - لم يرد منه في الروايات العربية إلا ما كان له طابع المواجهة، كامتداد معقول لأسطورة الجذمين المتضادين في التاريخ العربي، فهي التي خاضت عدة حروب كبرى في مواجهة ملوك اليمن والقبائل القحطانية اليمنية في يوم السلان[2]، ويوم البيداء[3]، ويوم خزاز[4]، وغيرها، وهي حروب لم ينكر حدوثها رواة التاريخ العربي جميعاً بصفتها ترسخ حالة المواجهة، ولكن كان هنالك توقف عند خبر التحالف بين الطرفين وإنكار له من قبل أولئك المتحمسين لتعميق الفصل وتأجيج حالة المواجهة، وإعطائها

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٨

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٢٣٥

(٣) النويري، شهاب الدين بن أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ج١٥ / ص٣٠٣

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج١٥ / ص٣٠٣

الطابع العرقي، كما سيأتي، بينما النقوش اليمنية والشعر الجاهلي يكشف عن تداخل قوي لقبائل ربيعة مع تاريخ اليمن لدرجة يمكن معها القول بأن ربيعة قبيلة "معدية" و"يمانية" في نفس الوقت، بمثل ما هي "تهامية" و"حجازية" و"نجدية" و"هجرية" و"يمامية" و"عراقية فراتية".

وفي هذا العصر فإن هذا المفهوم حول الأنساب العربية والجذم القحطاني والعدناني قد سقط تماماً في الكشوفات العلمية، بعد فك رموز كتابات خط المسند، ثم أخيراً مع بدء ظهور نتائج فحص الـ"دي إن إي"، ولم يعد له وجود، إذ ثبت أن العرب ينقسمون أفقيا وعمودياً إلى عدد كبير من الأجذام، تتداخل فيما بينها، وليس إلى فريقين رئيسيين، وأن اليمن ليست أكثر من موقع جغرافي استوطنته سلالات لقبائل عربية مختلفة (ومنها قبائل معدية).

وهنا.. ولكي نتجاوز هذا الأثر الذي أحدثته أسطورة عدنان وقحطان على حقيقة تاريخ قبيلة ربيعة، ومسار هجراتها وأوطانها، فسنبدا في سبر محايد للإشارات الواردة في المصادر عبر مراحل تاريخ قبائل ربيعة - ومنها بنو وائل - لمعرفة أين كانت تقطن، وأين حدثت أحداثها، وعلاقة هذه القبيلة بإقليم عسير، أو لعلنا نجد أثر ذلك في الشعر المنسوب لشعراء هذه القبيلة أو في أساطيرها وأيامها قبل الإسلام، أو في النقوش المنتشرة في بلاد العرب، أو فيما ذكره المؤرخون والمطلعون على الشعر الجاهلي، الأوائل - من عرب أو سواهم - ومما ورد ذكره في هذا الخصوص نورد:

١- انفردت ربيعة دون بقية معد - منذ العصر الجاهلي - إلى صدر الإسلام بتحالفها مع القبائل المنسوبة إلى القحطانية اليمنية في كتب الأنساب وخاصة تلك الممتدة في منطقة عسير، كالأزد، وتحالفها معهم، ودخولها الحروب إلى جوارهم ضد القبائل القيسية والتميمية المضرية، ومن ذلك ما يلي:

أ- جاء في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري: "ثم إن الكرماني كتب إلى عمر بن إبراهيم من ولد أبرهة بن الصباح ملك حمير وكان آخر ملوكهم، وكان مستوطناً الكوفة

يسأله أن يوجه إليه بنسخة حلف اليمن وربيعة الذي كان بينهم في الجاهلية ليحييه ويجدده وإنما أراد بذلك أن يستدعي ربيعة إلى مكافته فأرسل به إليه فجمع الكرماني إليه أشراف اليمن وعظماء ربيعة وقرأ عليهم نسخة الحلف وكانت النسخة بسم الله العلي الأعظم. الماجد المنعم. هذا ما احتلف عليه آل قحطان، وربيعة الأخوان. احتلفوا على السواء السوا. والأواصر والاخا. ما احتذى رجل حذا. وما راح راكب واغتذى. يحمله الصغار والكبار. والأشرار عن الأخيار. آخر الدهر والأبد. إلى انقضاء مدة الأمد. وانقراض الآباء والولد. حلف يوطأ ويثب. ما طلع نجم وغرب. خلطوا عليه دمائهم. عند ملك أرضاهم. خلطها بخمر وسقاهم. جز من نواصي أشعارهم. وقلم عن أناملهم أظفارهم. فجمع ذلك في صر ودفنه تحت ماء غمر. في جوف قعر بحر. آخر الدهر. لا سهو فيه ولا نسيان. ولا غدر ولا خذلان. بعقد موكد شديدن إلى آخر الدهر الأبيد. ما دعا صبي أباه. وما حلب عبد في إناه. تحمل عليه الحوامل. وتقبل عليه القوابل. ما حل بعد عام قابل. عليه المحيا والمات. حتى ييبس الفرات. وكتب في الشهر الأصم عند ملك ذي ذمم. تبع بن ملكيكرب. معدن الفضل والحسب عليهم جميعاً كفل. وشهد الله الأجل. الذي ما شاء فعل. عقله من عقل. وجهله من جهل"[١]

وهذا التحالف القديم، والنص الوارد لصيغة التحالف، هو مما لم يتواتر نقله من متقدمي الإخباريين، بل لقد أنكره الهمداني جملة وتفصيلاً، ولعل إنكاره كان نقطة توقف لغيره عند الخبر.

ولكن، وفي نفس الوقت الذي كان الهمداني يمثل فيه المصدر الأساسي للتشكك في صحة خبر حلف ربيعة والملك اليمني في كتاب "صفة جزيرة العرب" عندما كذب الخبر وقال أن "الملوك أجل من أن يحالفوا الرعايا"[٢]، ورفض وجود جبل خزازي بقرب اليمن تبعاً لذلك، وأحال بلاد ربيعة التي وقعت بها الحرب إلى جهة اليمامة، وذكر أن المقصود

---

(١) الدينوري، أبي حنيفة احمد بن داوود، الأخبار الطوال، صححه وضبط ألفاظه وطبعه على نفقته: محمد سعيد الرافع، مطبعة السعادة بمصر، ط١، ١٣٣٠هـ، ص٣٣٦-٣٣٧

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٨

بتهامة في قصيدة المهلهل "مكة وما صاقبها"[١]، ثم نقل عنه ذلك بعض المؤرخين كابن الأثير وابن كثير، وغيرهم، فإنه ومن المفارقة أن نجد أنه قد أقر به في كتاب الإكليل بشكل واضح، بل وحدد مسمى الطرف اليمني في هذا الحلف حين أورد خبر تحالف أحد ملوك اليمن من همدان مع ربيعة، حيث أشار فيه إلى حلف مشهور - حسب مدلول سياق السرد - بين أحد ملوك اليمن وهو / مالك بن الخصيب (ردّاد الخيل) بن مالك مع ربيعة في معرض سرده تحت العنوان "أنساب بكيل بن جشم بن خيران"، ومما جاء فيه ما يلي:

"فأولد رفاعة شراحيل بن رفاعة فأولد شراحيل بن رفاعة قيساً فأولد قيس بن شراحيل مالكاً فأولد مالك بن قيس الخصيب وهو رداد الخيل فأولد الخصيب بن مالك الحارث وسعيداً ومالكاً عاقد الحلف لربيعة فأولد مالك وايلاً وقد ملك وفيه يقول الكلبي وذكر الملوك:

وشمر وابنا ذي نواس ووائل وجفنة والديان وابنا أبي الصعب"[٢]

ومن ثم، فحتى وإن كان من الصعب التسليم التام بدقة تفاصيل النص حسب ما أورد الدينوري، إلا أن وجود الحلف بصيغة أو أخرى يتوارثها الربعيون واليمانيون أمر راجح، خاصةً وأننا وجدنا بني وائل الربيعية تحارب إلى جوار القبائل الحضرمية الحميرية في خراص، كما ورد معنا، وحتى لو افترضنا جدلاً عدم اليقين بحدوثه، فإن اختيار ربيعة واليمن كأطراف في الحلف ومصادقتهم في تلك المرحلة المبكرة على صحته تدل على تقارب الطرفين الجغرافي في العصر الجاهلي، وتبعاً لذلك كان التصديق من قبلهم بإمكانية حدوث هذا التحالف بناء على موروثهم في هذا الخصوص، إذ لا مجال للادعاء ولا للمصادقة على حلف بين قبيلة تستوطن الجزيرة الفراتية (كما ذكر النسابون والأخباريون عن بلاد ربيعة في العصر الجاهلي) وبين ملك في اليمن، ومن هنا فلنا أن نصادق على رواية الهمداني في الإكليل حول حقيقة حدوث هذا الحلف.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٨

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد بصنعاء، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج١٠/ ص١٠٠

ب- ومما يزيد من الثقة بحدوث هذا التقارب ووجود خصوصية للعلاقة بن الجهتين أن علي بن أبي طالب ﷺ قد وقف في عهد خلافته على معاهدة حلف بين الطرفين، مما يدل على تآصر قديم بينهما، فقد جاء في نهج البلاغة:

"ومن حلف له الـ كتبه بين ربيعة واليمن (نقل من خط هشام ابن الكلبي)

هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها، وربيعة: حاضرها وباديها، أنهم على كتاب الله: يدعون إليه ويأمرون به، ويجيبون من دعا إليه وأمر به لا يشترون به ثمناً ولا يرضون به بدلاً، وأنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه، أنصار بعضهم لبعض: دعوتهم واحدة، لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب، ولا لغضب غاضب، ولا لاستذلال قوم قوماً (ولا لمسبة قوم قوماً) على ذلك شاهدهم وغائبهم، وسفيههم وعالمهم، وحليمهم وجاهلهم، ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه إن عهد الله كان مسؤولا، وكتب: علي بن أبي طالب"[(١)]

ج- كاستمرار لهذا الحلف بين الطرفين نجد أنه كان هنالك تحالف بين الأزد وربيعة في العصر الأموي، ثم العباسي، وخاضوا الكثير من المعارك في مواجهة القبائل القيسية والتميمية، إلى أن انفض الحلف في عهد الخليفة العباسي "المنصور"، على إثر بعض الأحداث، وعن ذلك جاء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ما يلي:

"ومن بني هناءة: عقبة بن سلم بن نافع بن هلال بن صهبان بن هراب بن عائذ بن خنزير بن أسلم بن هناءة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس، ولاه المنصور البحرين والبصرة، فأكثر القتل في ربيعة حتى كان ذلك سبب انحلال الحلف بين الأزد وربيعة، وقتله رجل من ربيعة، فتك به في جامع البصرة بحضرة الناس[(٢)]."

---

(١) ابن أبي طالب، علي ﷺ، نهج البلاغة، شرح الإمام الشيخ محمد عبده، مراجعة وتدقيق أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي - بيروت، ٢٠١٢م، ص٣٤٤

(٢) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ، ص٣٨٠

وهذا التحالف المستمر منذ الجاهلية إلى العصر الإسلامي والذي تمخض عنه مواجهة مشتركة لربيعة والقبائل اليمنية مع القبائل المحسوبة على المضرية مثل قيس عيلان وتميم يدلنا على وجود خصوصية لعلاقة ربيعة باليمن، ومن أهم معالم هذه الخصوصية التي لابد أن تكون موروثة لدى من صادقوا على حقيقة وجود هذا التحالف واستمراريته من الطرفين: الجوار في المواطن في مرحلة الحلف، أي في العصر الجاهلي القديم، حتى ولو كان جواراً جزئياً.

٢- يقول شاعر تغلب عدي بن وائل (المهلهل):

بِت ليلي بالأنْعَمين طويلاً	أرقب النجم ساهراً أن يزولا
كيف أهَدَا ولايزال قَتيل	من بني وائل ينسي قتيلا
غَنِيت دارنا تهامة في الدهـ	ـر وفيها بنو معد حلولا

• يشير الشاعر هنا إلى إرهاصات حرب البسوس حيث كانت قبيلته المعدية (ربيعة) حلولاً في تهامة حين بدأت الحرب، والكلام هنا واضح الدلالة، فحتى لو شككنا في صحة القصيدة، فإن الإشارة الضمنية في الرواية المتداولة في مراحل مبكرة تعد شاهداً على الدارج في عصرها، وهو ما يدل على استفاضة بدء أحداث حرب البسوس في تهامة.

إذن فقد كانت ربيعة في عصر المهلهل تنتجع في بلاد تهامة، وتهامة كما هو معروف هي تلك المنخفضات والسهول الواقعة بين جبال الحجاز والبحر الأحمر والتي تبدأ من الشمال بعسفان والجحفة التي تمثل نهايتها شمالاً كما يحددها الجغرافيون[١]، وتمتد جنوبا إلى بلاد عك والأشعريين حيث نهايتها جنوباً[٢]، ولا شك أن تداخل ربيعة مع همدان وحروبها

---

(١) انظر:

١- الحموي، معجم البلدان، جزء٢/ ص٦٣

٢- البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٩

(٢) انظر:

١- الحموي، معجم البلدان، الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٤٤٠

٢- الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد

==

الكثيرة مع قبائل مذحج وعك ونهد واليمن في عهودها الأولى تشي لنا بأن بلادها كانت مصالية لبلاد هذه القبائل في جهة اليمن من الشمال.

وهنالك الكثير من الشواهد المعاصرة لهذه المرحلة التي تؤكد هذا التواجد التهامي لربيعة، إلى جانب وجودها في بلاد السراة المجاورة لها، وتحدد لنا أين كانت تقطن من تهامة ومن السراة بالضبط، فقد نقل الهمداني في الإكليل عن خولان خبر يوم خزازي وموقعه في قوله:

"فأولد زيد بن مالك عمرو بن زيد سيد قضاعة في عصره، والمجمع على رياسته، وهو مغرق الأكبر، وهو الذي قام بحرب ربيعة بن نزار بتهامة على قول خولان"[1]

- والهمداني بذلك نبه إلى المتواتر في بلاد خولان المحاذية للموقع حول يوم خزازي ومكان حدوثه في تهامة مجاوراً لبلادهم، ومن ثم إلى موقع بلاد ربيعة إلى الشمال من بلاد خولان.

ومن ثم فإننا نقبل من الهمداني نقله عن خولان خبر موقع يوم خزازي المجاور لهم، وخبر من أدركوه ومن خاضوه منهم، وعن همدان خبر حلف أحد ملوك اليمن الهمدانيين مع ربيعة، ونعتبر ذلك دليلاً على موقع بلاد ربيعة في العصر الجاهلي، وعلى صحة هذه الأخبار التي تؤيدها بقية المصادر، أما رأيه المعارض لدلالات هذه الأخبار فقد كان رأيا خاصاً لم يقرنه بمصدر سوى النزوع الشخصي إلى التعالي فقط، بما يخالف بقية المصادر المؤيدة لما نقله عن خولان وهمدان، لذا فلا قيمة لرأيه المعارض مع ما عرف عنه من العصبية، خاصة وأنه أقر بحقيقة السائد في المناطق المجاورة حول موقع الحدث، ثم نقل خبر التحالف بتلقائية في موقع آخر من كتاب الإكليل كما أوردنا.

==

صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ، ص٨٥؛

٣- البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٩، ١٣

(١) الهمداني، الإكليل، مصدر سابق، ج١/ ص٢٠٩ - ٢١٠

٣- يأتي مصداقاً لذلك أيضاً ما أورده النويري حين قال:

"قال أبوالمُنذر هشام بن محمد بن السائب: لم تَجتمع مَعد كلها إلاّ على ثلاثة من رؤساء العرب، وهم: عامر وربيعة وكُليب..... إلى أن قال: والثالث: كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه: أعز من كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل، وقاد معدا كلها يوم خزار، ... "، إلى أن قال: "وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة.. "[(١)]

- ما أورده النويري هنا يأتي مصداقاً لقصيدة المهلهل عن علاقة قومه بتهامة قبل حرب البسوس، ومصداقاً لما ذكره الخولانيون عن وجود جبل خزاز - الذي وقعت به المعركة المشهورة - مصالياً لبلادهم في تهامة.

٤- يقول ابن الكلبي:

" ولد ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان: أسداً، وضبيعة، فيهم كان البيت.

وعمراً، وعامراً درجاً، وأكلب، دخل في خثعم، وهم رهط أنس بن مدرك الشاعر.

وكلاب درج، وعامراً درج، وعائشة، وهم باليمن، أمهم أم الأصبع بنت إلحاف بن قضاعة. "[(٢)]

- من خلال هذا النص نجد الإشارة إلى وجود ربيعة في اليمن أو في موقع مجاور لليمن منذ وقت مبكر حيث دخل جزء كبير من بطونها في اليمن.

٥- جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة ما يلي:

"القارظان

تقول العرب: لا أفعل كذا، حتى يؤوب القارظان. أما الأول، فهو القارظ العنزي،

---

(١) النويري، نهايةالأرب، ج١٥ / ص٣٠٣

(٢) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السانب، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق الدكتور ناجي الحسن، عالم الكتب - مكتبة النهضة العصرية - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١/ ص١٧

وهو: يذكر بن عنزة. وكان "خزيمة بن نهد بن زيد"، يهوى ابنته "فاطمة". وهو القائل فيها:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونـا

وأن أباها خرج، يطلب القرظ، فلقيه "خزيمة" فقتله، فلم يرجع، ولم تعرف قصته، حتى قال "خزيمة":

فتاة كأن رضاب العبيـ ـر بفيها يعل به الزنجبيل

قتلت أباها على حبهـا فتبخل إن بخلت أو تنيـل

فلما قال هذين البيتين تحاربوا.

و"القارظ" الآخر هو: أبو رهم - رجل من "عنزة" - وكان عشق ابنة عم له، فالتقيا في أخذ القرظ، فاحتملها على بعيره، حتى وقع في "بني ضابي" "همدان" وهم اليوم يدعون: بني قارظ.

ولهما يقول "أبو ذؤيب":

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب بن وائل"[(١)]

- قد لا نملك اليقين بصحة التفاصيل، إلا أنها تدل - بصفتها شاهداً على المفاهيم السائدة في عصرها - على استفاضة مجاورة قبيلة "القارظ العنزي"(الأول) لقبيلة نهد وحدوث الحروب بين القبيلتين، وكما هو معلوم فإن بلاد نهد في العصر الجاهلي هي تلك البلاد الملاصقة لبلاد عنز بن وائل الواقعة فيما بين جرش وطريب إلى الهجيرة إلى تثليث كما حددها الهمداني بالتفصيل[(٢)]، وقد دارت هنالك حروب طويلة الأمد[(٣)]

---

(١) إبن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، حققه وقدم له دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة، ط٤ - ب ت ن، ص٦١٧

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣١، ٢٢٧ - ٢٢٨

(٣) للمزيد حول حروب عنز بن وائل مع نهد واحلافها من بالحارث وجنب وحمير انظر: الهمداني، الإكليل، مصدر سابق، ج٢/ ص١٣٩ - ١٤٦

بين قبائل عنز بن وائل وقبائل نهد، انتهت بنزوح نهد عن منطقة عسير بعد معركة الحزم إلى بلاد حضرموت وما إليها من بلاد اليمن[1]، وهذا التطابق يعطينا دلالة على وجود علاقة لهذه الحروب بما أشير له عن حدوث حروب بين نهد وعنزة ومن ثم بين قضاعة وربيعة في رواية القارظ العنزي بصفتها تحمل الدلالة على المفاهيم السائدة، وعلى التجاور في الموقع مع قبيلة نهد، فمن الواضح أن هذه الحروب بين عنز ونهد لم تكن إلا امتداداً لحروب في الجاهلية، وأن هنالك إشكال في الرواية التاريخية بخصوص الخلط بين "عنز بن وائل" و"عنزة"، أو في التفريق بينهما.

وعلى العموم فإن هذا التداخل المستمر في العصر الجاهلي لقبائل ربيعة مع قبائل نهد والتي عرفت بالفعل وعلى أرض الواقع بأن موطنها في منطقة عسير، لا يكون إلا بإسقاط مواقع الأحداث على منطقة بلاد عنز بن وائل وما حولها، والتي تتواجد في منطقة عسير حيث تواجدت نهد منذ العصر الجاهلي.

كما أن تداول رواية نزوح القارظ العنزي (الثاني) لقبيلة "همدان" اليمنية، ودخوله في بني ضابي الهمدانية، وبقائهم هنالك كإحدى القبائل الهمدانية اليمنية يدل على تجاور مواطن قبائل ربيعة مع قبائل همدان واستفاضة ذلك بين الرواة والعامة - سواء صحت تفاصيل الرواية أم لم تصح - يتماشى فقط مع وجودها في منطقة جرش وما بينها وبين نجران وتثليث وترج (منطقة عسير)، حيث تجاورها قبائل اليمن من همدان مثل وادعة ويام وقبائل مراد جنوباً، ويدل على هذا التواجد وجود بقية لربيعة في منطقة عسير إلى هذه اللحظة كما هو معلوم، ومما يؤيد حقيقة التواجد القوي لربيعة بجرش كثرة تداول مسمى صنم جرش "عبد يغوث" في ربيعة[2].

٦- ورد في بعض المصادر الرومانية والمصرية القديمة ذكر لقبيلة في جبال السراة الراجح

---

(١) الجاسر، حمد، مجلة العرب ج٣، س٢٤، ص١٨٩

(٢) كمثال، انظر: الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ص٢٨، ٣٨، ٤٦، ٥٠، ٥٩، ٨٨، .. إلخ

أنها ربيعة، فقد ذكر عالم الفلك اليوناني "بطليموس السكندري"(ت ١٦٨م) شعباً سماه شعب:[١] "Rabanitai" (ربعنيتاي) (ربعانيتاي) (ربيعانيتاي)، تمتد مواضعه إلى الجبل KLIMAX (أي الجبل المدرج)، يقول جواد علي: "والظاهر إنه يقصد سلسلة "السراة" التي يعمل الناس فيها مدرجات لغرس الكروم، وغيرها"، وذكر بعدهم شعب آخر هو: "Masonitai" يرى "كلاسر" إنه "مأذن"[٢].

وتتكون المفردة "Rabanitai" من مفردتين وهما "Raban"وهو اسم القبيلة (ربعن) (ربيعن)، والجزء الآخر (itai) وتعني شعب أو قبيلة أو وادي أو أرض، أيضاً فإن (أن) (an) في النهاية الجزئية للمفردة "Raban" قد لا تخرج عن التعريف السبأي فهي الصيغة المعرفة من "رَبَعَيَ" "ربيعة" حيث يضيف السبئيون (أن) إلى نهاية الإسم للتعريف، وقد نجد أثر ذلك بنحو خاص في التصاق التذييل بالنون في أسماء معظم القبائل العربية التي عرفت باتصالها باليمن خلال عصر ما قبل الإسلام مثل: "ريدان"، "كهلان"، "همدان"، "قحطان"، "عيلان"، "شهران"، .... إلخ، ومن هنا كانت: "ربعن"، أو "ربيعان"، "ربيعن"، ومن ثم فالعبارة في النص - عند استبعاد نون التعريف السبئية ستكون (ربع) (ربيع)، (ربعي) (ربيعي) (ربيع)، وتنطق بالسبئية "ربعن" أو "ربيعن"، وهو ما قد يؤيد فكرة تواجد ربيعة في الجهة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، حيث كانت تقطن الحجاز

---

(١) كان الكاتب في قراءة الاسم بن خيار الاسم أعلاه أو الاسم arabanitai ولو صح الأخير فإنه يدل على أن العرب بدأ تكونهم كأمة فوق جبال السروات التي كانت تنشأ بها المدرجات، إذ أن المفردة تتكون من جزئين وهما araban (عربان) أو (عرب) وitai) وتعني "شعب"، واختصاص العرب بجبال السروات يتوافق مع مسماهم القديم الذي عرفوا به في المصادر العبرية واليونانية والرومانية، حيث كان يطلق على العرب"Saracens" (السرويون)، وهذا يتوافق مع ما أوردنا عن تكون قبيلة "معد" وتواجدها في أول عهدها في منطقة عسير.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر بمساعدة جامعة بغداد، ط٢ - ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج٢/ ص٥٦

(جبال السروات) وبالضبط (حسب النص) حيث تمتد المدرجات الجبلية، ومن المعلوم أن المدرجات الجبلية تتواجد جنوب الطائف (حيث لا مدرجاتٍ جبلية شمال الطائف)، وبشكل أدق نقول بأن المدرجات الجبلية تكون مميزة للبيئة عندما نصل إلى إقليم عسير - حيث عرفت عنز بن وائل - وما يصاليها من تهامة غرباً ومن نجد شرقاً، وهذا ما قد يقود إلى الكشف عن قدم استقرار جزء من قبائل ربيعة مثل عنز بن وائل ومجاوريها من بعض بكر وتغلب، واستزراعها جبال السراة وبناءها للمدرجات الجبلية فوقها، وتحضرها وانشاءها المدن كجرش وغيرها منذ ما قبل الميلاد، حيث عاصر بطليموس القرنين الأول والثاني للميلاد.

وكان الكاتب في قراءة النص بين خيار الاسم أعلاه أو الاسم "arabanitai"، ولو صح الأخير فإنه يسير بنا إلى نفس النتيجة، فهو يدل على أن العرب بدأ تكونهم كأمة فوق جبال السروات، وبالضبط حيث مناطق المدرجات الجبلية، إذ أن المفردة تتكون من جزئين وهما (araban) (عربان) (عرب) و (itai) وتعني "شعب" أو "قبيلة" أو "أرض".

واختصاص العرب بجبال السروات، يتوافق مع مسماهم القديم الذي عرفوا به في المصادر اليونانية والرومانية، حيث كان يطلق على العرب"Saracens" (السرويون)[1]، واختصاصهم بالجزء الذي تقام فوقه المدرجات من جبال السروات بالذات، يتوافق مع ما أوردناه في هذا الكتاب عن تكون قبيلة معد[2] - والتي منها ربيعة - وانتشارها في أول عهدها في منطقة عسير، إذ من الواضح ارتباط اللغة العربية المحكية حالياً بهذه القبيلة وبجذورها الأولى على وجه العموم.

٧- يلاحظ ارتباط أسماء مواقع حرب البسوس بمنطقة عسير، ومنها مثلاً:

"النهي": فقد تواتر في الأخبار أن بني شيبان انتقلت بعد قتل كليب إلى موقع اسمه

---

(١) يرى حسام عيتاني باحتمال أن تكون الكلمة "سراسنة" مشتقة من جبال السراة. عيتاني، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، ص٢٣

(٢) للمزيد انظر عنوان "علاقة معد بجرش واحوازها في هذا الكتاب.

"النهي" قال النويري:

"فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهي"[١]

و"النهي" مكان يقع إلى الجنوب عن وادي "ترج"، وهو قديم، ويدل على ذلك ما جاء في معجم ما استعجم للبكري في قوله:

"ويشهد لك أن ترجا قِبَل تبالة باليمن قول طفيل:

وقد حل بالجفرين جفر تبالة، فترج، فنهي، فالشروج القوابل"[٢]

ونلاحظ أن الشاعر رتب المواضع من الشمال للجنوب فابتدأ بـ"تبالة"، ثم "ترج"، ثم "نهي"(وهي أسماء لمواقع)، اما الشروج القوابل: فهي مسايل الماء المقابلة لهذه المواقع (الأودية) - أي أن "النهي" يقع إلى الجنوب عن ترج، حيث لا زالت تتمحور بلاد عنز بن وائل الربعية والتي تمتد جنوب وادي ترج من جهة الشرق ووادي عبل من جهة الغرب ومنهما إلى طلحة الملك، في عمق المنطقة التي يوجد في حدودها موقع "نهي" - حسب سياق الأبيات - مما يزيد ترجيح الدلالة على تكتل بلاد ربيعة حوالي عمق منطقة عسير، وبالذات فيما حوالي أبها وخميس مشيط وأحد رفيدة وسراة عبيدة وراحة شريف وبيشة وما حولها وما يواليها في تهامة إلى البحر الأحمر.

ومنها يوم "الذنائب": وهو أحد أيام البسوس الشهيرة[٣] بين شيبان وتغلب، وهو موقع شمالي زبيد (إحدى القرى في بلاد عك) وقريب من نجران قال ياقوت: "سوق الذنائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل"[٤]، وعندما يقول ياقوت

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج١٥ / ص٣٠٣

(٢) البكري، عبيد الله، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٩

(٣) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين - بيروت، ط٢، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م، ج١/ ص٩٥

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٨

"دون زبيد" فهذا يعني أنها إلى الشمال عن زبيد، وقد ذكر القلقشندي أن الذنائب وقع به أيضاً يوم بين غسان ولخم ونجران[1]، وهذا يؤكد على أن الذنائب موقع في حدود هذا الإقليم حيث توجد نجران، وحيث كانت تقطن غسان إلى جوار عك فيما يصالي نجران في تهامة، ومثلها لخم.

ومنها: "عويرض" وهو تصغير للعارضة وكان به أحد مواقع حرب البسوس، وهنالك موقع بهذا الاسم إلى الجنوب من وادي بيش في منطقة جازان، وهنالك العرضية (الشمالية، والجنوبية) في جهة المجاردة بالقرب من وادي خيطان بالباحة.

ومنها يوم "الستار": والستار موقع في المسوح في الشمال الشرقي من بلاد عسير وهنالك جبال تحمل اسم "السِتَارْ" ويطلق على الفلاة المحيطة بها "الستار" وقد يقال لها "السَّتَرْ".

ويروي الأخباريون أنه في نهاية حرب البسوس بعد أن شعر المهلهل بانفضاض قومه من حوله بعد هزيمتهم في يوم "الستار" ومقتل الكثير منهم، فقد هجرهم واتجه لبلاد جنب، فتزوجت ابنته عبيدة في جنب، و"جنب" هو اسم موقع واسم قبيلة تقطن الموقع، وهو مجاور لجرش ولموقع الستار ولبلاد خثعم، يقول ابن الدمينة الخثعمي:

شاق للعين بأعلى راحـــة وجناب حبذا ذاك البلد

و"راحة" هو اسم موقعين قريبين من بعضهما، أحدهما (راحة شريف) وهي بالقرب من "الحرجة" المعروفة بين سراة عبيدة وظهران الجنوب، والأخرى "راحة سنحان" وهي ما كان يعرف بـ "سروم راح" أو "سروم الفيض"، وتقع شرقاً عن الأولى ومجاورة لها، و"جناب" في القصيدة هي "جنب" المجاورة لبلاد سنحان.

ومهما قلنا حول الشكوك التي تثار حول التفاصيل، فإن إيراد خبر لجوء المهلهل إلى بلاد جنب، يعد مؤشراً على استفاضة مجاورة قومه "بنو وائل" لبلاد جنب بين الرواة آن

---

(١) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٣

بداية تداول الرواية، وهو ما يطابق الواقع حيث تقع بلاد عنز بن وائل والتي هي امتداد لبلاد بني وائل ومنهم بكر وتغلب في السراة وتهامة بالقرب من بلاد جنب منذ العهود الأولى للإسلام إلى اليوم، ومن هنا فإن المهلهل نزح من بلاد وائل إلى بلاد جنب المجاورة لهم، أو ربما وقع في بعض بادية جنب أثناء انزوائه عن قومه.

٨- مصداقاً لما سبق من أدلة على ارتباط ربيعة بهذه البلاد نجد ما يؤيد ذلك في تكرر الإشارات في النقوش اليمنية التي تفضي إلى تواجد قوي لقبائل معد ونزار وخاصةً ربيعة وبني وائل في هذا المنطقة وحواليها، ومن ذلك ما ورد في النقوش السبئية عن خبر إحدى غزوات الملك اليمني شمر يهرعش، حيث ورد في النص المعروف بـ (Jamme 658): أن جيشاً أرسله شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان إلى الشمال فغزا سنحان في وادي دفأ وغزا سهرت (السراة) ثم اتجه إلى بيش وشن حملة خلال ذلك على بني الحكم وجديلة إلى أن خاض حرباً مع القائد (نشدال) (نشد ايل) في "عتود"[(١)]، ويرى بعض الباحثين أن هذا الرجل الذي حاربه القائد السبئي في عتود هو قائد عربي شمالي وهو من قواد جيش (امرئ القيس)، يقول جواد علي:

"ويظهر من النص أن قوات (شمر يهرعش) كانت قد تجمعت في مدينة (صعدتم)، أي مدينة (صعدة) في (خولان) القديمة في (وادي دفأ)، حيث حاربت القبائل المجاورة قبائل (شنحن) (شنحان) الساكنة في الغرب، ثم نزلت من مساكنها إلى أرض (سهرتن) (سهرتان) ثم اجتازت هذه الأرض إلى وادي (بيش)، وهي الحدود القديمة للعربية الجنوبية، ثم تقدمت منها نحو الشمال إلى (وادي عتود) الذي يقع في الأرض المسماة بـ Knaifokoltital عند الكلاسيكيين. وفي هذه الأرض اصطدمت قوات (شمر) بقوات (نشدايل) القائد المذكور"[(٢)].

---

(١) العتيبي، المصدر السابق، ص٢٨٤-٢٨٧

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٥٠

النص السابق يشير إلى قبائل معروفة في تهامة والجبال الموالية لها مثل "بنو الحكم" و"سنحان" كما يشير إلى مواقع معروفة مثل "وادي دفأ": وهو وادٍ يقع في جنوبي منطقة عسير مجاوراً لبلاد خولان، و"وادي بيش": وهو واد تبدأ مصباته من جهات هروب والقهر والفطيحة وتهامة قحطان وما حولها، و"وادي عتود": وهو وادٍ تبدأ مصباته من بلاد عسير (أبها وما حولها) وشعف أراشة ورفيدة ويمتد في تهامة عسير وتهامة شهران إلى أن يصب في البحر الأحمر بقرب مدينة الدرب، ويقابله في السراة وادٍ يحمل نفس الإسم (وادي عتود) ويبدأ من نفس النقطة في قمة جبال الشعف ولكنه يتجه شرقاً ماراً بخميس مشيط حتى يصب في وادي بيشة، كما يشير النص إلى وجود قبيلة اسمها "جديلة"، وجديلة كما هو معروف إسم لأحد فروع قبيلة ربيعة.

إذن فقبيلة "جديلة" تتواجد مجاورة ل"بلاد بني الحكم" و"وادي بيش"، و"وادي عتود" و"وادي دفأ" و"سنحان" و"السراة".

وتواجد "جديلة" - أكبر فروع قبيلة ربيعة بن نزار - في حدود نفس الحيز الجغرافي المعروف بوجود ربيعة وبالذات "بني وائل" في العصر الجاهلي والذي عرفت قبائل عنز بن وائل بتواجدها في إطاره، يتوافق مع ما ورد حول أحداث ربيعة وبلادها في المصادر التاريخية فهي أتت مصداقاً لما ورد عن تواجد قبائل من تغلب في فرسان المجاورة لهذه المواقع ومن ذلك قول الهمداني:

"وفرسان قبيلة من تغلب وكانوا قديماً نصارى ولهم كنائس في جزائر الفرسان قد خربت وفيهم بأس، قد يحاربهم بنو مجيد ويعملون التجارة إلى بلاد الحبش"[1].

وقول ياقوت:

"فَرَسَانُ: بالفتح والتحريك وآخره نون. من نواحي فَرَسَانَ ويقال سواحل فرَسانَ. قال ابن الكلبي: مال عُنُق من البحر إلى حضرموت وناحية أبيَنَ وعدَن ودهلَكَ فاستطار ذلك

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٩٦

العنق وطعن في تهائم اليمن في بلاد فرسان والحكَم بن سعد العشيرة وكل ذلك يقال له سواحل فرسان. قال ابن الكلبي فرسان منهم من ينتسب إلى كنانة ومنهم من ينتسب إلى تغلب"(١)

كما أن تواجد جديلة في هذه المواقع من تهامة يأتي موافقاً لما نقله الهمداني عن الخولانيين حول موقع معركة "خزاز" في تهامة مجاوراً لبلادهم(٢) (تجاور خولان "وادي دفأ" الذي كان ضمن الحملة، كما تجاور "وادي بيش" و"بلاد بني الحكم" من الشرق)

وتوافق ما ورد حوله وحول موقع معركة "السلان" أيضاً عند ياقوت في قوله:

"خزاز وهو جبل بإزاء السلان وهو ما بين الحجاز واليمن"(٣)

وقوله:

"وقال غير أبي أحمد قيل السلان هي أرض تهامة ممايلي اليمن... وقال في الجامع السلان واد فيه ماء وحلفاء وكان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان وبين ربيعة ومُضر وكانت هذه القبائل من اليمن بالسلان وكانت نزار على خزاز وهو جبل بإزاء السلان وهو ما بين الحجازواليمن والله أعلم(٤)".

وهذه المعارك (خزاز، والسلان) كانت ربيعة أحد طرفيها.

كما تتوافق هذه الإشارة مع ما ورد عن موقع بلاد بني وائل قبل حرب البسوس ومن ذلك قول النويري:

" وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة... " (٥)

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، نفس المصدر السابق، ج٤ / ص٢٥٠

(٢) الهمداني، الإكليل، مصدر سابق، ج١/ ص٢٠٩ - ٢١٠

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٢٣٥

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٣/ ص٢٣٥

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج١٥ / ص٣٠٣

كل هذه الإشارات وغيرها مما لم نحط به في هذا المبحث تدور حول نفس البلاد التي ذكر النقش حدوث المعارك مع جديلة وبقية القبائل حواليها، مما يؤكد على أن "جديلة" كانت في هذه المواطن في مرحلة الملك السبئي "شمر يهرعش".

كما أن عملية ربط نفوذ امرئ القيس بـ"وادي عتود" الذي يقع ضمن إطار وجوار بلاد عنز بن وائل، بالإضافة إلى وجود مسمى "جديلة" ضمن الشعوب التي شملتها الحملة، يعيدنا إلى ما حملته الأخبار حول تنصيب ملك كندة (والذي آل ملكه بالوراثة إلى "امرئ القيس") ملكاً على "بني وائل" وحول إرهاصات يوم خزاز الشهير عند الإخباريين العرب، فنحن هنا نتحدث عن مواقع تواتر وجود قبائل ربيعة فيها وتناقل المجاورون والسكان أخبارها، وتحدث الخولانيون المجاورون للموقع للهمداني عن موقع خزازي والمعركة التي دارت فيه مع قبائل ربيعة بالقرب من بلاد خولان في تهامة[1] أي في حدود جوار هذه المواقع (عتود، وبيش، ودفأ)، مما يجعل كل من النص المذكور، وما تواتر لدى الرواة من نصوص تلقائية لا علاقة لأيها بالآخر، مصادقة على صحة بعضها البعض.

٩- يشير أحد النقوش القديمة إلى تواجد قوي ومحوري وقيادي لبني وائل الربعيين في بلاد حضرموت وشبوة وما حولها في عهد الملك السبئي "ياسر يهنعم"[2] وابنه "ذرأ أمر أيمن" ملكا سبأ وذي ريدان، حيث خاض جيشهم حرباً مع بني وائل، وينص المسند على أن ملك سبأ أرسل جيشاً للقتال في أرض حضرموت فشن عددا من الغارات إلى أن تقول قراءته:

---

(١) الهمداني، الإكليل، مصدر سابق، ج١/ ص٢٠٩ - ٢١٠

(٢) ياسر يهنعم الثالث آخر ملوك سبأ وذي ريدان (العهد الثالث) امتدت فترة حكمه خلال القرن الرابع للميلاد (حوالي ٣٠٥ - ٣٢٥م) - حسب "فون وزمن" - خاض حروباً مع مملكة حضرموت المجاورة وشن حملات على سواحل اليمن الجنوبية والجنوبية الغربية. انظر المزيد: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٥٩

"خاضوا معركة بأسافل موضع أعيان خراص ثم إنهم من هناك بيتوا جمع العدو فهجموا ليلاً سارين في الهزيع الأخير منه، فنازلهم جمع حضرموت بجيش قوامه خمسمائة وثلاثة آلاف مقاتل من راكبي الرواحل ومعهم خمس وعشرون مئة من الفرسان، وعليهم سيدا حضرموت المعظمان[1] ربيعة بن وائل وذهل وهما من بني وائل ومعهم أيضاً أفصي بن جمان[2]"

ثم يأتي في نفس النص:

"وأسر منهم أفصي نحل (قائد المرتزقة) من راكبي الرواحل، وجشم (نحل) قائد مرتزقة الفرسان[3]"

وهذا النص يكاد يكون حاسماً في دلالته على مشاركة بني وائل في المعارك في جهات شبوة وحضرموت وما إليها في تلك المرحلة، فالإسم "ربيعة بن وائل" هو اسم ربعي وائلي كما نعلم، و"ذهل" هو أحد كبار الأسماء في بكر بن وائل، واجتماع هذين الاسمين كقادة عظماء بالإضافة لورود اسم "أفصي" و"جشم" وهي أسماء لأعلام من قبائل وائل (أقل شهرة من سابقيهم) يجعلنا نرجح بقوة أننا أمام شخصيات وائلية شهيرة تنتمي إلى ربيعة الفرس قبل أن يشير النص صراحة إلى وائلية "ربيعة" و"ذهل" (سيدا حضرموت المعظمان)

---

(١) لا شك أن السيادة هنا لا تتجاوز السيادة على الجيش العظيم الوائلي الحضرمي الذي كانا يقودانه، والتعظيم يتعلق هنا بمكانتهما الحربية، إذ لا ذكر آخر في النقوش اليمنية لهما لنستدل به على تحضرهما وإقامتهما ملكاً حقيقياً ذو سيادة.

(٢) انظر:

- علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٦٠ - ٥٦١
- العتيبي، محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، من منشورات وزارة التربية والتعليم السعودية - وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٨٨ - ٢٩٢، النص ٧٨= (J665)

(٣) العتيبي، نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

والتي قطعت الشك باليقين حول علاقة قبائل ربيعة بالممالك اليزنية الحضرمية في شبوة في العصور المبكرة، ومن ثم يمكننا أن نقول بأن لربيعة بقية حضرمية في شبوة بكل تأكيد (إن صحت قراءة النص)، ويدلنا على ذلك التواجد القوي لبطون ربيعة الذي أشار له الهمداني في سرو مذحج بمحافظة شبوة (حيث دارت هذه المعركة)، إذ أشار لوجود قبائل تنتسب لربيعة الفرس مثل بني سرحة، وبني عنم، وبني طيبة، وبني جليحة، وبني عداء بن أسامة(١).

ونلاحظ من خلال هذا النص والنص السابق أن "جديلة" خاضت حرباً مع السبئيين عندما كانت تتواجد في إطار منطقة عسير في عهد الملك شمر يهرعش (٢٧٠م)(٢)، ولكن بعض قادتها وبطونها قد خاضوا مرة أخرى حرباً بعد ذلك بقليل مع السبئيين في شبوة من بلاد حضرموت في عهد الملك "ياسر يهنعم" وابنه "ذرأ امر أيمن" (٢٩٥م)(٣)، ولعل وجود بني وائل في شبوة وحضرموت وسيادتها عليها كما يشير النص كان امتداداً استدعته الأحداث لوجودها الثابت في بلادها الأساسية المجاورة لليمن من الشمال، حيث مواطنها الأولى فيما بين نجران وجرش وتثليث، وما يواليها غرباً من تهامة إلى شواطئ البحر الأحمر وجزر فرسان، كما أن هذه المعارك تدلنا على العداء المستمر بين ربيعة وسبأ، وتحالف الربعيين مع الحضارم في شبوة وما إليها، ضد السبئيين، ومن ثم وجدنا أخبار هذه المعارك المستمرة بين ربيعة والسبئيين في "بيش"، و"عتود"، و"خراص" (حسب ما تواتر في نقوش المسند)، والتي استمرت مساجلتها بين الطرفين إلى أن كان آخرها معارك "السلان" و"البيداء" و"خزاز" والتي كانت العاقبة فيها لربيعة (حسب المتواتر لدى الرواة العرب).

١٠- ونجد ما يؤكد حقيقة ارتباط بني وائل بهذه المناطق الواقعة حوالي جرش وما بينها وبين بيشة ونجران وتهامة أننا نجد شعراء ربيعة يشيرون بكثرة إلى مواطنهم أو إلى

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٧٨، ١٨٠

(٢) العتيبي، محمد سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، ص٤٠٦

(٣) العتيبي، المصدر السابق، نفس الصفحة

ذكرياتهم في مواقع تتمحور في المنطقة الواقعة في هذه المناطق وما حولها، يقول طرفة ابن العبد:

" أتعرف رسم الدار قفراً منازله   كجفن اليمان زخرف الوشـي ماثلـه
بتثليث أونجران أو حيث نلتقي   من النجـد في قيعـان جاش مسائلـه
ديار لسلمى إذ تصيدك بـالمنى   وإذ حبـل سـلمى منـك دانٍ تواصله
وإذ هي مثل الرئم صيد غزالها   لها نظـر سـاج إلـيـك تـواغـلـه
غنينا وما نخشى التفرق حقبة   كلانا غرير، ناعم العيش بأجلـه"

وطرفة هنا يتذكر لقاءه مع محبوبته أيام الصبا فيما بين تثليث ونجران أو في مواقع أخرى متفرقة من النجد الذي يصب سيله في جاش، وجاش تقع بالقرب من تثليث (إلى الغرب من تثليث)، حيث تجتمع فيها مسايل الجهات الغربية والتي تبدأ من المنطقة الواقعة ما بين سراة عبيدة وظهران الجنوب، وهو ما يدل على استيطان طرفة وقومه في أول عهده في هذه الجهات، وقد كان مولد طرفة عام ٥٤٢م.

ومما يؤيد صلة طرفة بهذه الديار واستيطان قومه "بكر" بجهات منطقة عسير دهراً إلى جوار بقية بني وائل وربيعة أن الشاعر البكري "المرقش الأكبر" المولود عام ٥٠٠م كان مولده بجهة اليمن[(١)] (لفظة "اليمن" في الجزيرة العربية تعنى "الجنوب")، وقد عاصر المرقش حرب البسوس، وشارك فيها بشعره كما هو معلوم، وحرب البسوس بدأت قبل ولادة المرقش بستة أعوام (٤٩٤م) واستمرت أربعين عاماً، وهو ما يعني أن حرب البسوس بدأت هنالك حيث ولد المرقش بين قومه وترعرع وهم يحاربون تغلب فشارك معهم، ونحن نجده بعد رحيله إلى الشمال يقول في بعض الأبيات التي يبدي فيها حسرته لذكريات طافت به، وأعادته لزمن الشباب والهوى:

---

(١) الفريح، عبدالرحمن، بنو بكر بن وائل منذ ظهور الإسلام حتى بداية العصر الأموي، تقديم ومراجعة أبي عبدالرحمن بن عقيل، دار ابن حزم للنشر والتوزيع - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ص٢١٤

سفها تذكره خويلـــة بعدمـا | حالت ذرى نجران دون لقائها
واحتل أهلي بالكثيب، وأهلها | في دار كلب أرضها وسمائها[1]

ونلاحظ هنا تذكره محبوبته التي حالت بينه وبينها قرى (أو ذرى) نجران، بعد أن ارتحل مع أهله إلى "الكثيب" وهي مع قومها في "دار كلب"، أي أنها تقطن حوالي نجران، وقد تزوجت حبيبته من رجل من مراد، فلما ضعن المرادي بها إلى ديار قومه عاد المرقش من قومه وتبعهم إلى ديار كان المرادي قد حالف أهلها، ذكر الهمداني أن اسمها "أخلَّة"، فتوفي بها، وكان المفضل الضبي يروي أنه مات بأسفل نجران[2].

إذن فموطن المرقش الذي عاش فيه أول حياته التي عاصر فيها حرب البسوس (٤٩٤ - ٥٣٤ م) كان قرب نجران التي عاد من مهاجره هائماً فمات في أسفلها، وبها شارك قومه في حرب البسوس، وأثناء ذلك كان مولد ابن قبيلته الشاعر "طرفة بن العبد" الذي ولد عام (٥٤٢م)، وعاش صباه وأول شبابه فيما بين "تثليث" و"نجران" وأعالي "وادي جاش" كما يدل شعره الذي أوردناه، أي في حدود نفس البلاد التي ولد وعاش فيها "المرقش"، ومن ذلك فهجرة المرقش مع عشيرته وقومه من منطقة عسير ونجران لم تحدث إلا بعد أن شب طرفة عن الطوق وأصبح شابا يافعا وبعد أن أصبح غريراً ناعم العيش يتعشق محبوبته متنقلا وإياها مع قومهما فيما بين تثليث ونجران إلى أعالي وادي جاش (كما يقول في شعره)، إلى أن رحلت قبيلتهم "ضبيعة" البكرية بعيد منتصف القرن السادس للميلاد، فلبث الشاعران يبكيان ذكريات صباهما في بلاد تقع في منطقتي عسير ونجران وفي ذلك يقول طرفة:

وقد ذهبت سلمى بعقلي كلـه | وهل غير صيد أحرزته حبائلـه
كما أحرزت أسماء قلب مرقش | بحب كلمع البرق لاحت مخائله

---

(١) ديوان المرقشين الأكبر والأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر - بيروت، ١٩٩٨ص٨٣

(٢) الهمداني، الإكليل، ج٢/ ص٢٦٠ - ٢٦٢

وقد أشار الأصبهاني في القرن الرابع للهجرة إلى هجرة ربيعة من جهة اليمن في تلك المرحلة (القرن السادس للميلاد) بشكل جلي، فقد أردف خبر تعشق المرقش الأكبر بابنة عمه وخطبته لها إلى أن تزوجها المرادي بقوله: "وهذا كان قبل أن تخرج ربيعة من اليمن"(١)، وهو نص واضح صريح.

ومما يؤيد ما قاله الأصفهاني ما ذكره البكري في رواية حول تواجد طرفة بن العبد بجهات بيشة وتبالة في بعض مراحل حياته في قوله:

"وقال طرفه، وهو يومئذ بناحية تبالة وبيشة وما يليها:

ولكن دعا من قيس عيلان عصبة　　يسوقون في أعلى الحجاز البرابرا(٢)"

كما قال طرفة:

رأى منظراً منها بـوادي تبالـة　　فكان عليه الزاد كالمقر أو أمر(٣)

وكما نلاحظ كثرة تواجد طرفة في بيشة وتبالة وأعالي مسايل جاش وتثليث ونجران وورودها في شعره كثيراً، وهي مناطق منقطعة عن بلاد هجر حيث كانت الرواية عن وفاته وعن تنقله بينها وبين الحيرة.

كما أن الأعشى كان كثير التواصل مع اليمن وخاصة مع جهة شبوة من بلاد حضرموت وما إليها فقد رحل إلى مسروق بن وائل في شبوة من بلاد حضرموت ومدحه ومما قال فيه:

طال الثواء على تريم وقد نأت بكر بن وائل(٤).

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، التزم طبع الكتاب الحاج محمد أفندي سامي المغربي، قرب على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية، بتصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي، ج١٥ ص١٨٠

(٢) البكري، المصدر السابق، ج١/ ص١٦

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٨

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٧٨

وكان يردد في شعره أسماء مواقع في جهات منطقة عسير:

وما أم خشف جأبة القرن فاقد ... على جانبي تثليث تبغي غزالها

بأحسن منها يوم قام نواعم ... فأنكرن لما واجهتهن حالها

فيا اخوينا من أبينا وأمنا ... ألم تعلما أن كل من فوقها لها[(١)]

قلت، لا شك أن هذا التواشج مع جهات الجنوب حيث تثليث، ومع شبوة موطن مسروق بن وائل سيد حضرموت، مع بعدها عن مقامه في بلاد اليمامة حينها يحتمل الدلالة على صلة للشاعر بهذه الجهات، جعلته يستذكرها في شعره ويتردد عليها، وهي نفس المناطق التي ورد نشاط قوي لقبائل بني وائل فيها كما جاء معنا.

ومما يزيد الثقة أيضاً بثقل هذا التواجد لقبائل بني وائل وكافة ربيعة فيما بين جرش ونجران وتثليث وبيشة في العصر الجاهلي وجود بقايا من فروع بكر بن وائل بهذه الجهات عند ظهور الإسلام، حيث حضر وفد نجران إلى النبي ﷺ وعددهم ستون راكباً، ومعهم أربعة وعشرون من أشرافهم، وقد ذكر في الرواية أسماء ثلاثة هم أعلاهم منزلة كان بينهم "أبو حارثة بن علقمة" أحد بكر بن وائل، والذي كان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم[(٢)]، وكان ضمن الوفد أخيه "كرز بن علقمة" أيضاً، ولا شك أن وجودهم في نجران ضمن أشراف نجران، يعد مؤشراً على الوجود البكري القوي في نجران فيما قبل الإسلام، كما يأتي مصداقاً لأبيات المرقش وطرفة وغيرهم حول مناطق تواجد ربيعة قبل الإسلام حوالي نجران وتثليث وأعالي وادي جاش وجرش وبيشة وتبالة وما بينها، وينسحب ذلك على المناطق المجاورة التي وردت إليها إشارات في أشعار

(١) الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، الصبح المنير في شعر أبي بصير، طبع بمطبعة أدلف هلز هوسن، ١٩٢٧، ص٢٢٢

(٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج١ (المغازي)/ ص٦٩٥ - ٦٩٦

البكريين وأحداثهم مثل "عروى" التي كانت من بلاد "ذهل" البكرية، والتي تحالفت عليها "ضبيعة" مع "ذهل"، والتي قال فيها المتلمس الضبعي:

عدية ليس لهـــا ناصـــر وعروى التي هدم الثعلب[(١)]

و"عروى" هي هضبة بالقرب من الوحاف وجبال القهر المعروفة ما بين تثليث ونجران، وهي أيضاً في بلاد بلحارث.

ومن ثم فإن هجرة معظم ربيعة من منطقة عسير ونجران إلى اليمامة والبحرين والعراق بدأت في حدود مرحلة منتصف القرن السادس للميلاد تقريباً، أي بعد حرب البسوس، أو لعل بداياتها كانت مع أحداث حرب البسوس التي ربما كانت بالإضافة إلى دخول الأحباش لليمن الذي تزامن مع تلك المرحلة من أسبابها، ومن الممكن أن تكون موجة جفاف قد أدت إلى هجرة جماعية لربيعة إلى جهات هجر واليمامة وسواد العراق والجزيرة الفراتية.

ومما يؤيد حدوث هذه الهجرة وتاريخها، أن نصاً جورجياً يذكر أن قبائل عربية اجتاحت بلاد العراق عام ٥٣٦م بسبب جفاف شديد ضرب أنحاء الجزيرة العربية (حسب وصفه)[(٢)]، ومن الأمور ذات الدلالة المدهشة أن تاريخ هذه الهجرة الذي أوردته المصادر الجورجية، وافق ما بعد انتهاء حرب البسوس بسنتين فقط، علماً بأنه لم يعرف في العراق قبل الإسلام من قبائل البادية العربية سوى قبائل ربيعة وإياد في الجزيرة الفراتية من أرض العراق، وكلاهما كانتا متجاورتان في نفس المواطن التي ذكرنا فيما بين عسير ونجران قبل هجرتهما إلى العراق، فمواطن إياد في الجاهلية هي أيضاً نفس المواطن التي كانت بها ربيعة، يقول الزركلي:

"وكانت ديار الإياديين في الجاهلية جهات الحرم ومابين تهامة وحدود نجران"[(٣)].

---

(١) البكري، معجمما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦

(٢) عيتاني، حسام، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، دار الساقي - بيروت، ط٢، ٢٠١٤م، ص٣٠

(٣) خيرالدين الزركلي، الأعلام، ج٢/ ص٤٨، ٤٩

وهو ما تدعمه نتائج فحص ال"دي إن إي" للقبائل التي عرفت في بلاد جنب، وتثليث، وجاش، وشمالي بلاد نجران في جهات "بدر" و"حبونة"، حيث ظهر تكتل لجزء من قبائل "العجمان[١]" ومن "الجحادر[٢]"، ومن "الحباب"[٣]، ولقبيلة "بني هاجر"[٤]، على تحور خاص بقبيلة ربيعة مشتركين مع تكتل واضح لقبائل عنز بن وائل في عسير ورفيدة والشعف[٥] وتندحة[٦]، ومع قبيلة عنزة في الشمال تحت سلالة التحور (by9)، بينما انفردت القبيلة المحورية في بلاد قحطان وهي: "عبيدة" بتحور خاص مجاور له وهو (by4)، ولعله تحور قبيلة "إياد" المعروفة بهذه الجهات، وتوزع البقية في حدود المنطقة بينهما أو بين تحورات أخرى.

وتشير بعض المصادر إلى استيطان "مذحج" و"حمير" حوالي منطقة جرش في العصر الجاهلي، وجاء في بعض الروايات حدوث حروب ونزاعات بين قبائل مذحجية حول صنم أهل جرش "يغوث" إذ كان الصنم بجرش بحوزة "انعم" و"أعلى" وهما من بطون "مراد"، إلى أن لجأوا به إلى بني الحارث بنجران هرباً من بقية مراد، وقد تداخلت بنو غطيف الطائية مع هذه الأحداث، وامتدت إلى حرب بين القبائل المذحجية[٧]، كما أن القبائل المستوطنة

---

(١) قبيلة كريمة كانت مواطنها في بدر الجنوب وما حواليها إلى ظهران الجنوب ونجران، وتنتجع منها عبر الربع الخالي إلى جهات الدهناء وسواحل الخليج العربي، انظر جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٦٠، ٤٧٧

(٢) قبيلة تقطن بلاد تثليث وجاش وما حولها، وفي الهيائم، والعفجة، والرفايع، بالخرج وفي جهات القويعية وما حولها.

(٣) قبيلة تقطن الحمرة بالقرب من الحرجة ومنها تمتد في جهات الشرق إلى ما دون تثليث.

(٤) بني هاجر: قبيلة كانت تقطن ما بين الحرجة وسراة عبيدة إلى أن هاجرت إلى شرق الجزيرة العربية.

(٥) قبائل معروفة من عنز بن وائل حيث عسير القبيلة المعروفة، ورفيدة دخلت في حلف قبائل قحطان، والشعف هو شعف أراشة بن عنز.

(٦) من بطون عنز بن وائل التي ذكرها الهمداني، دخلت في شهران، ومنازلها في تندحة وما حولها.

(٧) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/ ص٢٦١

حالياً لهذه المناطق مجتمعة تحت مسمى قبيلة "قحطان" وقد ذكرت بطونها في المصادر التاريخية المجاورة في القرون الاسلامية الوسيطة كقبائل جنبية، مما جعل بعض مؤرخي العصر الحديث يذكر أن جرش كانت من بلاد حمير ومذحج فقط، وقد ظهرت تكتلات لبعض بطونها إلى جوار قبائل عنز بن وائل وعنزة تحت التحور (FGC29864).

بداية فإن تواجد حمير في جرش في العصر الجاهلي بدأ بانتقال أحمد بن يزيد العوسجي الحميري من بلاد خولان إلى جرش، في أحداث معروفة في القرن الهجري الأول، وقبل ذلك كانت قد دخلت بعض بطون خولان المحسوبة على حمير في عنز بن وائل كما هو معروف، وكانت هذه الأحداث معاصرة لعهد سيف بن ذي يزن، وكانت عنز بن وائل مستقرة في جرش فيما قبل ذلك كما تشير تفاصيل الأحداث[١].

أما القبائل المذحجية التي ورد ذكرها في جرش في العصر الجاهلي فقد كانت تقطن ما بين جرش ونجران في بلاد "جنب" و"حبونة" ونواحيها، وكانت كلها من مراد، مثل أنعم، وأعلى، كما أن صنم أهل جرش "يغوث" عرفت به قبيلة مراد، فقد كان أول من أحضره إلى جرش: أنعم بن عمرو المرادي[٢]، بل كانت أسماء بني مراد تدور حوله كالقائد "هبيرة بن المكشوح بن عبد يغوث المرادي[٣]" وحاكم صنعاء بعد هزيمة الأسود العنسي: "قيس بن عبد يغوث المرادي[٤]".

وما يدل على استيطان مراد بلاد جنب الواقعة بين جرش ونجران إلى القرن الأول

---

(١) الهمداني، الإكليل، ج٢/ ص١٣٨-١٤١

(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، ب ر ط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مج٥/ ص٤٣٩

(٣) البغدادي، محمد بن حبيب الهاشمي(ولاء)، المحبر/ رواية السكري، اعتنى بتصحيحه د. إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة بيروت، ص٢٥٢

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م، ج٢/ ص٢٣٠

للهجرة قول الفرزدق:

"وأهل حبوني من مراد تداركت وجرماً بوادٍ خالط البحر ساحله

... قال أبو عبيد حبوني من أرض مراد. أراد حبونن فلم يمكنه"[1]

و"حبوني" "حبونن" (حبونا) من البلاد المجاورة لبلاد سنحان وجنب من الشرق، إلى الشمال من نجران (حيث كانت بلاد بني الحارث بن كعب في العصر الجاهلي) وحبوني (حبونا) ظلت من بلاد مراد إلى ما قبل القرن الثالث للهجرة، إذ آلت إلى قبيلة يام بعد هذه المرحلة، يدل على ذلك قول الهمداني (الذي عاش في القرن الثالث والرابع) في وصف طريق حجاج حضرموت:

"ثم من نجران حبونن، وهو واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان".. إلى أن يقول: "وقتل عبدالله ابن الصمة أخو دريد بخليف دكم من أعلى حبونن قتله بنو الحارث بن كعب"[2].

و"حبونن" والتي هي نفسها "حبوني" الواردة في الشعر العربي القديم هي "حبونا" المعروفة حالياً بين نجران وتثليث دون شك، يدل على ذلك ورودها بينهما في الترتيب في قول ابن مقبل:

أقرت به "نجران"ثم"حبونن" فـ"تثليث" فالأرسان فالقرطان[3]

نعود للأبيات الأولى، حيث نجد الشاعر الأموي "الفرزدق"(٣٨-١١٠هـ) يصف "حبونن"- المجاورة لبلاد جنب - في القرن الهجري الأول بأنها مرادية، بينما لم نجد أي أثر يذكر لقبيلة مراد بها ولا فيما حولها من بلاد سنحان وجنب منذ عصر الهمداني (نهاية القرن الثالث وبداية الرابع) إلى عصرنا الحالي، حيث ذكر أن حبونا من بلاد يام (ولا زالت

---

(١) الحموي، أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، مج٢/ ص٢١٤

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٥

(٣) ديوان ابن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي - بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٤٣

كذلك)، مما يدل على أن مراد تركت بلادها فيما بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الثالث للهجرة، واتجهت جنوباً إلى العمق اليمني حيث استوطنت ذمار وشبوة والجوف وما إليها.

وما يزيد الثقة باستيطان مراد لبلاد جنب وما حولها، أن مراد في أواخر العصر الجاهلي كانت تقطن مجاورة لخثعم وفي حلف معها، يقول جواد علي:

"وقد كانت بطون من مذحج تسكن إلى جوار خثعم، وعند ظهور الإسلام كانت خثعم في حلف مع مراد، وقد اشتركت معها في حربها مع قيس."[١]

ويأتي مصداقاً لرأي جواد علي ما ورد في الأخبار حول أسر سيد مراد جريحا من قبل قبائل عامر بن صعصعة يوم فيف الريح[٢] الذي كان بين خثعم ومجاوريها من مذحج من جانب وبني عامر بن صعصعة من الجانب الآخر، بل لقد كانت مراد وخثعم قبيل الإسلام في دار واحدة، يدل على ذلك ما جاء في كتاب الأغاني على لسان قيس بن المكشوح مجارياً للسليك بن سلكة عندما قال في عكاظ في وصف ديار قومه:

"حد بين مهب الجنوب والصبا ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة فإذا انقطعت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق فإنك ترد على قومي مراد وخثعم[٣]".

والثابت أن خثعم ديارها ما بين "جرش" و"تبالة" و"يعرى"، حيث بلاد خثعم المعروفة منذ ما قبل غزو جيش أبرهة وأصحاب الفيل الذي كان في عام ٥٧٠م عندما مر ببلاد خثعم حسب ما استفاض في الأخبار، ومن ثم فهي ملاصقة لبلاد جنب، الواقعة جنوبها.

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت على نشره جامعة بغداد، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٤/ ص٤٤٥

(٢) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج١/ ص٢٢٧- ٢٢٨

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، نسخة قديمة، في فصل "أخبار سليك بن السلكة"، ج١٨/ ص١٣٥

بالإضافة لذلك فإنه لم يأت خبر عن وجود القبائل التي عرفت في بلاد جنب لاحقاً في المنطقة كجزء من "مذحج" في أحداث العصر الجاهلي، فلم يذكر أيها ضمن قبائل مذحج المشاركة في يوم فيف الريح، وناهيك عن أن مذحج ورد أنه في الأصل اسم أكمة تحالفت جواره بعض القبائل، وليست قبيلة واحدة[1]،وهو ما أيدته نتائج الفحص الجيني الحديث حتى الآن، حيث افترقت قبائل مذحج تماماً عن بعضها، مما يعني احتمالية أن بعضها كانت من "ربيعة بن نزار" أو "أنمار" أو "إياد"، فقد ورد لدى الكلبي والهمداني فقط اسم سنحان كواحدة من حلف الأخوة تحت مسمى "جنب" إلى جانب عدد من القبائل المذحجية التي لا وجود لها حاليا، وبعد ذلك ورد ربط لعبيدة بـ"معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن بن مذحج" عند ابن حزم[2] وما بعده، وبينما كان مؤرخو اليمن في القرن الرابع وما بعده يشيرون إلى بعض هذه القبائل باسم جنب أثناء سردهم لقبائل المنطقة، ويشيرون في شعرهم إلى مذحجيتها، فإن من عرفوا باسم الجنبي في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي كانوا من قبيلة مراد، ومنهم بشر بن عائذ الجنبي المرادي في مصر[3]، فقد كان الرجل جنبياً ومراديا في نفس الوقت، ومنهم أيضاً التابعي/ عمرو بن مالك الجنبي المرادي[4]، وهو ما يدلنا على ارتباط مسمى جنب في الأساس بقبيلة مراد والتي لم يرد أن القبائل الموجودة حالياً في منطقة عسير تتصل بها نسباً، ومما يزيد الثقة بهذه المعلومة أن "مراد" قد جاورت بعض بطون بكر بن وائل التي عرفت

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥/ ص٤٣٩

(٢) جاءت أول إشارة عند: ابن حزم الأندلسي، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ، ص٤١٣

(٣) ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ج٢/ ص٢١٤

(٤) ابن حجر، الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٨/ ص٨٤ .

بالقرب من بلاد جنب، مثل ضبيعة التي ورد استيطانها فيما بين أعالي وادي جاش وتثليث ونجران وما حولها في العصر الجاهلي، بينما نجد أن ابنة عم المرقش الأكبر التي كان يعشقها تزوجها رجل من مراد[1]، وهو ما يدل على التجاور في المواقع.

لذا فالراجح أن مسمى "جنب" في الأساس يخص قبيلة مرادية، وربما يكون اسم موقع حمله ساكنوه، لذا حمله المراديون عندما استوطنوها، كما حمله مجاوروهم في جنب من قبائل ربيعة الذي امتدوا على بقية بلاد جنب بعد نزوح مراد، ولعل قول الشاعر الخثعمي عبدالله بن الدمينة:

"شاق للعين بأعلى راحة　　　　و"جناب" حبذا ذاك البلد"[2]

يجعلنا نرجح أن "جناب" (جنب) المجاور لـ"راحة" حسب سياق البيت هو اسم بلد لا اسم قبيلة، وربما كان سبب الخلط تعدد القبائل التي كانت تقطنه، وتحمل اسمه، ونظراً لارتباك الإخباريين في هذا الخصوص، فقد افترضوا أنه اسم حلف بدءاً بالكلبي ثم من تبعه - كالمعتاد -، فقالوا إن جنب هو اسم أُطلق على مجموعة من قبائل مذحج لأنهم جانبوا أخيهم صداء وهم: "منبه"، و"الحارث"، و"الغلي"، و"سنحان"، و"هفان"، و"شمران"[3]، ولكننا نلاحظ أن كل هذه القبائل لا وجود لها في بلاد جنب الواقعة في منطقة عسير، والقبيلة الوحيدة الموجودة بجوار بلاد جنب هي: "سنحان"، ولكنها عادة ما تذكر منفردة عن جنب، والأرجح لدينا حسب المعطيات أن جنب الواقع في منطقة عسير ليس اسم حلف قبلي كما ادعى الكلبي ومن تبعه، بل لعله أصبح حينها يمثل اسم موقع جغرافي محدود، تقطنه عدد من القبائل الربعية التي تداخلت مع محيطها، وهو الجزء

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، التزم طبع الكتاب الحاج محمد أفندي سامي المغربي، قرب على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية، بتصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي، ج١٥ ص١٨٠

(٢) عبد الله بن الدمينة الأكلبي الخثعمي، ديوان ابن الدمينة، تحقيق محمد الهاشمي البغدادي، ط١، سنة ١٣٣٧هـ، ص٢٩

(٣) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، أنساب معد واليمن الكبير، تحقيق د. ناجي الحسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٢/ ص٢٩٩

الواقع ما بين طلحة الملك ورفيدة، فأسقط الإسم الذي ارتبط بالموقع ـ أيا كان السبب ـ على القبائل التي استوطنته لاحقاً بأثر رجعي، فتحول اسم الموقع "جنب" إلى اسم للمستوطنين الجدد من قبائل ربيعة النزارية التي تداخلت مع محيطها.

ومجمل ما ذكرنا من دلائل تقود إلى أن مراداً كانت تقطن بلاد جنب في منطقة عسير في العصر الجاهلي مجاورة لقبائل من بني وائل من ربيعة ولقبائل من خثعم، وربما امتد زمن وجودها إلى بدايات القرن الهجري الثاني، ثم نزحت لليمن، ومن الجدير بالذكر في هذا الخصوص الإشارة إلى أن في اليمن عدة مواقع وقبائل مذحجية تحمل اسم "جنب"[1]، فلعلها جنب المقصودة والتي نزحت عن جنب في منطقة عسير، حاملة اسمها معها، أو لعلها حملت اسم المكان إلى هنالك.

ومن كل ذلك نقول أن الراجح لدينا وبقوة هو أن جنب الواقعة في منطقة عسير الحالية الملاصقة لبلاد خثعم، والتي كانت موطناً لبني وائل الربعية ـ كما تدل النصوص التي اوردنا ـ هي (جنب ربيعة) التي ذكرها ابن رسول[2]، فتكون القبائل الكريمة والمعروفة باسم "قحطان"، هي قبائل وائلية تنتمي إلى بني وائل من ربيعة الفرس.

والجدير بالذكر أنه قد ورد أن في قبائل بني وائل الربعية بطن من بني فرسان في جهة

---

(١) في اليمن عدة محلات أخرى تحمل اسم "جنب" ففي ناحية ناجية بني مطر في الغرب من صنعاء "مخلاف جنب"، وجنب قبيلة كانت مساكنها حول مدينة ذمار وكانت من القبائل العاتية، ولها ذكر في التاريخ حتى المائة الثامنة (أواخر الدولة الرسولية) ثم اختفى ذكرها، ويقال إن الجنبيين، وهي عزلة في مغرب عنس من أعمال ذمار، هم بقية تلك القبيلة والله أعلم. يقول الأكوع: لا نعلم متى تفرقت هذه القبيلة، وأين كانت مساكنها الأولى. انظر: الأكوع، إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ومكتبة الجيل الجديد - صنعاء، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٨١

(٢) ابن رسول، السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه ك. و. سترستين (عضو المجمع العلمي العربي)، دار صادر - بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٦٣

اليمن اسمهم "بنو قحطان"[١] فلعلها قحطان الحالية التي نعرفها، كما أن في بني وائل الربعية أيضاً "سنحان بن عمرو" ومن ولده "عمران الجباب (الحباب)"[٢]، كما أن بها "هاجر" و"بشر"، وهي أسماء بطون في قحطان، إلا أني أرجح أكثر أن قحطان الحالية في منطقة عسير هي في الغالب بقية قبيلة ضبيعة البكرية الوائلية، بعد نزوحها إلى بلاد اليمامة، فلا زالوا يقيمون في نفس المواقع التي كان يقيم بها طرفة بن العبد والمرقش وقبيلتهم قبل رحيلها، ويحملون أسماء بعض بطونها مثل "جحدر بن ضبيعة"، كما ظهرت عينات من هذه القبائل متكتلة في سلالة واحدة تحت التحور: (ZS2020)، ضمن سلالة قبيلة ربيعة.

ونحن رغم كل ذلك لا يمكننا الجزم بربعية أي القبائل الجنبية، بناء على نتائج الفحص الجيني، فلعل هذه القبائل تحمل أصولاً مذحجية بالفعل ودخلت فيها بطون ربعية، أو لعل التحور الربعي (BY9) لا يمثل تكتلاً شاملاً في القبائل التي ظهرت عينات منها تحته، فالعينات عامة قليلة حتى الآن، وبعض القبائل لا يوجد لها تمثيل إلا بعينة أو اثنتين، بينما وجدنا تكتلاً واضحاً لمعظم "عبيدة" وعينات أخرى تحت التحور (BY4)، فلعله تحور جنب، ولربما ظهرت تكتلات أخرى لهذا التحور في بقية القبائل مع المزيد من الكشوفات، فيكون التواجد الربعي فيها ناتج عن دخول بعض بطون ربيعة المجاورة في جنب، والعكس صحيح، فهنالك تواجد لعينات من عنز بن وائل تحت التحور (BY4)، ما يدل على تداخل القبيلتين الكريمتين.

١١- على أرض الواقع تتكتل قبائل بني وائل في منطقة عسير وما حولها، حيث تقطن في تهامة عسير - منذ القدم - قبائل تتوارث انتماءها البكري والتغلبي إلى هذه اللحظة، وقد أشار لها ولهذا الموروث عدد من المصادر التاريخية منذ منتصف القرن الهجري الماضي[٣]،

---

(١) الأشعري، محمد بن أحمد بن إبراهيم، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، ص٩٩

(٢) الأشعري، محمد بن أحمد بن إبراهيم، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، ص٩٨

(٣) انظر كل من:

- حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، ص١٥١، ١٥٤

==

ولدى بعضها وثائق بنسبها لا زالت تحتفظ به، وفي ذلك يقول محمد بن أحمد المتحمي:

سقى الله أوطانا تحـف بتهلـل ... وأرخى عليها هاطل المتراكم

قبائل حلتها مغيد وعلكم ... ومالك والأحلاف من عهد آدم

وقيس بن مسعود وبكر بن وائل ... وأكرم بشحب في ثراها وظالم

فأسماء قبائل "بكر بن وائل" و"قيس بن مسعود" هي أسماء مركبة لأعلام من بني وائل، من المستبعد أن تأتي بهذه الدقة وتكون بلادها متجاورة ومجاورة لبلاد عنز بن وائل الثابت انتمائها الوائلي - كما هو معروف - بالصدفة، كما تتواجد قبيلة تغلب مجاورة لهما في جهة الدرب (درب بني شعبة) حيث قبيلة بني شعبة التغلبية التي أشار إلى تغلبيتها ابن سعيد الأندلسي[(١)]، وأشار إلى تغلبيتها جحاف أيضاً[(٢)]، وتتواجد قبائل فرسان التغلبية في جزر فرسان كما أشار لذلك عدد من المصادر التاريخية[(٣)]، بالإضافة إلى أن عنز بن وائل تمثل جزءاً رئيسياً من تركيبة السكان في منطقة عسير منذ القدم وإلى هذه اللحظة، فقد أصبحت بطونها قبائلاً كبرى في مواقعها القديمة في السراة، بل وتتداخل مع كافة قبائل المنطقة كما هو معلوم، وتلاصق بلادها بلاد بكر وتغلب في تهامة، بل وكلها تحمل انتماءً قبلياً واحداً.

==

- النعمي، هاشم، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص٧٤ - ٨١
- أحمد آل فايع، دور آل المتحمي....، ص١٧٨
- الحفظي، محمد بن إبراهيم زين العابدين، نفحات من عسير، ص١٥٨

(١) الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك بن سعيد، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى - عمان، ب ت، ص٥٩٩ - ٦٠٣

(٢) جحاف، لطف الله، درر نحور الحور العين، ص٤٦٠ - ٤٦١

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، نفس المصدر السابق، ج٤ / ص٢٥٠ ؛ وانظر أيضاً: الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، ص٩٦

رابعاً: علاقة معد بجرش وأحوازها "منطقة عسير"

من خلال الإشارات التاريخية التي أوردنا، وما سيأتي في هذا المبحث، وبتتبع مواقع الأحداث التاريخية فإن هنالك دلالات على أن جرش وأحوازها ثم ما بينها وبين تبالة وتثليث ونجران وتهامة كانت مستقر القبائل المعدية في عهدها الأول، وبالتالي ترجيح تكوُّن "معد" و"نزار" فوق أرضها في المراحل الأولى، فنحن لم نجد ذكراً قديما لقبيلة "معد" بمسماها الأول ولـ"نزار" كما وجدناه يتكرر في أحداث هذه المنطقة ومن ذلك:

١- تواتر الأخبار في المصادر العربية الدالة على استيطان قبائل معد ونزار والتي تنتمي إليها ربيعة لهذه الأرض (ما بين جرش ونجران وتهامة) منذ القدم ومن ذلك التالي:

أ- جاء في معجم البلدان لياقوت: "وذكر بعض أهل السير أن تبعا أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة ومعد حالة حواليها فخلف بها جمعا ممن كان صحبه"[(١)].

- ويدلنا هذا الخبر على استفاضة انفراد قبائل معد منذ العصر القديم بالاستيطان في سراة عسير، بل إن الخبر يشير إلى معد وكأنها حينها لم تنقسم إلى شعوب وقبائل بعد، ولم تزل تحمل اسمها الأول: "معد".

ب- ذكر الهمداني في جهة جرش مجموعة ذكر أنها من النزارية، كانوا رابطة لعنز على العواسج ويملي لهم عنز بصرختها ونجدتها، وقد وصفهم الهمداني بأنهم فرقة من النزارية من الغرباء.

كما حاول الهمداني التقليل من شأنهم ووصفهم بأنهم من الجزارين، وأشار إلى أن أحد بطونها وهم بنو الغاز من موالي قريش، وهذا لا يصح، فالصحيح أن هذه القبيلة التي تنتمي إلى نزار كانت تذود عن جرش وتحمي بلاد قومها وتثور لداعي عنز بن وائل كما أقر

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٢٦

هو بذلك، وهي صفات العرب الأقحاح، فقبيلة تنتمي إلى نزار وتحمل مثل هذه الصفات العرقية والخلقية لا يصح وصمها بأي إشارة تحمل على الدونية، فلا شك أنه قد كان لها مكانة وسؤدد فرضتها سيوفها حتى انتهت بإزاحة خصومها من جرش، ومع ما عرف من تعصب الهمداني، فإن ذلك يعد مؤشراً على علمه بانتمائهم لنزار بن معد[1].

ولا شك أن ذكر مجموعة تحال إلى مسمى القبيلة الأم ولا تنسب لما هو دون ذلك يحمل دلالة على ارتباطها بالموطن الأصلي للقبيلة الأم، إذ تفقد المجموعات صلتها بالمسميات الأساسية مع حراكها المستمر ولكن في حالة الثبات فإن الإسم يرتبط بالإنسان ويظل كذلك مالم يرحل، وأحياناً إلى أن يرتبط بالأرض التي يقطن فوقها الإنسان، لذا فوجود مجموعة لم تزل تحمل مسمى نسبها النزاري في القرن الرابع للهجرة، ولم تربط بما دونه يحمل دلالة على ارتباط قبيلة نزار الأم بهذه الأرض.

ج- جاء اسم يوم "الشرى" للدلالة على معركة غزا فيها أحد ملوك اليمن قبيلة "معد"، فقد ذكر ابن حزم أن صهبا بن الحارث قد حارب معد بن عدنان يوم "الشرى"[2]

والشرى هو اسم جبال في بلاد خثعم بجهة السراة المجاورة لجرش من الشمال يرد منها وادٍ يحمل نفس الاسم، ويدلنا هذا الخبر على امتداد قبائل "معد" في العهد القديم على

---

(١) مما يعزز هذا الرأي وصف الهمداني لأحد أعلامها وهو "الغاز" بأنه من موالي قريش، ولعله قد اتكأ في إطلاق هذه البدعة على تقريب معاوية له في مجلسه ثم في ابنه يزيد، وهذا خطأ فقد كان الغاز ابن لربيعة بن عمرو (ابن الغاز) الجرشي الذي كان من الأعيان ذوي المكانة العالية والكلمة المسموعة المقربين من معاوية ثم من ابنه يزيد، ومما يثبت علو شأنه أنه حارب رغم مكانته منهم ومن بني أمية إلى جانب ابن الزبير في معركة مرج راهط ضد بني أمية، وقتل في نفس المعركة، ولا شك أن الموالي لا يملكون مثل هذه الحرية التي تجعلهم يقفون في مواجهة أسيادهم احتراماً لمواقفهم الثابتة ومعتقداتهم، فالصحيح هو أن الغاز كان - كما كان والده وأبنائه من بعده - من ذوي النفوذ والمكانة والسؤدد على امتداد العهد الأموي والعباسي.

(٢) محمد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧م، ص٤٣٤

جبال السروات واختصاصها بأجزاء منها.

د- لعل التاريخ الذي أهمله الرواة بين ثنايا الشعر الجاهلي يكمل لنا الرواية، فمثلاً وردت أخبار خوض قبائل بني سليم عددا من المعارك في العصر الجاهلي مع قبائل زبيد، وخثعم، ومراد، وبني الحارث بن كعب وبني عبدالمدان وصداء في "ترج" و"تبالة" و"تثليث" وما حولها، وتشي أشعار المهاجاة بين شعراء زبيد مثل عمرو بن معدي كرب من جانب وشعراء بني سليم مثل العباس بن مرداس من الجانب الآخر عن هذه الأحداث بقوة[1]، وإلى علاقة قبيلة سليم بهذه المواقع قبل رحيلها إلى شمال مكة قبيل مرحلة البعثة النبوية، حيث عاصر بعض الصحابة مثل "العباس بن مرداس" هذه الحروب وشاركوا فيها، ومن دلائل خصوصية هذه العلاقة واستمراريتها أيضاً كثرة تردد "العباس الأصم" (السلمي) لبيشة والذي نجده في قول ابنته وهي ترثيه:

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة   إلى هضب أشراك أناخ فألجما

وكيف لنا أن نجد سبباً لقدوم قبيلة بني سليم من "الكامل" و"القعور" و"الحرة" وما حولها الواقعة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة لتخوض حروباً مستمرة في ترج، وتبالة، وبيشة، وجرش، وتثليث، وليتردد أعيانها على هذه المواقع على بعد حوالي ٧٠٠ كيلو متراً دون بقية القبائل المجاورة لها، إلا إذا كانت مساكنها في هذه المواقع.

---

(١) للمزيد انظر:

- السلمي، العباس بن مرداس، ديوان العباس بن مرداس، ص ١٦ - ١٧، ٥٨-٥٩، ٦١-٦٢، ٧٩
- الزبيدي، عمرو بن معدي كرب، شعر عمرو بن معدي كرب، جمعه ونقحه مطاع الطرابيشي، من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٢٠، ١٢٤-١٢٧، ١٥١، ١٩٤
- الآمدي، أبي القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلق عليه د. ف. كرنكو، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٥٦

كما أن مجمل القبائل القضاعية الكبرى كانت مواطنها الأساسية في نفس هذه المواقع من بلاد السراة، فقبيلة "نهد بن زيد" كانت فيما بين طريب وتثليث[1]، وقد استمرت نهد في هذه الديار إلى نهاية القرن السادس للهجرة، وقد ورد أن جهينة وجرم كانت مساكنهما الأولى قبل الإسلام تسمى "أديم" وهي تجاور "تثليث" مما يلي السراة بين تهامة واليمن[2]، كما ورد أن قضاعة ومنها جهينة كانت تجاور قبائل ربيعة إلى أن حدث النزاع بعد قصة القارض العنزي فأجلتها ربيعة ونزار حتى ظعنت قضاعة ومنها جهينة التي اتجهت إلى مواطنها الأخيرة الواقعة حيث فرش ملل من مكة على طبع أو نحوها، ومن المدينة على ليلة، إلى جانب مثعر، فنزلت جهينة تلك البلاد، وتفرقت في تلك الجبال، حيث رضوى وما حولها، وامتدوا على السهول وإلى سواحل البحر [3]، ولا زالت جهينة بهذه المنازل إلى اليوم، ولعل الخلط الحادث في كتب الأنساب احدث أثره على فهم التاريخ والهجرات بطريقة معقولة، فقبيلة فهم بن تيم اللات القضاعية أيضاً كانت من القبائل التي ذكرت في هجرة قضاعة بعد جلائها من تهامة إلى نجد[4]، وقد رافقتها أيضاً قبيلة بني ملكان بن جرم[5]، بينما نجد أن فهم التي كانت تقطن حوالي الطائف ثم جنوب مكة حالياً يجاورها موقع وادي يسمى "ملكان" يتداخل مع ديار هذيل، مما يعزز من فكرة ارتباط هذه القبائل ببعضها هنا وهناك.

وعلى جانب آخر، فقد نقل ياقوت في معجم البلدان عن الكلبي خبر مواطن خندف وقيس عيلان القديمة قبل افتراقهما ومنه قوله: "وقال أبو المنذر. كان غزية بن جشم بن

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٧ - ٢٢٨

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالمنعم الطحاوي، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣١ ص١٩٣

(٣) الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، افتراق ولد معد، جمع وتحقيق احمد محمد عبيد، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٠م، ص٣٤، ٣٥

(٤) الكلبي، افتراق ولد معد، ص٣٢

(٥) الكلبي، افتراق ولد معد، ص٣٦

معاوية بن بكر بن هوازن ندياً لربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، فشربا يوماً فعدا ربيعة على غزية فقتله فسألت قيس خندف الدية فأبت خندف فاقتتلوا فهزمت قيس فتفرقت. فقال فراس بن غنم بن ثغلبة بن مالك ابن كنانة بن خزيمة:

أقمنا على قيس عشيـــة بارق ... ببيض حديثات الصقال بواتك
ضربناهم حتى تولوا وخليت ... منازل حيزت يوم ذاك لمالـــك

قال فظعنت قيس من تهامة طالعين إلى نجد فهذا دليل على أن بارق موضع بتهامة نص"[1]. وبارق بلدة معروفة في تهامة منطقة عسير، تقع على واد غزير المياه، وبها كان يقام سوق حباشة الشهير، الذي ورد أن النبي ﷺ قد ورده، ومن الملفت للانتباه أن هنالك قريتان تقعان بالقرب من بارق (على مسافة حوالي ٣٧كم) في تهامة بلقرن متجاورتان إحداهما اسمها "قرن هذيل" والأخرى "قرن قريش"، أي أنهما قريتان متجاورتان تحملان اسمي القبيلتين المتجاورتين في مكة، واللتان تنتميان إلى خندف التي كانت تقيم في بارق، ولا زالت كنانة تقطن إلى الغرب عن بارق وعن قريتي قرن هذيل وقرن قريش، وتحمل اسمها القديم إلى جانب أسماء فرعية، إذ تقيم قبائل "بني حرام" الكنانية، وقبيلة "كنانة" حوالي حلي بن يعقوب الواقعة غير بعيد عن هذه المواقع، وهذا يؤكد فكرة أن بارق الواقعة في تهامة عسير هي المعنية بالقصة والأبيات، وأن خندف وقيس عيلان كانتا تتجاوران حواليها، وجلت قيس إلى السراة (نجد)، وبقيت خندف، ثم نزح بعضها شمالاً، وهذه بعض آثارها في المكان.

وإذا قارنا هذه الهجرات بما عرفنا من نزوح جهينة الوارد خبره من سراة منطقة عسير، وعن تواجد سليم قبيل الإسلام في نفس المنطقة ضمن أحواز جرش، فهذا يعني ترجيح حدوث هجرات جماعية متوافقة في ظرفها واتجاهها، انطلقت من تلك المناطق إلى جهات الشمال قبيل الإسلام، ومما يزيد الثقة بحدوث هذه الهجرات أن مسمى صنم أهل جرش (يغوث) كان شائعاً في القبائل المعدية المعدودة من مضر، بمثل ما هو في قبائل

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٣١٩

ربيعة[١]، فقد كان مسمى (عبد يغوث) شائعا في قبائل قريش، وتغلب، وهوازن، وعامر بن صعصعة[٢].

أيضاً نجد أن طقوس عملية الختان وهي من العادات المتجذرة العميقة في القبائل المجاورة لمكة تشابه بقوة تلك المتبعة في تهامة عسير[٣]، مما يعني أن عاداتها امتداد طبيعي لموطنها الأول، ففي مثل هذه القواسم ما يستدل به عادة على الصلة.

ولعل من الملفت تجاور عينات من هذه القبائل جميعاً (سليم ونهد وجهينة وجرم وبني زيد وفهم وهذيل) في نتائج فحص (DNA) إلى جانب عدد من القبائل التي تقطن في نفس بلاد قيس عيلان التاريخية، تحت سلالة تحور واحد على خلاف ما تنبئ به كتب الأنساب، وتعرف بالسلالة (L222)، ونلاحظ أن كامل قبائل قضاعة تكتلت كأكبر مكون تحت هذه السلالة وإلى جوارها معظم قيس وبعض خندف، بينما انفصلت عنهم سلالة ربيعة، وسلالة (عبيدة وخثعم)، وطي، وانفصلت قريش عن الجميع ولكنها جاورتهم جميعاً تحت نفس التحور المعدي (FGC1723)، وكانت على نفس المسافة منهم جميعاً، فالواضح ان قضاعة تتداخل بقوة مع قبائل قيس عيلان، وإلى حد ما مع خندف، فهي أقرب إليهم من قريش ومن ربيعة ، ما يعني انقلاب المفاهيم حول هيكل نسب معد، بل وماهية معد، كما يلاحظ تمركز اقليم عسير في نتائج التحورات العلوية الخمسة المنبثقة عن التحور الرئيسي في معد (FGC1695) حيث تتكتل نتائج التحورات (FGC4740) و (FGC31318) و(BY4) في إقليم عسير بشكل رئيسي، بينما يمثل الإقليم جغرافيا رئيسية هامة للتحورين (L222) و(FGC4415)، ونحتمل مع المزيد من الفحوصات في تهامة

---

(١) للمزيد، انظر: الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ص٢٨، ٣٨، ٤٦، ٥٠، ٥٩، ٨٨، .. إلخ

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/ ص٢٦١-٢٦٢

(٣) للمزيد انظر:

- رفيع، محمد عمر، في ربوع عسير..، ص٨٤
- حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، ص١١٧

الجبلية جنوبي مكة والباحة وعسير وجازان أن نعثر على تحورات جديدة تحت سلالة التحور القرشي (FGC8712).

٢- ترد في النقوش المسندة السبئية والحميرية والدراسات المنبثقة عن قراءتها الكثير من الإشارات عن حدود هذه الممالك التي تقف عند حدود مدينة صعدة وبيش وما إليها، وعن وجود شعب "نزار" مجاوراً لها من الشمال، كما يرد أيضاً ذكر لبطون القبائل المعدية مشاركة في حروب هذه الممالك، مما يدل على وجود معد مجاورة لهذه الديار ومتداخلة مع أحداثها منذ القدم، ومن ذلك:

أ- ورد في أحد النقوش السبئية إشارة إلى أن الملك السبئي شمر يهرعش قد شن حملة في جهات وادي دفأ، وسهرت (السراة)، ووادي عتود، وبيش، وبلاد بني الحكم، وممن واجه في هذه الحملة شعب (قبيلة) "جديلة"[(١)]، وهواسم القبيلة الأم لقبائل بني وائل الربعية من بكر وتغلب وعنز أبناء وائل (وهو ما ورد نصه وتفاصيله معنا في هذا الكتاب)[(٢)]، وقد اعتبر الباحثون في تاريخ جنوب الجزيرة العربية الحدود القديمة لنفوذ العربية الجنوبية تنتهي شمالاً عند وادي بيش، كما اعتبروا وادي عتود جزءاً من منطقة لها تعريف مختلف، واعتبرت الحرب التي دارت في هذا الوادي معركة مع قائد شمالي يقول الكاتب:

" ثم نزلت من مساكنها إلى أرض (سهرتن) (سهرتان) ثم اجتازت هذه الأرض إلى وادي (بيش)، وهي الحدود القديمة للعربية الجنوبية، ثم تقدمت منها نحو الشمال إلى (وادي عتود) الذي يقع في الأرض المسماة بـ Knaifokoltital عند الكلاسيكيين. وفي هذه الأرض اصطدمت قوات (شمر) بقوات (نشدايل) القائد المذكور"[(٣)].

---

(١) العتيبي، محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، من منشورات وزارة التربية والتعليم السعودية - وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٨٤ -٢٨٧

(٢) انظر فصل "ربيعة اليمانية " في هذا الكتاب

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٥٠

ورغم أن هنالك من اختلف في مفهوم المسمى "نشد إل" عن المفهوم الذي أشار له جواد علي، إذ قرأ آخرون المسمى "نشد إل" كاسم عشيرة[١]، إلا أن تذييل المسمى بـ "إل"، يدل على أنه اسم رجل وليس اسم عشيرة، حيث أن "إل" أو "إيل" تعني إله، وعادة ما ترافق أسماء الأشخاص لا أسماء العشائر، وهذا يدل على أننا أمام اسم رجل: "ناشد الإله" "ناشد الله" "طالب الله"، كما أن ذلك في المحصلة لا يعني فارقاً كبيراً، فليس مهم لدينا في هذه الجزئية التحقق من صحة دلالة المسمى، فقد يكون اسم قائد أو ملك انسحب على عشيرته فيقال "عشيرة "نشد إل" كما يقال "عشيرة الحارث بن كعب" في النصوص اليمنية، بصفته يقودهم.

إن من المهم هنا التنبه إلى عدة أمور في هذا النص، فمن المعلوم لدينا أنه تم دراسة هذه المواقع (جنوب الجزيرة العربية) ميدانياً من قبل الباحثين والأركيولوجيين بدرجة جيدة، والملاحظ أنهم اعتبروا "وادي بيش" يقع على نهاية الحدود القديمة للعربية الجنوبية، ويعنون بذلك الحدود السياسية للممالك اليمنية المتتابعة في مأرب وكحلان وشبوة وظفار وتمعن وسواها، ومن ثم فما وقع في بيش وشمالها لا ينتمي حضارياً ولا في التاريخ السياسي إلى هذه الممالك، لذا اعتبروه خارج النطاق اليمني، ومن ذلك اعتبروا الحرب التي دارت شماله (في وادي عتود) حرب خارج الحدود السياسية لهذه الممالك، لذا افترضوا أنها بين قائد شمالي وآخر سبئي.

كما يلاحظ أن الباحثين قد وضعوا "وادي عتود" في إطار مسمى عام، من الواضح أنه لا يرتبط بالعربية الجنوبية، بل المسمى - كما يصنف الباحثون المسميات الواردة حوالي سواحل البحر الأحمر في التاريخ القديم - أكثر ارتباطاً ببلاد "كنانة"، وهذا يتوافق مع ما ورد في المصادر العربية، فقد جاء فيها أن وادي عتود من أودية كنانة، وقد جرت فيه معركة بين كنانة وخزاعة[٢].

---

(١) العتيبي، المصدر السابق، ص٢٨٦

(٢) ياقوت، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٤/ ص٨٣

ومما يثير الانتباه هنا أيضاً وجود قبيلة "جديلة" (جدلت)، ضمن القبائل التي شن الجيش السبئي الحملة عليها في الموقع، و"جديلة" هو اسم جامع لعدد من قبائل ربيعة المعدية.

وقد استدل الباحثون بهذا النص للتوصل إلى أن القائد "نشدال" الذي حارب جيش شمر هو قائد شمالي من قادة امرئ القيس(١).

ب- جاء في أحد النقوش السبئية:

"... حيث أوفده سيده الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان إلى أملاك الشعوب غسان والأسد ونزار ومذحج وها قد حمل حيل (= حول) ومقام ألمقه حيث أوفق (= أتم وأنجز) وفادة سيده بسلامة، وليظل المقة خامره حظوة ورضا سيده الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان(٢)".

- يدلنا هذا النص القديم جداً، والذي جاء بذكر شعب "الأسد" الذي أشير إلى وجوده في نجران في النقوش السبئية في تلك المرحلة، وشعب "مذحج" وهي القبيلة التي عرفت واشتهرتحوالي قرية ذات كهل (الفاو) القريبة من نجران في تلك المرحلة، و"غسان" التي وردت إشارات في المصادر التاريخية إلى تواجدها بالقرب من نجران في المراحل الأولى من التاريخ، حيث جاء في المصادر العربية أنه وقعت معركة بين "غسان" و"لخم" و"نجران" في الموقع المسمى "الذنائب"(٣)، ما يعني تجاور هذه الشعوب (أو القبائل)، ومجاورتها للذنائب التي جاء أنها دون زبيد من أرض اليمن(٤)، بينما نجد أنه ورد في النص السابق الإشارة إلى شعب "نزار" كأحد هذه الشعوب التي أوفد الملك مندوبه إليها، ما

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٥٠

(٢) بافقيه، محمد عبدالقادر، ك روبان، من نقوش محرم بلقيس"، ريدان - حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، عدد١، ص٤١ (عنان ٧٥)

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٣

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٨

يعني أن النص يشير إلى مواقع متجاورة ومجاورة لنجران وذات كهل (الفاو)، أي أن نزار مجاورة لهذه الشعوب، لذا أوفد لها مندوبا واحداً في رحلة واحدة لمقابلة ملوك هذه الشعوب، وهو ما يتماشى مع وجود نزار في "جرش" المجاورة لنجران، ومذحج، وغسان حينها، وهذا التواجد لنزار في جرش - الذي يتماشى مع النص - نجد ما يرجحه بقوة في ما ذكره الهمداني في القرن الثالث (والرابع) حول وجود فرقة يطلق عليها النزاريين في شق جرش كانت رابطة ل"عنز بن وائل"(النزاريين) على "العواسج" (الحميريين)، وإليهم نجدتها وصرختها وهو ما يعني أنها ملتزمة بالإنتماء والولاء لعنز بن وائل النزارية المعدية أمام القبائل اليمنية حسب المستفيض في حينه، ما يجعلنا نرجح أنها بقية نزار التي أشار لها هذا النص السبئي والتي كانت في حدود نفس المنطقة، ولا زالت في حينه تحمل الاسم القديم في نفس الموقع.

ج- يلاحظ أيضاً مشاركة قبائل بأسماء معدية ضمن الجيوش السبئية أو الحميرية في الحروب بين الطرفين أو في المناطق المجاورة من الشمال ومن ذلك نجد "باهلة"[(١)] و"حرام"[(٢)] و"أسد"[(٣)] و"بني وائل"[(٤)] و"جديلة"[(٥)]، ولا شك أننا أمام اختلاف الأسماء عبر الزمن نفتقر للكثير من المعلومات حول القبائل الشهيرة من معد في كل مرحلة، خاصةً وأن قبائل كانت محسوبة على القحطانية وشاركت في الأحداث اليمنية منذ

---

(١) علي، جواد، المفصل..، ج٢/ ص٥٥٦

(٢) علي، جواد، المفصل..، ج٢/ ص٥٥٦

(٣) العتيبي، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، ص١٩٠ - ١٩١

(٤) العتيبي، محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، من منشورات وزارة التربية والتعليم السعودية - وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٨٨ - ٢٩٢، النص ٧٨= (J665)

(٥) العتيبي، محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، من منشورات وزارة التربية والتعليم السعودية - وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٨٤ -٢٨٧

وقت مبكر تحت مسمى "أعرب سبأ" و"أعرب ريدان" و"أعرب حمير" مثل كندة، وبادية مذحج، وبعض بادية همدان، وبني زيد، ونهد، يحتمل كون بعض البطون المحسوبة عليها ذات أصول معدية حسب ما تشير إليه نتائج فحوصات الـ(دي إن إي) حتى هذه اللحظة.

ومما سبق، نقول بأن هذه الحقائق المشاهدة والإشارات التاريخية التي بين أيدينا تدل على أن معد ونزار كانت بلادهما الأساسية في هذه الجهات، وأن هنالك هجرة جماعية حدثت من منطقة جرش وأحوازها (منطقة عسير) إلى مناطق الشمال حيث اتجهت قريش وبعض قيس عيلان وبعض قضاعة إلى مكة والطائف وما حواليها وما شرقها واتجهت عمائر من ربيعة إلى بلاد اليمامة وهجر والعراق، وربما كانت هذه الهجرة على مراحل متفرقة بدأت في القرن الرابع للميلاد وامتدت إلى نهاية القرن السادس للميلاد وبدايات السابع، والراجح أن تكون هجرة قبائل بني وائل من ربيعة التي أشرنا إليها من بلاد ما بين جرش ونجران وتثليث في منتصف القرن السادس للميلاد، ولعل الإشارات إلى تواجد للقبائل الشمالية المحسوبة على المعدية والقاطنة حالياً حوالي مكة في منطقة عسير في العصر الجاهلي، وخوضها حروباً طاحنة قبل هجرتها، بما لا يتوافق مع الرأي السائد حول مواطنها وأصولها، يحمل دلالة على وجود قبائل معد في منطقة جرش فيما قبل الإسلام، حيث كانت المكون الأساسي للسكان كما نقل لنا ياقوت.

ولعل مما يدعم هذا الرأي بقوة نتائج الفحوصات الجينية حيث يلاحظ تمركز جغرافي قوي لمنطقة عسير في نتائج التحورات المعدية المتفرعة من التحور الأكبر "FGC1723"، مما يدل على أن منطقة عسير هي مصدر نشوء لمعظم التحورات المنبثقة منه، حيث تحوي التنوع الأكبر لهذه التحورات كما سيأتي معنا.

الفصل الثالث

الأعراق والفصاحة وعنز بن وائل...
بين المفاهيم الموروثة والكشوفات العلمية

أولاً: أثر أسطورة عدنان وقحطان على كتابة تاريخ عنز بن وائل

بتتبع المصادر التاريخية فقد وجدنا إشارات في المصادر اليمنية إلى تواجد قبيلة عنز بن وائل في الجاهلية في بلاد جرش وما حولها، وعلى الرغم من أن قلة هذا الذكر، وكونه يأتي عادة بشكل هامشي ضمن تتبع أخبار وأحداث أئمة اليمن، أو من خلال وصف الهمداني لبلادها ولأحداث مجاوريها معها، إلا أنه يشي بوجودها العميق، ونشاطها القوي.

وهذا الذكر في المدونات اليمنية في العموم - على علاته - أفضل من حال المدونات الشمالية، فنحن لا نجد تعمد الإشارة إلى ارتباط "عنز بن وائل" في العصر الجاهلي ولا حتى في صدر الإسلام بهذه المنطقة (جرش ونواحيها) في المصادر التاريخية الصادرة في مدن المراكز العربية الأخرى البعيدة عن الموقع، ما عدا ما يتردد من أن بلادها ملاصقة لخثعم بالسراة، وينسحب الأمر على القبيلة الأم "ربيعة" التي تشي أخبارها الجاهلية بعلاقة وطيدة لها بهذه الأرض، حيث نجد دلالات في أسماء المواقع الواردة في شعر شعراءها وفي أحداث تاريخهم تشير إلى مواقع في هذه المنطقة، وقد أوردنا بعضاً منها في هذا الكتاب، بينما كتب الأخباريين والنسابة الصادرة في بغداد والكوفة والبصرة ودمشق وحلب وغيرها من بلاد الشام والعراق ومصر والمغرب العربي لم تربطها بهذه الأرض بشكل واضح، والظاهر لنا أن ناقلي ومدوني هذه الأخبار لم يتنبهوا إلى ذلك بسبب جهلهم

بهذه المنطقة، وبسبب ما وافق مرحلة ما قبل التدوين في التاريخ الإسلامي من إرهاصات تبلورت آثارها كمخرجات سادت على كتابة التاريخ.

وعبر التمعن في أبعاد هذه المفارقة فإننا نلحظ الأسئلة التي تتردد ضمنياً من خلال الإجابات الخاطئة لدى الكثير من مدوني تاريخ منطقة عسير في العصر الحديث - كالتي جاءت معنا - ومفادها: أين ذكر قبيلة عنز بن وائل خلال العصر الجاهلي ضمن بقية بني وائل وبقية ربيعة ؟. ولماذا لم تذكر عنز بن وائل في هذه البلاد بشكل واضح في مصادر أخبار ربيعة التي دونت في المراكز الإسلامية في العراق والشام ومصر وغيرها؟.

كأحد الجوانب المتعلقة بهذا السؤال نقول بأن البحث في إجابته ستفرض علينا الكثير من الأسئلة حول ذكر قبائل هذه المنطقة بكاملها، ومدى دقة الروايات التي وصلتنا حتى الآن، فذكر قبائل العمق في الجزيرة العربية المعروفة مثل عنز بن وائل، وعبيدة، وسنحان، وشهران، وبني شهر، وبني عمرو، وبللسمر، وبللحمر، والدواسر، ويام، ونهد، وغيرها في العصر الجاهلي شحيح جداً في مدونات التاريخ العربي، بينما أسماء بلدانها وأوديتها وجبالها وأمثالها الشعبية وأساطيرها تكاد تكون الأكثر حضوراً في الشعر الجاهلي، وسبب ذلك أن التدوين بدأ في المراكز الرئيسية بعيداً عن هذه الديار، فكان للقبائل الموجودة هنالك - حيث موقع التدوين -، ومعظمها من البادية، أو تلك التي تواجدت حوالي مكة والمدينة النصيب الأكبر من أخبار القبائل العربية واقتسام الأساطير والروايات العربية المتوارثة، فكل قبائل العمق شبه مفقودة في التاريخ العربي ومن ثم فنحن بحاجة إلى المزيد من النبش العميق لمعرفة هذا التاريخ بدقة، فالكثير من الروايات التي وردت على أنها حدثت هنالك في العراق وشمال الجزيرة العربية ربما يكون معظمها قد حدث في العمق الذي توارى بعد أن هجره بعض أهله حاملين رواياتهم معهم إلى حيث أصبحوا ينتمون، أو لنقل: أصبحوا يدعون عمق الانتماء، حيث البلاد الوارفة والملك والجاه في مراكز الحكم الإسلامي.

إن المتتبع لما ورد في التاريخ من أشعار وأساطير وأخبار، وما وجد فوق هذه الأرض

من معالم جامدة ومتحركة، لا يخامره شك بأن قبائل ربيعة كانت تتوسط منطقة عسير ونجران ممتدة من وادي بيشة وترج إلى نجران وما حولها وما يواليها من تهامة منذ القدم، وأن جزءاً منها رحل من هذه الأرض وجزءاً آخر بقي فوقها.

ولكن كان لأثر بعض الرواة مثل وهب بن منبه(1)، وعبيد بن شرية(2)، وكعب الأحبار(3)، القادمون من اليمن، والذين بدأوا سرد هذه الروايات حول أصول القبائل

---

(١) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار أبو عبدالله الصنعاني (٣٤-١١٠هـ)، قيل أنه فارسي، وقيل من أصول يهودية (من يهود اليمن)، عرف بأنه غزير علم بالإسرائيليات، كان من رواة الأساطير اليهودية، والأساطير عن ملوك حمير، وعن الأنساب اليمنية، انظر: سمسم، عبدالمعطي محمد عبدالمعطي، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٥-١٦

(٢) عبيد بن شرية الجرهمي، عاصر بداية الرسالة وأسلم ولم يكن له صحبة، وقد قدم إلى الحيرة من اليمن، وذكر بعضهم أن معاوية استقدمه من صنعاء بناء على رأي عمرو بن العاص، ويقال بأنه استقى معلوماته من كتب أهل الكتاب (أي من التوراة، والتلمود)، فكان يحدث الناس عن الأنبياء وأساطير اليهود وملوك اليمن وأصول العرب وما إلى ذلك فقربه معاوية، ورد أنه عاش أكثر من ٢٢٠عام، وقيل عاش ٣٠٠عام، كما جاء عنه أنه قال لمعاوية عندما سأله بأنه الوحيد الذي بقي من جرهم، لم يأت أحد ممن روو عنه على نسبه، وقد شكك البعض في صحة عمره، وصحة نسبه، بل وشكك بعضهم في صحة وجوده، علماً بأن هنالك كتابين باسمه وهما كتاب "الأمثال" وهو ضائع، وكتاب "الملوك وأخبار الماضين"، ويشكك البعض في حقيقة انتمائه إليه، حيث لم يذكر في الكتب القديمة، توفي في عهد مروان بن عبدالملك عام ٦٧هـ، للمزيد انظر موقع التاريخ العربي، د. زريف مرزوق، "عبيد بن شرية الجرهمي ومنهجه الإخباري المعايطة"

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، قال له عمر ﷺ: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة، يقول محقق سير أعلام النبلاء "ليس كل ما نسب إليه في الكتب ثابت عنه، فإن الكذابين من بعده قد نسبوا إليه أشياء كثيرة. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير ==

العربية في عهد معاوية ومن بعده من أمراء الدولة الأموية، والتي تلقفها الأخباريون والنسابة العرب، وأتموا حبكتها، ورصدوها في مدوناتهم بدءاً من القرن الثاني للهجرة في بيئة حضرية مترفة لاهية لحد التنافس المفرط على المكانة والسؤدد والجاه بين القبائل والشعوب، والتي أفرزت في النهاية التقسيم الثنائي الأسطوري للأعراق العربية الذي تمخض عنه فرز عرقي وتاريخي واجتماعي للمجتمع، ثم ما تبعه من مكاسب حضي بها الطرفان خاصة مستوطنو المراكز، مما حفزهم للتمسك بصميم الرواية، بالإضافة إلى ما طرأ على الأعراب الذين تحضروا، من انفصال عن الماضي البعيد خاصة بعد مرحلة من كثرة الترحال والأحداث وتتابع الأجيال ثم تبدل الأحوال بعد الإسلام، ثم مع توحد المعتقد، وارتفاع المستوى الثقافي، والاحتكاك بالشعوب الأخرى، وبدء مرحلة من التفاخر ذي الصبغة المستحدثة والذي أخذ بعداً جديداً على يد رواة الأنساب والأخباريين الذين قاموا بفرز القبائل العربية عن طريق استدراجها بالمكاسب التاريخية، فإما الارتباط النسبي بالرسول ﷺ، أو بملوك اليمن القدماء في مأرب وما حولها، فكان لذلك أثر واضح على تمحور كل من "مكة" (حيث الأصول الأولى للرسول ﷺ) و"مأرب" (حيث مقر ملوك اليمن) في جغرافيا الأنساب والتاريخ المرتبط بالقبائل العربية، وتجاهل أو إهمال الأصول الجغرافية الأخرى لوجود هذه القبائل من قبل الرواة، فكان وجود كل القبائل العربية حيث هي في العراق والشام أو ما حواليها أو ما استطرق بينها وبين مكة والمدينة يمثل المرحلة التالية التي تلت مرحلة النشوء الأولى في "مكة" بالنسبة لمن حسبوا على العدنانيين، أو "مأرب" بالنسبة لمن حسبوا على القحطانيين، رغم أن التعمق في أساطير هذه القبائل وأراجيزها وأشعارها يكشف عن حقيقة وجودها في مواقع أخرى، بل إلى عدم وجود صلة لمعظمها بالمدينتين المذكورتين، إلا أنه كان لزاماً على العدنانيين أن يكونوا

==

أعلام النبلاء، أشرف على التحقيق وراجعه شعيب الأرناؤوط، تحقيق كل من محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٣/ ص٤٨٩ - ٤٩٤

من هنالك - من عرب الشمال - فيكونون بذلك الأقرب جغرافياً إلى رسول الله ﷺ، بصفتهم الأقرب عرقياً، ومن ثم إلى بذرتهم المهاجرة إلى "مكة" من العراق والشام، وفي المقابل، أن يتمسك القحطانيون بفكرة أصولهم الملكية، وهو ما يدفع إلى التقرب الجغرافي إلى "مأرب" المقر الوحيد للملوك اليمنيين حسب الأخباريين العرب، والمحافظة من قبل كل قبيلة نسبت للقحطانية على فكرة انتمائها إلى أحد الملوك المتفرعين من المملكة اليمنية.

ومن هنا فقد فُرِضت اتجاهات جديدة لفهم التاريخ والأعراق والهجرات، والأنكى أنه تم مزج بعض هذه الروايات بالأثر النبوي، فأقحمت الكثير من الأحاديث التي نسبت إلى النبي ﷺ، تحدد الأنساب القبلية وأفضلية بعض القبائل العربية على سواها، وبدا وكأن النبي ﷺ اهتم بالمفاضلة بين القبائل العربية وترسيخ أفضليتها وأهمية أنسابها، و هو الذي صح عنه قوله: **"لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض: إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب"** (صححه الألباني)، والقائل: **"دعوها فإنها منتنة"** (صحيح البخاري)، مما يتعذر معه قبول صحة الكثير من الأحاديث الضعيفة التي تعارض هذه النصوص الصحيحة.

وإذا كنا نعي بأن العرب من الشعوب الموهوبة التي تميزت بقيمها النبيلة، وأدبها الرفيع، وبأثرها في مسار الحضارات البشرية، إلا أن هذا لا ينفي هذه الصفات عن الكثير من الشعوب الأخرى، سواء من المسلمين، أو سواهم. إذا كان من المعلوم أيضاً أن العربي بطابعه ذو اعتداد بذاته وبجنسه، وهو ما يخلص اليه أحمد أمين فى كتابه فجر الاسلام "العربي يحب المساواة، ولكنها مساواة في حدود القبيلة، وهو مع حبه للمساواة كبير الاعتداد بقبيلته ثم بجنسه، يشعر في أعماق نفسه بأنه من دم ممتاز، لم يؤمن بعظمة الفرس ولا الروم مع ما له ولهم من جدب وخصب، وفقر وغنى، وبداوة وحضارة، حتى إذا فتح بلادهم نظر إليهم نظرة السيد إلى المسود"، وهو ما تكرس بشكل عمليّ بسيادة العرب في عهد اتساع الدولة الإسلامية.

إن انفراد أنساب القبائل العربية بالحضور في نصوص الحديث المدونة في تلك المرحلة

والتي توحي بأبدية هذه السيادة، يسير بنا إلى فهم طبيعة علاقة تلك النصوص بالحالة القائمة، وارتباطها بها، فبما أن التنافس على السؤدد يفترض أنه بين السادة فقط، فقد أتت النصوص التي دونت في تلك المرحلة حاملة صبغة المرحلة، ومتلازمة معها، كما يلاحظ أن هذه النصوص أخذت قسطاً من ملامح المنافسة بين القبائل العربية ـ بحسب تقسيماتها الجديدة ـ على المكانة والسؤدد، وفي نفس الوقت نجد أنه لم ترد نصوص في المقابل توضح لنا أنساب وفضل قبائل الشعوب الأخرى كالذين منهم بعض خيار الصحابة مثل سلمان الفارسي، وبلال بن رباح، ولا سواهم من الناس كافة، فقط جاءت لتوضيح أنساب قبائل العرب، وفي توجيه دفة المفاضلة فيما بينها، بينما الناس سواسية كأسنان المشط كما أخبرنا النبي ﷺ، ولا فضل إلا بالتقوى كما علمنا القرآن الكريم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، ومن ثم فكل الشعوب لها حق المساواة في الاعتبار في النصوص. ولعل هذا كله يظهر لنا مدى ضعف الثقة بهذه النصوص الضعيفة لتعارضها مع مضمون النصوص الصحيحة، ولتوافق دلالاتها مع مفاهيم مرحلة تدوينها، بينما أصبحت الدعاوى حولها ملزمة لرواة التاريخ العربي.

والعجيب أن غير العرب من الشعوب الأخرى قد شاركوا بشكل ملحوظ في قيافة هذه البدعة إلى جانب العرب، ربما بشكل تلقائي، أو حسب مآربهم، فتأجج الصراع، وبالتالي تكرست الكثير من المفاهيم الخاطئة حول أصول القبائل العربية، وعلاقتها ببعضها وأماكن استيطانها وتداخلاتها وهجراتها في العصر الجاهلي.

ونحن هنا لا نشكك في صحة كل ما جاء في هذا الباب من أحاديث النبي ﷺ، إذ ربما يصح البعض منها، ولكن لا شك أن كثير مما كتب في هذا الباب هو من مضافات الرواة (أو النساخ)، فهنالك الكثير من الأحاديث المكذوبة كما هو معلوم، ولا شك أن المفاخرة والمنافسة القبلية لم تكن منزهة عن أسباب ذلك.

ولا شك أن الأسطورة المبتدعة حول انقسام العرب إلى قسمين متبايني المصدر أحدهما يمني (جنوبي) والآخر شامي (شمالي) كان له أكبر الأثر في طريقة رواية تاريخ عنز

بن وائل، فقد فرضت تبعاتها على الرواية التاريخية، وافتراضات الأخباريين، التي ظهر عليها أثر السائد والمتنحي من المفاهيم، فنحن مثلاً نجد أن البكري في حديثه عن قبائل ربيعة، ذكر عرضياً أن عنز بن وائل وأكلب تيامنت فدخلت في خثعم[1]، ولم يحدد سبباً ولا تاريخاً ولا ملابسات لهذه الهجرة المزعومة، فلم يورد لنا أي شيء عن هذه القبائل.. أين كانت، ولا متى كانت هجرتها إلى الجنوب (تيامنها)، ولا سبب ذلك، ومن غير المنطقي أن أقبل خبر هجرة لا أعلم من أين ولا متى ولا لماذا ولا كيف تمت، فالواضح أن كلمة (تيامنت) لم تكن أكثر من كلمة افتراضية وضعها البكري، مجاراة للمفهوم السائد، فبما أن عنز بن وائل قبيلة عدنانية حسب التصنيف المتواتر في المدونات، وتسكن جهة الجنوب، إذن فلا بد أن نفترض أنها قدمت من الشمال، حتى لو لم نملك الخبر منقولاً، دون أن يتضح حتى ما هو الشمال المقصود؟ ومن أين يبدأ، وهكذا نسجت الكثير من الروايات بداية في تاريخنا العربي ثم أتمها آخرون، كل بطريقته حتى أصبحت بحكم المتواتر ؟.

ورغم سيادة هذه الفكرة منذ القرن الأول للهجرة في كتب الأخباريين والمهتمين بالأنساب، فإن ما تواتر تناقله شفاهية بين العرب من الشعر الجاهلي - والذي هو ديوان العرب - المنقول عن أسلافهم كانت تظهر مفاهيماً أخرى لا تتصل بأسطورة قحطان وعدنان، ولكن ما أحدثه ربط بعض رواة الانساب والمتعصبين - ممن صادقوا على الفكرة - رواياتهم بالحديث النبوي حول القحطانية والعدنانية المدعاة كان أظهر، وأكثر تأثيراً، رغم أن هنالك روايات عن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أنه لم يتجاوز في النسب النضر بن كنانة[2]، مما يوافق الحقيقة التي ظهرت أخيراً، ويتوافق مع ما يفضي إليه استقراء تلميحات وإشارات الشعر الجاهلي، لذا وجدنا أن المهتمين بالأدب والشعر الجاهلي عند

---

(١) البكري، عبيد الله، معجم ما استعجم، ص٨٣

(٢) ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي، القصد والأمم في التعريف بأصول القبائل من العرب والعجم، الناشر: مكتبة القدسي - القاهرة، طباعة مطبعة السعادة، ١٣٥٠هـ، ص٤٩

العرب كان لديهم أقوال وآراء أخرى، تظهر في كتاباتهم، ولكن باقتضاب، فمثلاً نجد الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني والذي اهتم بجمع الشعر العربي القديم وخاصة الجاهلي والأموي، وتوسع في ذلك بما لم يتحقق لسواه، ينفرد بذكر أن ربيعة كانت مواطنها في الأصل بجهة اليمن ثم خرجت منها[1]، وهو ما يتعارض مع المفاهيم السائدة بين النسابة والأخباريين في حينه، والتي منها مقولة البكري التي أوردناها والتي افترض فيها تيامن عنز وأكلب بصفتهما قبائل معدية عرفت في جهة الجنوب عن مكة.

كما كان هنالك من الباحثين المهتمين بدراسة الأدب العربي والشعر الجاهلي منذ العصور الأولى للتدوين من تشككوا بفكرة وجود جذم عدنان وقحطان بشكل أكثر مباشرة، ومن هؤلاء نجد ابن عبدالبر الذي نقل اختلاف العرب حول حقيقة قحطان[2]، كما نقل عن العدوي قوله: لا أعلم أحداً من الشعراء بلغ في شعره عدنان إلا لبيد بن ربيعة، وعباس بن مرداس السلمي"[3]، ومثله أيضاً ما نقله ابن سلام الذي أشار إلى مقولة أبي عمرو بن العلاء عندما قال:

" العرب كلها ولد اسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم"[4]

فهو ضمن هذا النقل المنتقى قد نفى قحطان بن يعرب نفياً تاماً عندما أسقط كهلان من القحطانية، وضمها إلى ولد اسماعيل، بينما هي تمثل جمهرة عرب قحطان وعمودها الفقري وسوادها حسب ما تشي به المدونات وكتب الانساب والواقع المشاهد، إلى أن قال:

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، التزم طبع الكتاب الحاج محمد أفندي سامي المغربي، قرب على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية، بتصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي، ج١٥ ص١٨٠

(٢) ابن عبدالبر، القصد والأمم في التعريف بأصول القبائل من العرب والعجم، ص٤٧

(٣) ابن عبدالبر، القصد والأمم في التعريف بأصول القبائل من العرب والعجم، ص٤٨

(٤) ابن سلام الجمحي، أبو عبدالله البصري محمد بن سلام، طبقات الشعراء، تمهيد الناشر جوزف هل، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ب ت ن، ص ٢٨

"قال محمد ولم يجاوز أبناء نزار في أنسابها وأشعارها عدنان، اقتصروا على معد، ولم يذكر عدنان جاهليٌّ قط غير لبيد في بيت قاله:

فإن لم تجد من دون عدنان والداً...

وقد يروى لعباس بن مرداس بيت في عدنان:

وعك بن عدنان الذين تلعبوا   بمذحج حتى طردوا كل مطرد"[1]

وفي هذا النقل لابن سلام الذي توافق مع نقل ابن عبدالبر ما يحمله من التشكيك في وجود عدنان بالمفهوم السائد كأبٍ لنصف العرب، فعدنان حسب نقل ابن سلام الذي أوفى الأدب الجاهلي جمعاً ودراسة، هو شخصية مجهولة في الشعر الجاهلي، على كثرته، وكثرة المفاخرة بالأصول القبلية فيه، ولم يرد له ذكر إلا في بيت قاله "لبيد"، ولبيد عاش كما هو معروف إلى عام ٤١هـ وعاصر بداية اشتهار الروايات الجديدة حول التقسيم "القحطاني العدناني"، ومن ثم يمكننا اعتباره غير ممثل لتلقائية شعر العصر الجاهلي، وأشار أيضاً إلى ما قد يقال من بيت لعباس بن مرداس، وكان في صياغته للنقل كمن يتشكك في صحة نسبة البيت إلى العباس بن مرداس، وهو من قصيدة لم يعرف منها إلا خمسة أبيات[2] يُدَّعى بأنه قائلها، كما أنه يسري على العباس ما سرى على لبيد حيث أنه شاعر مخضرم أدرك الإسلام وعاش بعد النبي ﷺ إلى عام ١٨هـ.

ومن ثم فابن عبدالبر وابن سلّام نقلا لنا في مرحلة مبكرة المقولات والملاحظات النادرة التي تشكك في حقيقة وجود قحطان وعدنان حسب الرواية السائدة في حينه.

وفي العصر الحديث، فقد قلل من قيمة هذه الرواية أيضاً الكثير من الباحثين الذين اطلعوا على آثار ونقوش الوطن العربي في الجزيرة العربية والعراق والشام، وفكوا

---

(١) ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، نفس المصدر السابق، ص ٢٩

(٢) السلمي، العباس بن مرداس، ديوان العباس بن مرداس، تحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص٦١-٦٢

رموزها، وقرؤوا تاريخه في المصادر العربية واليونانية والرومانية، حيث أبدى الكثير منهم التشكك في صحة الروايات العربية حول هيكلة الأنساب وثنائية قحطان وعدنان[1].

وإذ نحن نعيش في عصر آخر، عصر بدأت فيه ملامح الكشف عن حقيقة خطأ الروايات العربية الموروثة حول هيكل الأنساب والأعراق تتجرد بشكل جلي، وموثّق وموثوق، وتفصح عن كم كنا نغدو سذّجاً عندما نصبح قبائليين، حين نستعيد أحداث التنافس على السلطة في صدر الإسلام وما تبعها من تحالفات وأحداث وحروب كالازدية القيسية، والازدية التميمية، والأنصارية القرشية، والتي تم سوق إرهاصاتها عنوة إلى حروب قحطانية عدنانية، ونسترجع قراءة الهجائيات ونكايات قبائل العرب ببعضها البعض، ومحاولات استنقاص بعض القبائل من قبل الأخباريين لدرجة السخرية، بناء على خلفيات أصولها العرقية بين الجذمين المزعومين، ونتمعن في ما انتهى إليه التنافس الاقتصادي بين "جذيمة عنز" و"عواسج حمير" في "جرش" على السيطرة على السوق من حروب جيرت إلى حروب معدية يمانية كبرى، قتل فيها الكثير، وشردت فيها أمم ورحلت قبائل، وغيرت أخرى أسماءها ورواية أصولها القبلية وانضوت في مجاوريها حفظاً لبقائها، ويا له من مضحك مبكي، فقد بدأت نتائج فحوصات الـ "دي إن إي" تشير إلى تقارب عرقي وبشكل خاص بين قبائل المنطقة المختلفة ذاتها التي كانت وقوداً لهذا الاقتتال، وبينها وبين القبائل الربعية، يفوق ذلك الذي بين الربعية والقيسية، وإلى تقارب بينهم جميعاً وبين القبائل المعدودة ضمن القيسية والتميمية يفوق ذلك الذي بينها جميعاً

---

(١) للمزيد انظر:

- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١/ ٤٧٣ - ٤٩٣
- مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ٢٠٠٥م، ص١٣٨-١٤٣
- برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر - بيروت/ دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٥٨-٦٣

وبين القبائل المعروفة في بلاد اليمن، مثل خولان وحمير ومراد وحضرموت والصدف والمهرة، بل وبدأت فكرة التقسيم العدناني القحطاني في التلاشي، فقد انقسمت القبائل العربية إلى أقسام شتى، لا إلى فريقين، وكان هنالك خط خاص للقرشيين تلتقي معه معظم القبائل في المنطقة في نقطة واحدة قبل التقاءها بالقبائل اليمنية الحميرية كخولان، والصدف، ومراد، وحمير، وسواها من قبائل اليمن، مما يدل على أن التقسيم القبلي للقبائل له هيكل آخر يختلف جذرياً عن ما دوِّن حتى الآن، وتسقط بالتالي فكرة الوحدة العرقية للقبائل اليمانية وفكرة العدنانية.

فقد وجد أن العرب في الوطن العربي يتكونون بشكل رئيسي من ثلاث سلالات[١]، وهي السلالات التالية:

١: السلالة (J) بشقيها {J1 (M267) وJ2 (M171)}، وتمثل هذه السلالة - بشقيها - السلالة الأهم والأكثر تمثيلاً في الوطن العربي كاملاً وخاصةً الجزء الآسيوي (الجزيرة العربية، والعراق، والشام) والأجزاء الساحلية من الشمال الأفريقي، وهي تمثل أحد أهم السلالات في بقية أنحاء الوطن العربي في مصر والمغرب العربي والسودان وهي سلالة العرب الساميين إذ يشترك العبرانيون والكنعانيون والسريانيون والكلدانيون والآشوريين والفينيقيون مع العرب في الانتماء لهذه السلالة بشقيها.

٢: السلالة (E) وتمثل السلالة الثانية ويبدو أنها تمثل من أطلق عليهم "العرب

---

(١) الدراسات الخاصة بفحوصات الدي إن إي لا زالت في طور التطور ولكن لدينا دراسات عديدة نشرت على الشبكة، لباحثين من دول مختلفة، وللمزيد حول نتائج منطقة الشرق الأوسط انظر:

- Distribution of European Y-chromosome DNA (Y-DNA) haplogroups by country in percentage
- http://www. eupedia. com/europe/european_y-dna_haplogroups. shtml
- EupediaJ1
- http://www. eupedia. com/europe/Haplogroup_J_mtDNA. shtml
- International Society of Genetic Genealogy Wiki
- http://isogg. org/wiki/Y-DNA_haplogroup_projects

البائدة" ونعني بذلك الأمم التي كانت تقطن الجزيرة العربية قبل العرب الساميين، ويزداد تواجدها بشكل عام في المناطق الساحلية بشكل أكبر منها في العمق، وتكون هذه السلالة أكثر تمثيلاً في اليمن وعمان والأردن وفلسطين ولبنان منها في بقية عرب آسيا، كما تتفوق أيضاً في الشعوب العربية في مصر والمغرب العربي والنوبة.

٣: السلالة (T) وتمثل السلالة الثالثة في تواجدها في الوطن العربي ويكثر ترددها في وسط وشرق الجزيرة العربية، ويحتمل أن تكون أيضاً إحدى سلالات السكان الأصليين للجزيرة العربية والعراق والشام (العرب البائدة) قبل وصول الساميين من هضبة الأناضول والقوقاز وجبال زاقروس إلى المنطقة.

ثانياً: هيكل تقسيم القبائل العربية حسب سلالاتها في نتائج فحص الدي إن إي حتى الآن

من خلال نتائج العينات المعلنة حتى الآن، والمنتمية للسلالة العربية السامية المندرجة تحت الهابلوقروب (haplogroup J1) J1[1] الذي تنتمي إليه معظم القبائل العربية السامية في الجزيرة العربية، وبتتبع النتائج من الأعلى إلى الأسفل، وحيث تكتلت القبائل المعدية كافة تحت التحور (FGC1723)، فقد وجد تكتل واضح لعينات قبيلة بني جبر الخولانية وبعض العينات الأوكرانية واليهودية تحت التحور (S4924) وهو تحور علوي مستقل يلتقي مع بقية القبائل العربية (اليمنية والعدنانية المفترضة) قبل أكثر من ٨٠٠٠ سنة في منطقة علوية، حيث يجمعها الانتماء لسلالة التحور الجامع (Z1878)، بينما تنفرد عينات بعض قبائل اليمن مثل قبائل "المهرة"، وكندة"، و"الصدف" بتكتلها في سلالة التحور (L93)، الذي يلتقي بالجد الأعلى للتحور العدناني المفترض (FGC1723) وببقية القبائل العربية في التحور (Z1889)، قبل أن يلتقي مع التحور الخولاني المذكور، بينما تتكتل عينات قبائل بني عوبثان (بن زاهر بن مراد بن مذحج) اليمنية - وهي صريحة النسب في مراد - تحت التحور (L860) الذي يلتقي مع أجداد التحور العدناني المفترض (FGC1723) في التحور (Z1865) - أي قبل التقائه بكل من سلالة التحور الخاص بكندة، والمهرة، والصدف، وحكل (L93)، وبسلالة التحور الخاص ببني جبر الخولانية (S4924)، والمحسوبة جميعا على القحطانية، بينما تتكتل عينات من قبائل الأزد العمانية مثل (الشحوح، والهنائيين، واليحامدة) إلى جانب بعض عينات قبائل من سراة زهران، وغامد، وبني شهر، وبللسمر،

---

(١) يمثل الهابلوقروب J1 السلالة الأكبر والأكثر ترددا في قبائل الجزيرة العربية ولكنها ليست السلالة الوحيدة، إذ هنالك سلالات عربية أساسية أصيلة، بل ربما تكون الأكثر ارتباطا والأقدم في الجزيرة العربية، ولكننا معنيون في هذه الدراسة بالعرب الساميين الذين دارت حولهم كتب الأنساب وروايات الإخباريين، والذين يكونون سواد المكون القبلي في الجزيرة العربية، والأهم: الذين تنتمي إليهم قبيلة "عنز بن وائل" محل الدراسة هنا.

وبني عمرو المحسوبة على الأزد من قحطان بن يعرب وإلى جانبها تكتلات في تحورات سفلية منعزلة لعينات من أذربيجان، وتركيا، وعينات متفرقة من شرق الجزيرة العربية ضمن سلالة التحور (Z640)، ولكنها تلتقي بجد القبائل المعدية (والعدنانية المفترضة (FGC1723) في التحور (L858)، أي أنهم أيضاً يلتقون بالقبائل العدنانية قبل التقائهم بكافة القبائل (القحطانية) من حمير، ومراد، وكندة، والصدف، والمهرة، وخولان، بمسافة زمنية عميقة، بينما تتكتل نتائج قبائل اليهرة اليافعية الحميرية المعروفة وآل المقطري الحميرية تحت التحور (Z18256)، والذي يلتقي بالتحور العدناني المفترض (FGC1723) في التحور (FGC11) قبل التقائه ببقية القبائل اليمنية المذكورة، أما بنو الحكم بن سعد العشيرة (صريحة النسب إلى مذحج) القحطانية فتتكتل عيناتهم في سلالة التحور (Z18243) الموازي لأخيه التحور العدناني المفترض (FGC1723) ويلتقيان مباشرة في التحور الأعلى منهما وهو (FGC12) قبل التقائهما بأي تحورات أخرى بما في ذلك تحورات القبائل القحطانية المفترضة التي ذكرنا، بل وقبل التقاء بني الحكم ببني عمومتهم المراديين، والذين ينتسبون جميعاً مثلهم إلى "مذحج" حسب الرواية المتوارثة في كتب الأنساب.

مما تقدم يتضح لنا أن معظم القبائل القحطانية أقرب إلى المعديين جينياً منها إلى بقية القحطانية، وهو ما ينسف فكرة وجود الأب الجامع "قحطان" أو "سبأ" أو "يعرب" أو خلافه، فالقبائل اليمنية منعزلة عن بعضها البعض جينياً أكثر مما هي منعزلة عن بقية القبائل المحسوبة على العدنانية، مما يعني (يقيناً) عدم وجود أب جامع للقبائل المحسوبة على قحطان ينفرد بها عن القبائل المعدية.

ثالثاً: هيكل تقسيم القبائل في مناطق إقليم عسير حسب نتائج فحص الدي إن إي[1]

بمتابعة نتائج القبائل العربية في منطقة عسير ونجران والباحة وجازان والتي ظهر أكثرها على التحور السامي J1)، ومتابعة نتائج قبائل المنطقة فقد وجد حتى الآن أن قبائل المناطق الجنوبية من المملكة المنتمية للهابلوغروب J1) تتكتل حول التحورات التالية:

أولا: معظم قبائل المنطقة تلتقي تحت التحور (FGC1723) حيث تتفرع جميع القبائل المحلية منه إلى فرعين رئيسيين وهما:

١- قريش وبنو صالح تلتقي في التحور الجامع وهو (FGC8712) ومنه يتفرع التحور القرشي الخاص (L859) بشكل أكثر وضوحاً من البقية وينتشر القرشيون في المناطق الجنوبية كاملة خاصةً الجزء التهامي، بالإضافة لتواجدهم في مكة.

٢- تتكتل معظم قبائل المنطقة الأخرى مع قضاعة وطي، ومعظم القبائل المعروفة بمعديتها في التحور (FGC1695) الذي تتفرع تحته معظم القبائل في المملكة العربية السعودية كالتالي:

أ- هنالك تكتل لقبائل شمر، وبني خالد، وبني لام، والفضول، وجزء من الحكم، ومن بارق، ومن عك، وكافة قبائل الجنوب (ما بين ظهران الجنوب وبلحارث الطائف) في التحور (FGC4415)، ويلاحظ تركز هذا التحور في منطقة تهامة وبلاد اليمامة والمنطقة الشمالية من الجزيرة العربية، والعراق وجنوبي الشام بشكل رئيسي.

ب- هنالك تكتل لقبائل عسير، ورفيدة، وقبيلة عنزة، وقبيلة بني هاجر، وجزء من

---

(١) تم استنباط معلومات هذا المبحث عن مواقع مشروع ومشجرة فيكتار المتجددة حيث وجد أنها رغم أخطائها الأفضل حتى الآن ومواقعها على الشبكة كالتالي:

- مشروع فيكتاار

https://www. familytreedna. com/public/J-M267/default. aspx?section=ycolorized

- مشجرة فيكتار

http://genogenea. com/J-M267/tree

العجمان، وبعض الجحادر، وبعض الحباب تحت التحور (FGC29864)، المتفرع من التحور العلوي (FGC31318) ونلاحظ تكتل هذا التحور في منطقة عسير حوالي بلاد عنز بن وائل الأساسية فيما بين "عبل" و"طلحة الملك" و"راحة شريف" وما حولها، بالإضافة للقبائل الربعية خارج المنطقة مثل (عنزة)، مطابقاً لما هو في المصادر التاريخية، وهو ما يشير إلى صلة هذا التحور بقبائل ربيعة، فبينما تتكتل فروع من قبيلة رفيدة مثل وقشة (وعينة من جارمة) مع قبيلة عنزة ومع تكتل من قبيلة الجحادر والحباب تحت سلالة التحور BY136)، تنفرد قبائل عسير وبني برة والشعف وبقية فروع قبيلة رفيدة بالالتقاء تحت التحور الموازي (ZS1966)، وتتوزع عينات القبيلتين تحته، فهنالك تكتل نسبي لقبيلة عسير تحت سلالة التحور الفرعي (ZS6861)، بينما هنالك تكتل نسبي لقبيلة رفيدة وجزء من عسير تحت سلالة التحور الفرعي (ZS1971).

ومن خلال اجتماع عسير ورفيدة وشعف أراشة وتندحة (فروع عنز بن وائل) تحت تحور واحد ثم التقاء قبيلة عنزة[١]، مع الجزء المتبقي من رفيدة وعينات متفرقة لبعض قبائل المنطقة في تحور واحد، ثم التقاء الطرفين في سلالة تحور واحد شامل قبل الالتقاء بسواهما، فلا شك أن الأمر عندما يصل إلى هذه الدرجة من التوافق لا يمكن اعتباره مصادفة، بل هو مصداقاً لما تناوله المؤرخون والأخباريون حول انتماء هذه القبائل إلى ربيعة، فنحن إذن أمام تأكيد واضح لوجود عنز بن وائل، ولانتماء عسير ورفيدة والشعف إليها، ولانتمائها مع قبيلة عنزة إلى قبيلة ربيعة.

ومن الملاحظ تكتل القبائل المنضوية في ربيعة جينياً حسب نتائج الـ"دي 'إن إي" في نفس بلاد ربيعة التاريخية الواقعة فيما بين نجران وجرش وتثليث وترج كما ذكرنا في باب "ربيعة اليمانية" بشكل رئيسي، إذ العجمان، والجحادر، والحباب، والهواجر، وعسير،

---

(١) عنزة بن أسد بن ربيعة: إحدى أشهر قبائل ربيعة، وهي المعروفة في شمال الجزيرة العربية والعراق، والممتدة بلادها فيما بين خيبر وعين التمر.

ورفيدة تمتد بلادها الأساسية في هذه المنطقة، وهذا التوافق يعطي المزيد من المصداقية للنتائج والاستنتاجات التي أوردنا حول بلاد بني وائل وكامل ربيعة الأصلية.

وتلتقي سلالة التحور (FGC29864) الجامع لقبائل عنز بن وائل وقبائل عنزة وبعض قبائل منطقة عسير مع سلالة التحور (ZS1951) التي تنتشر في بلاد اليمامة والخليج العربي في التحور الحاوي لهما (BY9).

ويلاحظ أن مناطق انتشار سلالة التحور (ZS1951) تتوافق مع المدون حول مواطن بكر بن وائل ومواطن النمر بن قاسط التي انتهت إليها، وهذا يتلائم مع موقعه الجيني في كلتا الحالتين.

ففي حالة ثبوت أن سلالة عنز بن وائل تجتمع تحت التحور (FGC29864)، فإن عنزة لن تكون إلا واحدة من بطون عنز بن وائل التي هاجرت إلى الشمال فحرف اسمها تحت تأثير تغير اللهجات إلى "عنزة"، وربما كان "بنو أسد" الذين أشار لهم الهمداني في "دلغان"[١] هم بقية عنزة "بن أسد"، ومن ثم فإن الجحادر، والهواجر، والعجمان ليست سوى بطون من عنز بن وائل، دخلت في القبائل المجاورة، وتكون بذلك رفيدة تحت التحور (BY136) وتكون أراشة تحت التحور (ZS1966)، وفي هذه الحالة فإن التحور (ZS1951) سيمثل إحدى سلالات بني وائل، والأقرب أن تكون "بكر بن وائل".

والاحتمال الآخر - وهو الأرجح - أن يكون التحور (ZS1966) هو تحور عنز بن وائل، وبذلك تكون عسير تحت التحور الفرعي (ZS6861)[٢] وتكون رفيدة تحت التحور الفرعي (ZS1971)، ومن ثم فإن التحور المقابل لتحور عنز بن وائل وهو التحور (BY136) يرجح أن يكون ممثلاً لبكر بن وائل، خاصة مع وجود تكتل للجحادر تحته، إذ

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٣٠

(٢) اعتمدت فاميلي تري في مشجرة فيكتار (victar) التحور "ZS6861" كتحور خاص ببنو عسير وقد كتب عليه في المشجرة اسم: "بنو عسير" (Banu Asir)

ورد في التاريخ بنو "جحدر بن ضبيعة" من بكر بن وائل، وكانت تقطن مع قبيلتها الأم فيما بين تثليث ونجران وأعالي جاش، وهي مواطن الجحادر المعروفة إلى الآن، وبالتالي تكون عنزة من "عنز بن بكر بن وائل"، ويكون الهواجر أيضاً من بكر، ويكون جزء من العجمان[1]، ومن الجحادر، ومن الحباب، وبني وقشة وبقية رفيدة من بقية بكر بن وائل في المنطقة والتي كان موطنها في نفس مواطن هذه القبائل، وفي هذه الحالة فإن التحور(FGC29864) هو التحور الذي تجتمع تحته سلالة وائل بن قاسط، وبالتالي يكون التحور (ZS1951) ممثلاً لسلالة النمر بن قاسط (وهذا ما يبدو أكثر مصداقية).

ج- هنالك تكتل لقبائل عبيدة وعينات فردية من ناهس وخثعم تحت التحور (BY4)، وهو تحور كشف عنه حديثاً ولا زال في طور النمو مما سيعطينا مزيداً من المعلومات حول من يشتركون مع عبيدة في الانتماء، وما يمثله هذا الخط من الأجذام العربية الأساسية، وهو يشترك مع تحور ربيعة (BY9) في الانتماء إلى التحور الجامع للقبائل المعدية (FGC1695).

د- يلاحظ وجود ملفت للتحور (L222. 2) في الجهات التهامية الشمالية، خاصةً بارق، وتهامة عسير، والقنفذة، وحلي، وما حولها، بالإضافة إلى تواجد ملحوظ في تهامة قبيلة زهران، وامتداد الساحل الغربي إلى ينبع وما حولها خاصة في قبيلة جهينة، بالإضافة إلى تكتلات واضحة له في سراة منطقة عسير حيث تنتمي له الكثير من الأسر والعشائر والقبائل في عسير وقحطان وشهران والحجر وزهران وغامد، ويشكل جزءاً من تركيبة كل قبيلة من هذه القبائل، وهي تلتقي بذلك مع تكتل قوي لعينات من القبائل القضاعية المشهورة من

---

(١) للإيضاح فإن جزءا من العجمان انضوى تحت التحور "BY136" بينما جزء آخر انضوى تحت التحور "ZS4062" الموازي للتحور الربعي الأعلى "BY9"، وهو تحت التحور الجامع لربيعة "BY8"، ولعل هذا هو تحور عبدالقيس حيث ورد في بعض المصادر انتماء جزء من قبيلة العجمان في الأساس إلى "عبدالقيس" الربعية، وهو ما ينتهي إلى تواءماً بين موقع هذا التحور من تحور "عنز بن وائل" والموروث المدون.

نهد وبني زيد، السائدة نتائجها في اليمن واليمامة، كما تتكتل تحورات سفلية تحت هذا التحور في المواطن التاريخية للقبائل القيس عيلانية الواقعة إلى الشرق عن قمم جبال الحجاز.

وهذا التحور هو أقدم التحورات المعدية ظهوراً في العينات الواقعة تحت التحور (FGC1695)، ومن ثم فقد كان لانفراده بالساحة فترة طويلة أثره في كثرة فاحصيه من الواقعين تحت هذا التحور، وبالتالي كثرة تفرعاته مقارنة ببقية إخوته، وكثرة الجدل حوله.

ومن خلال ما تقدم فإن نتائج الفحوصات حتى هذه اللحظة تشير إلى أن قبائل المنطقة من عسير، وقحطان، وشهران، وجزء كبير من قبائل بني شهر، وبني عمر، وبللسمر، وبللحمر، وبلقرن، وشمران، وعليان، وخثعم، وغامد، وزهران، وبجيلة، وعك، والحكم وغيرها، تلتقي مع بعضها ومع قيس عيلان، وقضاعة، وتميم، ثم تلتقي جميعاً مع قريش قبل التقائها مع قبائل اليمن كالصدف، والمهرة، ومراد، وحمير، وخولان وسواها، علماً بأن كل هذه القبائل – بما فيها اليمنية التي ذكرنا – تنتمي في معظمها لنفس العرق العربي السامي المحدد تحت (هابلوقروب J - haplogroup J) وتحت الفرع المحدد علمياً بالمسمى J1).

ثانيا: تتكتل بعض النتائج لقبائل متفرقة من السراة مع قبائل الشحوح والهنائيين واليحامدة الأزدية العمانية في التحور (Z644) – والذي يرجح أنه تحور "الأزد" نظرا لاجتماع نتائج بعض أزد السراة مع أزد عمان تحته – ويلتقي هذا التحور بالبقية في التحور (L858).

مما تقدم، فإن من الواضح أن التكتل العرقي الأساسي في المنطقة هو للتحورين (FGC1695) و(Z644) وتنوعهما داخل المنطقة، كما نلاحظ مركزية هذه المنطقة بالنسبة لهذين التحورين، ومن ثم فإن التحور الجامع لهما وهو (L858) يمثل السلالة الرئيسية في مناطق جنوب المملكة (عسير والباحة ونجران وجازان) بما فيها قبائل "عنز بن وائل" بل وكامل "ربيعة الفرس".

وعلى الرغم من ارتفاع درجة الثقة في مصداقية هذه النتائج وعلميتها إلا انه يجب التنبه إلى أن هذه النتائج لا تمثل إلا مؤشرات أولية، فهذا العلم لا زال في أول مراحله، كما يلاحظ أن الأعمار المحددة للتحورات اجتهادية وليست بالدقة الكافية، ناهيك عن أنه لا

يمكننا التسليم بالتفاصيل والتقسيمات حسب ما ورد من نتائج لأسماء لا نعرف حقيقتها، وبالتالي فلا يمكن ضمان تمثيلها الفعلي للمجتمعات القبلية المذكورة، نظراً للاحتمال القوي لوجود حالات تضليل متوقعة في مثل هذه الحالات، بل ربما تكون هنالك حالات تضليل ممنهجة يدفعها التعصب بكل أشكاله، أو الأهداف السياسية.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هذه النتائج - حتى لو افترضنا جدلاً عفويتها جميعاً - ستكون أيضاً غير حاسمة، فمن البديهي أن نعتقد جازمين أنها غير شاملة ومن ثم فهي غير ممثلة بالضرورة للعموم، بسبب الاختلاط والتداخل بين القبائل والتحالفات والهجرات عبر التاريخ.

ولكن في الجانب الآخر، ومن خلال القراءة المتفحصة، فإن الهيكل السلالي الناتج عن فحوصات الـ "دي إن إي" حتى الآن، ورغم كل ما ذكرناه عن عدم إمكانية اعتماد نتائج الفحوصات في التحديد اليقيني لكافة الانتماءات القبلية في جميع الحالات، إلا أن هذا الهيكل الناتج عنها يكاد يكون قد فصل بشكل قطعي في بعض جزئياته، وأهمها إثبات اختلاف تدرج الصلات الأساسية تماماً عما هو متوارث عبر التاريخ من مفاهيم، وسقوط فكرة التقسيم الأسطوري للعرب إلى القحطانية (اليمنية) والعدنانية (الشمالية)، واختلاف الصلات العرقية بين القبائل العربية عما وجدناه في كتب التاريخ، وارتباط تدرج الصلات السلالية إلى حد ما بجغرافية الحراك التاريخي في أنحاء الجزيرة العربية والبلاد المجاورة أكثر منه بالرواية التاريخية القديمة، مع وجود استثناءات مختلفة.

ومما تقدم فإن ارتباط القبائل العربية باليمن هو ارتباط مختلف عن الدارج والمتوارث عبر المدونات، فقد جرت العادة في المدونات العربية منذ القرن الثاني للهجرة، على الحديث عن اليمن بصفتها مصطلح عرقي، وأنه مصدر العرق العربي القحطاني، والذي يمثل نصف العرب، بناء على المتوارث في عدد من المدونات العربية التي بدأها ابن الكلبي، نقلاً عن الروايات والأساطير التي ابتدعها وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وعبيد بن شرية ومن نحى نحوهم، منذ عهد معاوية.

فالحقيقة أن مسمى "اليمن" والذي أصبح ذو دلالة جذرية في رواية الأصول والانساب والتاريخ العربي لم يكن في الأصل يدل على أكثر من اسم موقع طارف على سواحل بحر العرب، في أقصى جنوب اليمن الحالية، فقد كان يطلق على ملك سبأ لقب "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعراب طودم وتهامة"[1]، ومن خلال اللقب نجد أن اليمن حصلت على جزء بسيط وغير متصدر من مسمى المملكة التي كانت تشمل مناطق ما بين بيش وعدن وبيحان وحضرموت وبراقش وظفار ومأرب، وهي مملكة لا تصل بكامل مساحتها إلى احتواء كامل مساحة اليمن الحالية، بينما اليمن الحقيقية كانت جزءاً بسيطاً من هذه المملكة يقع على حدها الجنوبي، ولكن هذا الاسم الذي ارتبط في اللغة العربية بجهة الجنوب تطور وانتفخ في العصر الإسلامي كما يراه "كلاسر" و"فون وايزمن"، يقول جواد علي:

" ويمنت - في رأي "كلاسر" - كلمة عامة تشمل الأرضين في القسم الجنوبي الغربي من جزيرة العرب، من باب المندب حتى حضرموت. وكانت تتألف من مخاليف عديدة، يحكمها أقيال وأذواء مستقلون بشؤوتهم، ولكنهم يعترفون بسيادة "ظفار" أو "ميفعة" عليهم. ومن أشهر مدن "يمنت" الساحلية في رأي "كلاسر" - Ocelis عند باب المندب، و"عدن" ArabiaEmporium و"قانه" "قنا" Cane في حضرموت.

وتعني "يمنت" في العربيات الجنوبية الجنوب، وقد رأى "فون وزمن" أنها تعني القسم الجنوبي من أرض حضرموت، وهي الأرض التي كانت عاصمتها "ميفعت" "ميفعة" في ذلك الزمان.

ومن "يمنت" ولدت كلمة اليمن التي توسع مدلولها في العصور الإسلامية حتى

---

(١) انظر:

- الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، والأسمري، خالد بن فايز، عسير حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢٧، ٢٨

شملت أرضين واسعة، لم تكن تعد من اليمن قبل الإسلام، تجدها مذكورة في مؤلفات علماء الجغرافيا والبلدان والموارد الأخرى.

واليمن عند أهل الأخبار أرض واسعة يحدها من الغرب بحر القلزم، أي البحر الأحمر، ومن الجنوب بحر الهند، أي البحر العربي في اصطلاحنا ومن الشرق البحر العربي، وتتصل حدود اليمن الشمالية إلى حدود مكة حيث الموضع المعروف بـ "طلحة الملك"[1]

وهذا الرأي أكثر موضوعية لفهم ما كشفت عنه البعثات البحثية الأركيولوجية والدراسات المترابطة المستندة للنقوش والمدونات والمخطوطات القديمة في المواقع المختلفة من العالم، وما آلت إليه دراسات الفحص الجيني "دي إن إي" أخيراً كما أسلفنا.

ومن كل ما تقدم نصل إلى نتيجة مفادها أن اليمن هو موقع جغرافي وليس عرقاً، كما أن جنوب الجزيرة العربية - أو اليمن بمفهومها الجغرافي الحالي - ربما تكون خرجت منها هجرات، ولكن هذه الهجرات لم تكن محورية في التاريخ العربي، فهنالك هجرات اتجهت إلى الجزيرة العربية بما فيها اليمن لا تقل أهمية عن تلك التي خرجت من اليمن.

إن تكتل الفروع العليا من سلالة الهابلوقروب الجامع للعرب الساميين (J) يتواجد في بلاد القوقاز (الشيشان، وأنقوشيا، وداغستان، وسواها من دول الجنوب الروسي) وتركيا، وسواحل البحر المتوسط، حيث انقسم هناك إلى (J1) و(J2)، وبينما انفردت تلك المناطق بوجود التحور (J2) بالإضافة لفروع رئيسية من (J1) فقد انفردت الجزيرة العربية على العموم بالتحور (FGC11) الذي يمثل أكثر من ٧٠٪ من القبائل المنتمية للتحور السامي (J) في الجزيرة العربية، بالإضافة لتواجد جزئي في جبال الحجاز (السروات) ممتداً إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط للتحور (Z640)، وتواجد منعزل لتحورات سفلية متفرعة من تحورات علوية متفرقة في اليمن ظهر منها التحورات (S4924)، و(L860)،

---

(١) طلحة الملك: موقع بلد إلى الشمال من صعدة بالقرب من ظهران الجنوب كما وصفه محمد الأكوع، وكما هو معروف، انظر صفة جزيرة العرب للهمداني، ص٣٧٢

و(L93)، وهذا كله يدلنا على أن الانقسامات العلوية حدثت هنالك في الشمال حيث هضبة الأناضول، وجبال زاقروس، ومن ثم بأن الأصول العربية السامية الأولى قدمت من هنالك.

فالأصح أن نقول بأن القبائل العربية السامية اليمنية ذات أصول شمالية وليس العكس، فالقبائل العربية السامية اليمنية هي الفرع، إذ أنها قبائل بدوية في الأساس، فالأصل هو قبائل البادية العربية في أنحاء الجزيرة العربية القادمة من الشمال، حيث الهجرة السامية كانت منذ العصر الحجري وإلى ظهور الإسلام عبارة عن انتقال مستمر للرعاة متجه من الشمال (هضبة الأناضول والقوقاز وجبال زاقروس) إلى الجنوب (الشام، وبلاد ما بين النهرين، والجزيرة العربية، وسواحل شمال أفريقيا، وجانبي سواحل البحر الاحمر)، كما أن الاستقرار والزراعة والبناء هي حالة اجتماعية لاحقة لمرحلة البداوة وعدم الاستقرار، ومن ثم فإن من عاش حياة الحضارة والاستقرار في مأرب، وكحلان، وبراقش، وريدة، وغيرها لا يمكن أن يعود إلى حياة البادية والتنقل بين صحاري الجزيرة العربية مرة أخرى، ولكن العكس هو الحادث دائماً، فعادة ما تستقر القبائل البدوية عندما تجد ما يغريها لذلك بتوفر المناخ والأرض الملائمة، وقبل كل شيء بنضوج الحالة الاجتماعية واستعدادها لذلك، أو تبعاً للأحداث، أو الأحوال البيئية، أو تغير المفاهيم العقدية، فتتحول من حالة البداوة إلى حالة الزراعة والتجارة والاستقرار، كما هو الحال في اليمن، والتي كانت المحطة الأخيرة لعدد من القبائل العربية السامية مثل كهلان، وحمير، وبعض معد، وغيرهم ممن جاور السكان الأصليين لليمن.

وأرى أن المهمة القادمة للباحثين في تاريخ العرب هي دراسة هذه الهجرات التي اتجهت إلى الجزيرة العربية من الشمال، سواء تلك التي اتجهت من الشام وسواحل البحر المتوسط إلى غرب الجزيرة العربية، أو تلك الهجرات التي اتجهت من العراق إلى اليمن، لفهم دور وأثر العرب الذين أقاموا حضارات بلاد ما بين النهرين وسواحل البحر المتوسط في تاريخ الممالك التي قامت في الجزيرة العربية، سواء تلك التي قامت في مأرب أو

كحلان أو براقش في اليمن أو ظفار بعمان أو تلك التي قامت بجرش في منطقة عسير أو في الحجر في محافظة العلا أو في البدع بمنطقة تبوك أو في جو اليمامة أو دلمون البحرين أو هجر أو قطر أو خلافها من ممالك الجزيرة العربية، ومصدر نشوء هذه الممالك المتأخرة الظهور.

إن مثل هذا الكشف الذي وفره العلم عن هذه الثغرات الكبيرة في المفاهيم المتوارثة في المدونات التاريخية العربية حول التاريخ العربي والأنساب يفترض أن يحفزنا لإعادة قراءة التاريخ والأعراق بطريقة أفضل، ومعرفة الكثير عن تاريخ المنطقة بأفق أكثر اتساعاً من كل المصادر السابقة التي يجب أن لا نتجاهل ما ورد فيها، ولكن يجب أن نضعه في ميزانه الحقيقي، ونخضعه للغربلة، والتمحيص العلمي الموزون، المستند إلى الكشوفات العلمية، والمتجرد تماماً من آثار تراكم الأخطاء المستمر في المدونات عبر التاريخ على المفاهيم المتوارثة للوصول إلى الحقيقة، ومن ثم قبول الحقيقة الجديدة على علاتها، مهما كانت مختلفة جذرياً عما توارثناه من مفاهيم، وعدم الاتكاء على من ذهبوا إلى مآلهم بينما لا زالوا يقررون فيما هو آت من واقعنا بطريقة تفتقر للعقلانية والحكمة والمصداقية.

رابعاً: اللغة في بلاد عنز بن وائل (عسير) بين اليمانية والمعدية

تعد منطقة عسير (حيث بلاد عنز بن وائل) حالة خاصة في تنوع وتمازج وتباين اللهجات[1]، إذ تكاد هذه المنطقة أن تحوي معظم لهجات الجزيرة العربية بأطرها العامة كلهجات محلية أصيلة، وهذا التمايز المعاش في اللهجات هو لا شك امتداد لحالة قديمة ممتدة منذ العصور الجاهلية الأولى، فمن البديهي أن اللهجات ظلت تتطور، ولكن حسب مواقعها وطرق ومكامن اكتسابها وفقدها للصيغ، فظلت حاملة نفس معالم تمايزها الأولى.

وتتدرج اللهجات في منطقة عسير من الغرب إلى الشرق، بشكل جلي واضح سريع، فتسود اللهجة التهامية في منطقة تهامة والتي هي أقصى الغرب من منطقة عسير، وتنقسم اللهجة التهامية إلى نمطين من اللهجات، النمط الأول: الساحلي وهو النمط السائد في السهول الساحلية، وهي لهجة متقاربة إلى حد ما مع لهجة تهامة اليمن الساحلية، وتبدأ بيئة هذه اللهجة من محافظة الليث إلى تهامة حجة في اليمن، والنمط الثاني: الجبلي، وهو السائد في مناطق تهامة الجبلية التي تقع شرقي تهامة.

واللهجة في تهامة منطقة عسير الجبلية رغم تشابهها مع التهامية الساحلية في الكثير من الصيغ، إلا أن لها محدداتها الخاصة، فهي عربية عميقة الفصاحة لمن سبر أغوارها ودرس مفرداتها وتمعن فيها، ولكنها صعبة على من لم يتمرس على سماعها، إذ أن لها خصوصيتها في طريقة نطق الكلمات التي لا تشبه سواها من اللهجات، وتمتد هذه اللهجة بدرجة متشابهة في اللحن والصيغ في تهامة جنوبي منطقة مكة وتهامة منطقتي الباحة

---

(١) درج اللغويون العرب على استعمال مصطلح (اللغة) أو (اللسان) للتعبير عن (اللهجات) المحلية مهما كانت متقاربة، لكننا فضلنا هنا إلى جانب استعمال مصطلحي (اللغة) و(اللسان) استعمال لفظ "اللهجة" كمصطلح حديث يدل على وحدة اللغة واختلاف النطق (هشاشة الفروقات) بصفته يعطي الدلالة المطلوبة بطريقة أكثر تفصيلاً واقتراباً من الواقع، وبالتالي يكون لنا أن نتنقل بين المصطلحات حسب الحاجة إليها.

وعسير بدءاً من تهامة بني مالك وزهران إلى تهامة خولان مروراً بتهامة شمران وبلقرن وعليان وبني شهر وبني عمرو وبللسمر وبللحمر وعسير وشهران وقحطان، إذ تتشابه اللهجة في هذه المنطقة على امتدادها، ولكنها تكون أكثر خصوصية كلما اتجهنا إلى الجنوب، وتتغير بشكل حاد حتى تبدو وكأنها لغة أخرى عندما نصل إلى تهامة خولان (فيفا وما حولها).

وتبدأ منذ الصعود إلى السراة اللهجة السروية الحجازية والتي تمثل انكساراً حاداً في اللهجة يتماشى مع ما تمثله هوَّة الخط الفاصل بين تهامة والسراة من انكسار جغرافي ومناخي وبيئي يكاد يقسم الجزيرة العربية إلى بيئتين متباينتين، ولكن لهجة المناطق المتاخمة لتهامة وخاصة (الأصدار) المتواشجة مع الجهات التهامية تظل لها صلة بالتهامية إلى حد ما رغم اختلافها، إلا أن اللهجة تبدأ في التغير سريعاً منذ أن تفارق هذه الصدر والشعوف إلى الشرق، حيث تكون اللهجة "الحجازية" هي المسيطرة وهي لهجة متوسطة، ليس بها طابع اللهجة البدوية، ولا طابع اللهجة التهامية، وهي الأكثر قرباً من اللغة القرآنية، ويستمر التغير السريع في اللهجة إلى أن نصل بعد الاتجاه لمسافة خمسة عشر كيلو متراً تقريباً عن العقبة - في اتجاه الشرق - إلى لهجة البادية المعروفة والتي تمثل امتداداً للهجات البدوية السائدة في سائر أنحاء الجزيرة العربية.

ومن العجيب أن هذا الإنكسار في اللهجة يحدث أيضاً عندما نصل إلى مكة المكرمة، إذ تبدأ لهجة مكة المعروفة في مكة وجدة والطائف، ثم تتغير سريعاً عندما نتجاوزها شمالاً بمسافة قليلة إذ تبدأ بيئة لغوية أخرى تشابه لهجات البادية في شرق الجزيرة إلى حد ما، وهذا يفسر لنا أثر الحاجز الطبيعي المتمثل في العقبة الممتدة على شكل هوة يصل ارتفاعها إلى حوالي ٢٠٠٠م تفصل بين تهامة وهضبة السراة تبدأ من عسفان وذات عرق الواقعة شمال مكة شمالاً وتمتد جنوباً إلى بلاد عك والأشعريين، وتنقطع هذه العقبة (الهوة) منذ أن نتجاوز عسفان وذات عرق (شمال مكة) شمالاً، فيكون الاتصال ما بين الشرق والغرب شمالها أسهل منه فيما وقع جنوبها مما جعل تباين اللهجة بين الشرق والغرب شمال مكة أقل منه فيما وقع في جنوبي مكة حيث العقبة الفاصلة بين تهامة والسراة (الحجاز).

ومن ثم فإن لهجات الجزيرة العربية الرئيسية تكاد تكون ممثلة بأطرها العامة في حيز هذا الامتداد من الشرق إلى الغرب في إقليم عسير، وهو أمر ثابت متعارف عليه في المنطقة، وأشار له الكثير ممن زاروها، حتى أن فؤاد حمزة قسم بلاد عسير السراة من حيث اللهجة إلى جزئين فاعتبر أن الأجزاء الغربية المطلة على تهامة أقرب إلى تهامة بينما تلك التي تقع على السفوح المتجهة إلى الشرق أقرب إلى لهجة وطباع قبائل الشرق(١) (حسب تعبيره(٢)).

وتقف اللهجة (أو اللسان) في مفهوم الكثيرين كأهم محددات الانتماء العرقي للقبائل العربية، فقد قسمت اللغة حسب المدونات إلى لغة شمالية (يعنون بها الفصحى القرآنية) ولغة جنوبية (يقصدون الحميرية)، وقد يتجاوز هذا المفوهم الحدود الجغرافية إلى المفهوم العرقي، فقد أبدى جواد علي اندهاشا يوحي بالتشكك فيما نقله المعري عن عدي بن زيد التميمي حول نطقه للجيم كافاً على غرار هجر بـ (هكر) بصفة عدي تميمياً معدياً(٣)، بينما هذا النمط من النطق مرتبط باليمن (كعرق.. حسب رأيه)، وبالمثل فالقبائل التي تتكلم بالطمطمائية الحميرية يفترض الرواة والباحثون أنها يمنية (عرقيا)، إذ روي عن بعض شعراء طي بعض الشعر الذي يحتوي على ما عرف عند اللغويين بالطمطمائية الحميرية، وقد قال جواد علي في تعليقه على ذلك بأنه يثبت صحة انتماء طي إلى اليمن(٤)، ويقصد بذلك العرق اليمني، بما يسوق إلى أن دلالة انتماء هذه اللغة إلى العرق

---

(١) حمزة فؤاد، في بلاد عسير، نفس المصدر السابق، ١٢٥

(٢) استخدم حمزة للتشبيه لفظة "قحطان وشهران"، ولا شك أن بلاد قحطان وشهران ينطبق عليها ما ينطبق على بلاد عسير من حيث تنوع اللهجة وتدرجها ما بين الغرب والشرق بالضبط، إلا أن اقتصار تواشج حمزة مع بلاد قحطان وشهران على تلك البوادي الواقعة إلى الشرق على الطريق الذي عبره من بيشة إلى بلاد عسير كان له أثر على تقييمه للهجات عسير، وإلا فلا صلة لتدرج اللهجات العسيرية بالقبائل الكريمة المذكورة بالذات، حيث نفس التدرج موجود بداخلها.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨/ ص٥٦٩

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨/ ص٥٧٦

اليمني هو من المسلمات، إذن فاللغة لدى العرب هي إحدى الدلالات إلى الانتماء العرقي أكثر منها إلى الجغرافي.

وقبل أن نبتعد عن ما قاله جواد علي، فإن من المهم إن نشير إلى استرساله حول هذه الجزئية بما يعيد رأيه إلى الخانة الملائمة لهذه القامة العلمية التي ما زلنا نسترشد بها الطرق، فقد انتهى به المطاف إلى أن استخدام (إم) للتعريف ليست إبدالاً ولم تكن لغة حميرية، ولا علاقة لها بلغة حمير، فهي فيما رجح لديه ليست سوى إحدى اللهجات في قبيلة طي[1].

ولعل ما وصل إليه جواد هنا والذي يتسق في مضمونه مع رأينا هنا حول الأصول الشمالية للهجة تهامة الحالية، وانقطاعها عن لغة حمير واليمن الحقيقية، قد ينير لنا الطريق أكثر حول حقيقة سيادة اللهجة التهامية على مناطق كبيرة من بلاد العرب في المراحل الأولى من تاريخهم، بصفتها اللغة العربية الأم (فيما قبل القرآنية)، وحول ما حدث للعرب من انقلاب للمفاهيم بناء على ما وقعوا فيه من خلط للأنساب والانتماءات، وإدخال اليمن كعنصر محوري في التاريخ والأنساب والهجرات العربية على غير الحقيقة، فقبيلة طي مثلاً نسبت إلى اليمنية (العرقية)، بينما هي الأكثر رسوخاً وشهرة في مواطنها في شمال الجزيرة العربية، ومن ثم في بلاد الشام والعراق منذ العصور الأولى من التاريخ، والأكثر اتصالاً بالأمم والشعوب الأخرى لدرجة أنه كان يطلق على العرب كافة مسمى "الطائيين" بناء على ما عرف عن هذه القبيلة التي كانت الأكثر تمثيلاً للعرب في بلاد الحضارات الأخرى الشمالية، وقد ورد هذا الإسم للدلالة على العرب عموماً في المصادر السريانية، والآشورية، والفارسية، والروسية، والصينية، والزرادشتية، بل لقد ورد ذكر للعرب في "الأفيستا" (الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين) محوراً باسم "تاز"، وقد حور المسمى في بعض المواقع والمراحل إلى التازيين، والتازيغ[2]، مما يدل على ارتباط هذه القبيلة بجهة

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨/ ص٥٧٦

(٢) عيتاني، حسام، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، دار الساقي - بيروت، ط٢، ٢٠١٤م، ص٢٨- ٢٩

الشمال وثقل وجودها فيه منذ العصور الأولى من التاريخ، حيث عهد السريان والآشوريين، وهي حضارات سابقة لقيام الممالك اليمنية بكثير، مما يعني عدم ارتباطها بالأصول اليمنية كما ورد في كتب الأنساب والأخبار العربية، ويؤكد ذلك نتائج الفحص الجيني إذ انضوت بطون طي مثل شمر وبنو لام والفضول وبني خالد في قبيلة معد تحت سلالة التحور المعدي (FGC1723)، وذلك لا يمنع من المصادقة على امتداد بعض عمائر وبطون قبيلة طي إلى العمق حيث تواجدت في جنوبي تهامة، وجهات طريب وما حولها في منطقة عسير كما ورد في المصادر التاريخية[1]، ولعل هذه الهجرة لبعض بطون طي إلى منطقة عسير وما إليها، وما يماثلها من هجرات القبائل القادمة من الشمال، كقبائل معد (ومنها ربيعة)، وكندة، وغيرها من العرب الساميين كانت مصدر اللهجة العربية المعروفة حتى الآن في تهامة الجبلية، القادمة من الشمال - كما سيأتي معنا - والتي ظلت تستعمل إلى الآن في معظم جهاتها كما هي، بينما تغيرت وتطورت اللهجة في الموقع المصدر (شمال الجزيرة العربية) مع الاحتكاك المستمر بالأمم والقبائل الأخرى.

إلا أن الرأي القائل بعرقية اللغة ظل سائداً إلى حد ما في المدونات العربية التي كانت تصدر من الكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والشام ومصر والأندلس وغيرها، وليس على مستوى العدنانية والقحطانية فقط، فقد ربطوا هذه العرقية بالقبائل أيضاً فربطت طريقة النطق بأسماء القبائل، وهي مقولات نرى أن لها في كل من الصواب والخطأ نصيب، وفي مبحثنا هذا سنحاول تجاوزها كآراء، ولكننا قد نستدعيها كمؤشرات دالة على مفاهيم عصرها على وجه العموم.

تعد هذه المسلمات حول عرقية اللغة من الأسباب الرئيسية الحائلة دون الاعتراف بالوجود "المعدي" القديم - الذي تحمله المصادر التاريخية - في جرش ونواحيها "منطقة عسير"، بصفة معد تمثل القبائل الشمالية، التي نقل الشعر الجاهلي بلغتها حسب السائد في

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٨٩٠

المدونات العربية، بينما اللهجة الدارجة في المنطقة وبالذات في الشق التهامي وما يليه من إصدار هي لهجة خاصة تتشابه مع اللهجات في تهامة اليمن وما يصاليها من بلاد خولان وفي بلاد يافع، وخاصة فيما يخص "الطمطمائية" التي تبدو العلامة الأكثر بروزاً فيها جميعاً، وتمثل قاسماً مشتركاً بين هذه اللهجات.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الجزء الجبلي من تهامة منطقة عسير يحمل سمة الثبات على الحال منذ القدم، بالإضافة إلى ما لوحظ من تشابه لغتهم بلغة النقوش المتفرقة، وإذ نقل عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة استعمال بعض مصطلحات هذه اللهجة - كما سيأتي معنا - فإن هذا يفضي إلى أن اختلاف اللهجة التهامية بصورتها الحالية عن بقية اللهجات، وعن العربية القرآنية ليست نتيجة لتطور هذه اللغة بشكل مستقل، أو احتكاكها بلغات أخرى، بل لثبات وارتباط اللغة في هذه المناطق وهذه اللهجة بالأصول القديمة، فتشابهها مع النقوش القديمة وورود ما يدل على وجودها في عهد النبي ﷺ وصحابته، يدل على ثبات هذه اللهجة في هذه المواقع منذ مئات السنين دون انقطاع، وهو ما قد يسوق إلى استنتاج مفاده عدم مرور لغة القرآن الفصحى بصورتها التي ارتبطت بالشعر الجاهلي الذي ساد فيما قبل ظهور الإسلام حتى الآن - كما وصلنا - بهذه المناطق، ومن ثم فإن العربية الفصحى (القرآنية) والتي نقل ودون بها شعر شعراء ربيعة وقيس عيلان وتميم وطي الجاهلي هي لغة مختلفة عن هذه اللغة التي وجدناها فوق هذه الأرض، وخاصة الشق التهامي الذي نسب إليه الوجود الربعي الأول في بعض المصادر، فكيف لنا أن نصدق أن ربيعة كانت هنا تتحدث بالعربية الفصحى دون سواها، بينما المنطقة التي يكثر وجودها فيها حالياً تسود فيها لغة أخرى لا زالت على حالها القديم الذي عرفت به منذ ما قبل الإسلام بمئات السنين؟

وهذا رأي علينا أن نحترمه، وأن نتعامل معه بجدية، فإما أن تكون هنالك إجابة واضحة، تستوعب الفكرة، وتبرر هذا التناقض بين الرواية التاريخية وبين الواقع اللغوي، أو فلنسلم بأنه قد يكون في تعذر حل هذا الإشكال النفي القاطع لصحة وجود ربيعة واستقرارها فوق هذه الأرض في المراحل الأولى من التاريخ، خاصة الجزء التهامي الجبلي، وأن من وجدوا حاليا من قبائل عنز وبكر وتغلب فوق هذه الأرض هم طارئون، وحتى

لو سلمنا بأن لهم ارتباط ممتد إلى مراحل متقدمة قبل الإسلام فإن ذلك سيكون محدوداً ببلاد السراة وامتدادها باتجاه الشرق والشمال الشرقي، حيث اللغة أكثر اقتراباً من لغة الشعر الجاهلي العربي تاريخياً، ولكنه يظل في هذه الحالة وجوداً طارئاً لعدم تواؤمه مع البلاد المجاورة، ... فهل انتهينا إلى ذلك بالفعل؟

المصادر اللغوية القديمة للسان أهل تهامة

من الملاحظ تشابه اللهجة التهامية المحكية حالياً في منطقة عسير مع اللغة السريانية بدرجة متفردة، والسريانية تعد اللغة الأم للغات السامية الغربية ومنها العربية[١]، حيث نجد هنالك الكثير من القواسم المشتركة بين السريانية وبين لسان أهل تهامة المحكي إلى هذا الزمان ومن هذه المعالم:

١- ينطق الكاف في السريانية عندما يكون في وسط الكلام بطريقة يكون فيها أقرب إلى حرف الخاء منه إلى حرف الكاف، مثل (Amlek') (مَلَكَ) تنطق خاءً (أملكْخْ)[٢]، وهو نفس النطق المستعمل كما نعلم في تهامة منطقة عسير بل هو من أهم محددات اللهجة التهامية الجبلية بمنطقة عسير، حيث يقلب الكاف إلى حرف قريب من الخاء، وهو أمر معروف لدى كل من عايشها، بل ولا زال هذا النطق متداولاً، وممن أشار لذلك، فؤاد حمزة، فقد ذكر أن نطق الكاف في تهامة (ألمع) والسفوح الغربية لعسير (الصدر) تشبه طريقة نطق الألمان واليونان للخاء أي بين الخاء والشين (حسب تعبيره)[٣].

---

(١) ابن صاعد التغلبي، صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد، طبقات الامم، نشره وذيله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس لويس شيخو اليسوعي، المكتبة الكاثيولوكية للآباء اليسوعيين - بيروت، ١٩١٢م، ص٦

(٢) صليبا، ثافيلوس جورج (مطران جبل لبنان)، معلم اللغة السريانية، ب د ن، طبعة ٢، ٢٠٠٧م، ص٢٦

(٣) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، ص١٥٢

٢- يقال للابن في السريانية: برا (bro) وللبنت برتو (bartho)[١]، وهي نفس المفردة المستخدمة في تهامة وتنطق بالضم بنفس الطريقة فيقال: "ابرو" و"ابرتو" بمعنى ابنه وابنته، وفي الجملة تنطق: "احمد برا علي" أو "احمد بر علي" أي "احمد بن علي" ويقال "سرَّا ابرة يحيى" أي "سرَّاء ابنة يحيى" وهكذا.

٣- النزوع إلى الضم الشديد في آخر الكلام في اللغة السريانية بنفس الطريقة التهامية المعروفة: بعلو (بعل)، بارزوجو (زوج)، بناتو (بنات)، جسمو (جسم)، ريسو (راس)، إدنو (إذن)، فمو (فم)، عينو (عين) دقيقو (دقيق)، قمحو (قمح)، فرتو (فرت/ نخالة)، جملو (جمل)... إلخ[٢]

٤- استخدام النون للدلالة على الجمع المذكر وكسرها للدلالة على المؤنث فيقال في السريانية كثابكُن (kthobk'un) للجمع المذكر ويقال كثُابكِن (kthobk'en) للجمع المؤنث[٣]، وهي لهجة دارجة في تهامة الساحلية بصورة مقاربة جداً، فيقولون "بيتكن" بمعنى بيتكم، و"قلت لكن" بمعنى قلت لكم و"أنطاكن" أي أعطاكم و"أنتن" بمعنى أنتم، ولكنها أقل حضوراً في تهامة الجبلية، إلا أننا نجدها في قولهم "راحن" ذهبوا، و"زحلطن" بمعنى فاتوا (من الفوات)، وفي قولهم"امولد أدَّمن على وجهو" أي الولد سقط على وجهه، وما إليها.

٥- تستخدم المفردة "بثر" في السريانية بمعنى "بعد" فيقال في السريانية "بثر ظهرو" (bother t:ahro) أي "بعد الظهر"[٤] وهي تستخدم بنفس الطريقة تقريباً في اللهجة

---

(١) صليبا، ثافيلوس جورج (مطران جبل لبنان)، معلم اللغة السريانية، ب د ن، طبعة ٢، ٢٠٠٧م، ص٤٨

(٢) صليبا، ثافيلوس جورج (مطران جبل لبنان)، معلم اللغة السريانية، ب د ن، طبعة ٢، ٢٠٠٧م، ص٤٩ - ٥٠

(٣) صليبا، ثافيلوس جورج (مطران جبل لبنان)، معلم اللغة السريانية، ب د ن، طبعة ٢، ٢٠٠٧م، ص٣٨

(٤) صليبا، ثافيلوس جورج (مطران جبل لبنان)، معلم اللغة السريانية، ب د ن، طبعة ٢، ٢٠٠٧م، ص٤٤

التهامية فيقال "سار بثرة" أي ذهب خلفه، ويطلق على الخلف أو العقب "البثر" كالأبناء أو الأعمال التي تظل بعد الشخص، ويقال "هالو بثرك" أي أنه بعدك (أي على حاله الذي تركته عليه).

ولا شك أن هذه الصيغ والمفردات التي وردت وطرق النطق تعد من المحددات الرئيسية للهجة التهامية الجبلية في منطقة عسير والتي تميزها عن غيرها من اللهجات، وهو ما يدل على عمق العلاقة والارتباط بين اللسانين.

كما أن اللغة العربية النبطية الأم والتي تفرعت أيضاً من اللغة السريانية الأم، تتشابه مع اللهجة التهامية بنفس الدرجة وربما أكثر، حيث يمتد تشابهها إلى بعض المفردات المستعملة في بلاد سراة عسير، ونجد هذا التشابه من خلال نص أحد النقوش العربية التي كتبت بالخط النبطي في الشام، والذي كان معنياً بسرد بعض الأحداث التي تدل على تواشج بين تلك الجهات وقبائل العمق في الجزيرة العربية، وهو ما عرف بـ"نقش النمارة"، ومما ورد في نص النقش قوله:

"تي نفس امرئ القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج وملك الأسدين، ونزارو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء يزجي في حبج نجران مدينت شمر وملك معدو ونزل بنيه الشعوب ووكلهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه"(١)

والنص هو نص عربي بالخط النبطي، إذ يمثل مرحلة العربية النبطية، ونلاحظ هنا استعمال مفردات مثل(تي) بمعنى "هذه" وهي لغة سائدة في تهامة عسير والأصدار

---

(١) للمزيد انظر:

- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي (١ العصر الجاهلي)، دار المعارف - القاهرة، ط٢٢، ب ت ن، ص٣٥
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١/ ص٢٣
- برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٢٧ - ١٢٨

المصالية لها، فيقال "تيه" بمعنى "هذه"، كما نلاحظ استعمال "بر" بمعنى "ابن"، و"ذو" بمعنى "الذي" كما نلاحظ استعمال الظمة الظاهرة بشدة على نهايات الأسماء لدرجة وضع الواو في نهاية كلمات: عمرو، نزرو، معدو، مجمعو (مذحجو)، ويتبين لنا هنا تشابه ظاهر للغة النقش مع لهجة تهامة عسير في ملامحها الأساسية التي تميزها، وهو ما يعني أن اللغة العربية الأولى والتي كانت لغة العرب كافة كانت مقاربة بدرجة عالية للهجة أهالي تهامة الحالية[١].

وقبل كل شيء، وقبل أن نتلمس المصادر التاريخية للوصول إلى الحقيقة، فإن هنالك أمر هام يجب وضعه في الحسبان، فنحن نقلنا بعض مكامن تشابه لسان أهل تهامة منطقة عسير مع اللغة السريانية، والتي هي لغة حضارة قامت في بلاد الهلال الخصيب ذات صلة قديمة باللغة العربية، ولهما أصول مشتركة مضى عليها ما قد يتجاوز ألفي عام، بل إن ابن صاعد الأندلسي[٢] يرى أن اللغات العربية والعبرانية تفرعت عن اللغة

---

(١) ذهب شوقي ضيف إلى أن هذه المعالم تمثل طوراً من أطوار تطور اللغة العربية ولكنه اعتبر المحددات المختلفة عن العربية الحالية مثل (بر) (ابن) قدمت من الآرامية، وأشار إلى تشابه النص في بعض معالمه مثل استخدام (ذو) مع بعض اللهجات مثل لهجة طي، ولم يعرج على لهجة تهامة، بينما ذهب إبراهيم طالع إلى استخدام تشابه النص مع اللهجة في عسير لإثبات شيوع اللغة اليمنية على الجزيرة العربية باعتباره امتدادا لها، حسب رأيه، وهذا بعيد عن الصواب، فالنص لا يمت للغة اليمنية المتداولة في اليمن في تلك المرحلة وعلى امتداد العصر الجاهلي بصلة، انظر:

- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي (١ العصر الجاهلي)، ص٣٥-٣٦
- طالع، إبراهيم، من قيم الشعر الشعبي في عسير، (عبدالله بر عامر بر بدة نموذجاً)، ص١٠٢-١٠٣، ١١٠-١١

(٢) هو صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي، الأندلسي القرطبي، عاش ١٠٢٩م - ١٠٧٠م، وقد توفي بعد سنتين من تأليف كتابه الثالث "طبقات الأمم"، عام ٤٦٢هـ، الذي حاول فيه تفسير طبائع البشر وفقاً لتغيرات المناخ، كما أنه طرح في كتاب طبقات الأمم أطروحة مغايرة لما أورده أهل عصره حول نشوء اللغة العربية مفترضاً تطورها من اللغة السريانية، ولعله بذلك من أوائل من طرحوا فكرة تطور اللغات من بعضها في التاريخ العربي

السريانية[١]، وقد عرضنا أيضاً "نص نقش النمارة" من نص عربي كتب بالنبطي عمره أكثر من ١٦٨٠عام، والذي يمثل أقدم نص عربي مقارب للعربية الفصحى، وقد وجد في بلاد الشام، شرقي جبل الدروز، ويفترض أن هذه اللغة هي لغة الموطن الذي وجد فيه النقش في تلك المرحلة، ونجده في نفس الوقت يشترك مع اللهجة التهامية المعروفة حالياً في محدداتها الرئيسية بما يفوق ما تشاركها به بقية اللهجات العربية المحلية، بما في ذلك اللهجات اليمنية، بالإضافة لما ورد عن لسان طي القبيلة الشمالية التي كانت تستعمل "إم" للتعريف، ورأي جواد علي حول ذلك. وهذه الأدلة مجتمعة تشد بعضها بعضاً بما يقوي الصلة بين لهجة أهل تهامة واللغة السائدة في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، ما يعني أننا أمام مصدر لجذور اللهجة التهامية قادم من الشمال وليس من الجنوب، إذ أن اللغة اليمنية في تلك المرحلة - حسب النقوش اليمنية في مأرب وظفار وبراقش[٢] - بعيدة عن العربية القرآنية، وعن اللهجة التهامية، مقارنة بلغة نص النمارة ذي اللغة العربية الأكثر وضوحاً، والذي استخدم "ال" للتعريف العربية[٣]، والمشابهة بدرجة عالية للهجة أهالي تهامة عسير المستعملة إلى وقتنا الحاضر، مما يعني أن لهجة أهل تهامة مرتبطة في أصولها بالشمال أكثر من ارتباطها باللغة السبئية والحميرية، حيث كان حضور القبائل

---

(١) ابن صاعد التغلبي، صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد، طبقات الامم، نشره وذيله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس لويس شيخو اليسوعي، المكتبة الكاثيولوكية للآباء اليسوعيين - بيروت، ١٩١٢م، ص٦

(٢) للمزيد انظر النصوص المعاصرة لنقش النمارة في اليمن مثل نقوش الملك "ذمر علي يهبر" وابنه "ثأرن يهنعم" ملك سبأ وذي ريدان (٣٢٠ - ٣٤٥م)، ومنها النصوص: ٧٩=(lr32)، ٨٠=(CH397)، ٨١=(lr31)، ٨٢=(J668)، ٨٣=(J667) ؛ العتيبي، محمد سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، ص٢٩٢-٣٠٣

(٣) يقول جواد علي: "لم يصل إلى علمي أن أحداً من الباحثين عثر على نص جاهلي في العربية الجنوبية عرَّف بـ (ال) أداة التعريف في عربية القرآن الكريم" ؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨/ ص٥٧٦

العربية المعدية والنبطية من الشمال، وبالضبط من الشام جنوباً (في الغالب عبر تهامة وجبال الحجاز)، ومنها إلى بقية المواقع في الجزيرة العربية، ومن ثم فإن هذه اللهجة التهامية ذات الأصول (السريانية) (النبطية) (العربية)، تفصح عن معادلة جديدة في الارتباط اللغوي، وتعيد فرز مصدرية اللهجات المتداولة في تهامة بما في ذلك استعمال "إم" للتعريف - الشائع استعمالها أيضاً في تهامة اليمن وفي خولان وفي يافع وما حولها - وتربطها بالمصدر الأساسي للغة العرب الأولى التي كانت تستعمل في أنحاء الجزيرة العربية والشام، كما تربط كافة العرب بهذه اللغة التهامية في مرحلة من مراحل تطور اللغة العربية وانبثاقها عن السريانية.

ومما تقدم، فإن مفهوم "طمطمانية حمير" السائد استعماله في المصادر العربية لا أساس له، والصحيح أن هذه الطمطمانية ليست حميرية، بل هي قدمت إلى اليمن مع قبائل الأعراب (الإسماعيليون) الذين نقلوا العربية الأولى من الشام إلى تهامة وغرب الجزيرة العربية ثم إلى وسط الجزيرة العربية، وهي بالتالي دخيلة على عرب حمير وسبأ الذين نطقوا العربية السريانية في وقت لاحق، ولا صلة لـ (ام) التعريف التهامية بالتمويم السبئي والذي يكون التعريف فيه بحرف "النون" الذي يوضع في آخر الكلام بينما تستخدم الميم في لغتهم (في آخر الكلمة) للتنكير لا للتعريف.

فاللغة الحميرية والتي عرفت بالسامية الجنوبية، أكثر ارتباطاً باللغة "الأكادية" التي تستعمل "التمويم"[1] بطريقة مشابهة ، والتي عرفت إلى جوار اللغتين المنبثقتين منها: "الآشورية" و"البابلية" عند باحثي اللغات والاجناس باسم اللغات (السامية الشرقية)، وإذا

---

(١) تستخدم اللغة الأكادية التمويم في نهاية الأسماء مثل "أموم" = "أم"، و"كلبوم" = "كلب"، و"كلبتوم" = كلبة، و"صيخروم" = "صغير"، و"صيخرتوم" = "صغيرة"، ورغم عدم ربطها بالتعريف أو التنكير لدى بعض الدارسين، إلا انه لا يمكن تجاهل درجة تشابهها مع التمويم السبئي، للمزيد انظر: مرعي، عيد، موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق، ٢٠١٢م، ص٤٢-٤٣.

وضعنا إلى جانب ذلك تكتل بعض قبائل اليمن في نتائج فحوصات الدي إن إي تحت سلالات منبثقة أسفل تحورات علوية منعزلة عن بعضها وعن تكتل بقية القبائل في الجزيرة العربية، فإن كل ذلك يرجح حدوث هجرات متقطعة مباشرة من العراق ومنطقة ما بين النهرين اتجهت جنوباً عبر مناطق شرق الجزيرة العربية إلى أقصى جنوبها، إلا أن اللغات "السبئية" و"المعينية" و"القتبانية" و"الاوسانية" اكتسبت أيضاً تأثيرا من طرف آخر، وهو اللغات "الجعزية" و"الكوشية" و"الأمهرية" فأصبحت مزيجاً بين السامية الشرقية واللغات الحبشية[1]، وهو ما جعل اللسانيون يصنفونها كلغات (سامية جنوبية) بينما السريانية والنبطية والكنعانية والعربية والعبرية عرفت باللغات (السامية الغربية)[2].

ولا زالت اللغات السبئية الأولى والجنوبية عامة تستخدم كلغات أخرى في قبائل المهرة والصدف في شرق اليمن وفي عمان، بينما نجد أن لغة تهامة اليمن والجبال الغربية في اليمن تماثل لغة بقية أنحاء الجزيرة العربية، بما في ذلك أهل يافع، وخولان، وتهامة (وهي المناطق التي تحمل قواسم مشتركة مع لغة أهل تهامة منطقة عسير، مثل استخدام "ام" للتعريف).

ومن ثم فالتدرج اللغوي في الجزيرة العربية (فيما عدا اليمن) أكثر ارتباطاً في تمايزه بالجغرافيا الممتدة من الشرق للغرب فيكون التباين بين لسان شرق الجزيرة العربية وغربها امتدادا للتباين بين اللغات السامية الشرقية والسامية الغربية وليس بن الشمال والجنوب، ومن الطبيعي توقع أن يكون أثر هذا التباين قد تداخل مع اللهجات العربية، ومن ثم كان له تأثيره على تباين اللهجات في منطقة عسير من الغرب إلى الشرق كما أسلفنا، حيث كانت المناطق السروية ما بعد العقبة وكلما اتجهنا منها شرقاً أكثر اتصالاً مع الحالة اللغوية الشرقية القادمة من العراق (الاكادية)، لذا كان لها أثرها عليها، وعلى كافة اللهجات في

---

(١) للمزيد انظر: ضيف، شوقي، تاريخ الادرب العربي (١ - العصر الجاهلي)، ص٢٧.

(٢) هذا التقسيم هو ملخص لناتج مجمل الآراء، التي لا تعارض بعضها، فهنالك من قسمها مثلاً إلى ١- سامية شمالية: ومنها (المجموعة الشرقية) و(المجموعة الغربية)، ٢- سامية جنوبية، انظر: علي، جواد، المفصل... ، ج٨/ ص٥٣٠.

مناطق الجزيرة العربية ما عدى تهامة، ويبدو أنه كان لحالة البداوة والتنقل دور في تكون اللغة العربية المعروفة (الفصحى) كلغة متوسطة بين السامية الشرقية والسامية الغربية، وفي سيادتها على بقية اللغات في المناطق التي تواشجت معها منذ بداية القرن الرابع للميلاد[1]، بينما بقيت تلك الجهات الغربية التهامية أقل قدرة على التواشج مع اللغات السامية الشرقية مما أدى إلى انعزالها ومن ثم المحافظة على نقائها وثباتها على حالتها القديمة الأكثر شبهاً بالسريانية والنبطية والعربية الأولى، وفي نفس الوقت اختلفت اللغة في جهات أقصى جنوب الجزيرة العربية حيث جنوب وجنوب شرق اليمن وجنوب غربي عمان تحت تأثير تمازج اللغة السامية الشرقية مع اللغات الحبشية فنشأت اللغات السبئية والمهرية، وما إليها.

ولكن هذه الحقيقة ورغم أنها تثبت لنا عدم استثنائية اللغة التهامية من أصول مصادر اللغة العربية المحكية في سائر أنحاء الجزير العربية - حيث سادت لغة الشعر الجاهلي - إلا أنها وكما أسلفنا تزيد من تأصيل التمايز اللغوي بين اللغة في تهامة وبين العربية القرآنية التي نقل إلينا بها الشعر الجاهلي، حيث يدل هذا التقارب القوي مع اللغات القديمة المنقرضة في الجزيرة العربية والشام على ثبات هذه اللهجة في تهامة منذ مرحلة سيادة تلك اللغات إلى هذه اللحظة، مروراً بالعصر الجاهلي (حيث قيل معظم الشعر الجاهلي في مرحلة ما قبل الإسلام)، فكيف نبرر وجود قبيلة ربيعة - والتي تعد المصدر الأول للشعر الجاهلي - فوق هذه الأرض بينما لسانها مختلف.

لهجة أهل السراة.. المجاورون لتهامة

في الجهة الأخرى فإن لهجة أهل الحجاز "السراة" المجاورين لتهامة في العموم أكثر قرباً وارتباطاً باللغة القرآنية، بل هي أقرب لهجات الجزيرة العربية إلى اللغة القرآنية، وهذا بالفعل ما رصده الكثير من الرحالة ومستوطني هذه الأرض أمثال سليمان شفيق باشا[2]،

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الادرب العربي (١- العصر الجاهلي)، ص٣٦

(٢) يقول سليمان شفيق باشا: "وإذا كان سكان تهامة عسير قد فسدت لهجتهم بسبب اختلاطهم ==

ومحمد رفيع[١]، وفؤاد حمزة[٢]، وغيرهم من رجال العلم ممن أقاموا بهذه الأرض حقبة من الزمن، ولعل شهادة هؤلاء المعاصرين تؤكد مصداقية شهادة المتقدمين الذين أشاروا إلى ذلك بقوة، فاقتراب لهجة أهل السراة من العربية الفصحى (القرآنية) هو أمر مشهور عنهم منذ القدم، يقول أبو عمرو بن العلاء:

"افصح الناس أهل السروات أولها هذيل ثم بجيلة ثم الأزد أزد شنوءة"[٣].

ولعل شهادة أبي عمرو بن العلاء (٦٨ - ١٥٤هـ)، التابعي، أحد القراء السبعة، الذي كان من أعلم الناس بالقراءات، والعربية، والشعر، وأيام العرب، والنحو بأن أهل السراة هم أفصح الناس، وهو الذي أنكر عربية لغة حمير في قوله "ما عربية حمير

==

بالغرباء فإن أفصح أهل البلاد العربية بوجه عام سكان بلاد عسير، وهم أصح من عامة الأقطار الأخرى منطقاً" انظر:

- مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق احمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص١٩

(١) رفيع، محمد عمر، في ربوع عسير، ص٣٨

(٢) يقول فؤاد حمزة: " وأهل نجد أصرح من لغة أهل الحجاز لقرب هؤلاء من الحرمين واختلاطهم بالأجانب وبعد أولئك عن كل تلك العوامل. ولكن أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى فيما نعتقد هي اللهجات اليمانية الواقعة ما بين جنوبي الحجاز وشمالي اليمن. وكثيراً ما سمعنا أهل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصيح من سواه. وبعض البداة من أهل هذه المنطقة يخرجون جملاً يظن منها الإنسان أنهم تمرنوا في المدارس على إخراجها على ذلك النحو بينما أن الحقيقة هي بخلاف ذلك لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة فيجيء كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه. ويستعملون ألفاظاً نظنها في الأقطار العربية المتمدنة مهملة متروكة ولكنهم هم يستعملونها على البداهة. " انظر: حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، ص٩٩

(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٨ -٨٩

بعربيتنا"[١] تدل على استفاضة اختلاف لغة بلاد السراة عن لغة حمير وسبأ ولغة اليمن على وجه العموم واستفاضة ذلك في تلك المرحلة المبكرة.

وممن شهد عياناً بفصاحة أهل السراة وسلامة لغتهم، ووقف على ذلك، وروى مشاهدته لفصاحتهم المدهشة الرحالة ابن جبير، ومما قاله عنهم تحت عنوان "السرو المائرون":

"والقوم عرب صرحاء فصحاء جفاة أصحاء"

إلى أن قال"

"وشاهدنا منهم صبياً في الحجر قد جلس إلى أحد الحجاج يعلمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص. فكان يقول له: "قل هو الله أحد" فيقول الصبي: "هو الله أحد" فيعيد عليه المعلم، فيقول له: " "ألم تأمرني بأن أقول: هو الله أحد ؟ قد قلت". فكابد في تلقينه مشقة، وبعد لأيٍ ما علقت بلسانه. وكان يقول له: " بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين " فيقول: " بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ". فيعيد عليه المعلم، ويقول له: "لا تقل: والحمد لله، إنما قل: الحمد لله". فيقول الصبي: "إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، أقول والحمد لله للاتصال، وإذا لم أقل بسم الله، وبدأت قلت الحمد لله". فعجبنا من أمره ومعرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله دون تعلم.

وأما فصاحتهم فبديعة جداً "[٢]

وممن أشار لفصاحة قبائل السراة وتميز لهجتهم الهمداني في صفة جزيرة العرب حين قال:

---

(١) ابن سلام الجمحي، أبو عبدالله البصري محمد بن سلام، طبقات الشعراء، تمهيد الناشر جوزف هل، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ب ت ن، ص٢٩

(٢) الكناني، محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص١١٠ - ١١٣

"الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام فأرض سنحان فأرض نهد وبني أسامة فعنز فخثعم فهلال فعامر بن ربيعة فسراة الحجر فدوس فغامد فشكر ففهم فثقيف فبجيلة فبنو علي غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة. وأما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها، وكذلك الحجاز فنجد السفلى فإلى الشام والى ديار مضر وديار ربيعة فيها الفصاحة إلا في قراها، فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعيض والتفنين."[1]

وفصاحة أهل السراة المقصودة لدى أبي عمرو وابن جبير والهمداني وغيرهم تعني - حسب السائد - تشابه لغة هذه القبائل والبلاد مع لغة قريش (اللغة القرآنية).

وأهل السراة يجاورون أهل تهامة على امتداد جبال السروات، وينتمون إلى نفس القبائل، فكل قبيلة في السراة لها امتداد في تهامة، ويتصلون ببعضهم بشكل مستمر رغم اختلاف البيئة والمناخ، بل ويحضر أهل الحجاز (السراة) أسواق أهل تهامة في الشتاء، بينما يحضر أهل تهامة أسواق الحجاز في الصيف، ولهجاتهما واضحة لكلا الطرفين، وهو ما يدل على خطأ فكرة الانتماء العرقي للهجات.

المسافة بين تباين وتشابه اللهجات في الجزيرة العربية

عوداً على بدء، فإن نظرية اللهجات العربية واختلافها ورد عنها الكثير في التاريخ العربي وقد تحدث اللغويون والأخباريون عن فروقات النطق و(الألسن) بين القبائل العربية، منذ القرن الثاني للهجرة، ولكنهم جميعاً - ما عدا الهمداني والجاحظ - افترضوا التوزيع القبلي للغات لا التباين الجغرافي، ومن ثم فقد نقلوا عن القبائل القاطنة في العراق والشام وما حولها من قبائل البادية وما يليها من قبائل الجزيرة العربية اختلافاتهم اللغوية الناتجة عن اختلاف مواطنهم الأولى وما بعدها، ودوَّنوها منسوبة لهذه القبائل، فبدا من

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق الاكوع، ص٢٥٠

خلال هذا التمايز اللغوي المحال إلى الانتماء القبلي فقط وكأن كل قبيلة أُمَّة بذاتها، لها لغتها وطريقة نطقها التي تنمو منفصلة عن البيئة المحيطة، مع أن اختلافهم في إحالة اللهجات بين القبائل يدل على خطا معاييرهم في توزيع اللهجات، فمثلاً أحال كل منهم الكشكشة إلى قبيلة تختلف عما قاله الآخر، فقيل "كشكشة ربيعة" وقيل "كشكشة تميم" وقيل "كشكشة قيس" وقيل "كشكشة مضر" وقيل في الكسكسة مثل ذلك، فقد كان هنالك اختلاف في إحالة طرق النطق بين القبائل، وهو ما يدل على تعدد اللهجات داخل كل قبيلة حسب افتراق بطونها، فكان كلٌ ينقل مشاهدته حسب ما عايش من هذه البطون.

ورغم ما ظهر لنا من اختلاف في وصف اللغويين لهذه اللهجات وربطها بقبيلة أو سواها، إلا أنه كان هنالك واقع حقيقي بدرجة ما لوجود هذا المستوى من التباين في النطق، ولوجود هذه اللهجات بالفعل، حتى وإن كانت معايير توزيعها مخالفة لمعايير الأخباريين بدرجة ما، ولكن يجب أن ننبه إلى أن هذا التباين بين ألسن القبائل في الجزيرة العربية (فيما عدا اللغة السبئية والحميرية وما إليها) في حقيقته لا يخرج عن كونه تباين شكلي، لا أكثر، كما سيتضح لنا.

عندما نتفحص تمايز اللهجات العربية التي وزعها اللغويون على القبائل نجدها لا تتجاوز في فروقاتها غالباً طريقة نطق الحروف وقلب بعضها إلى حروف أخرى كما أوردنا، واختلاف في بعض المفردات، أو في طريقة نطق بعضها، وهذا الاختلاف الطفيف والتشابه العميق ناتج لا شك عن تطور اللغات واندماجها ببعضها بشكل مستمر لتكوين لغة متجددة غنية بالتنوع اللهجي، فنحن نلاحظ أن اللهجات داخل الجزيرة العربية لها صفة التقارب الشديد في حيز جغرافي واسع، فمنذ أن تتجاوز قمة جبال الحجاز (السروات) المطلة على تهامة باتجاه الشرق بمسافة عدة كيلومترات إلى أن تصل إلى وسط وشرق وشمال وشمال شرق وشمال غرب الجزيرة العربية، ومنذ أن تتجاوز مكة شمالاً - حيث ينقطع الحاجز الجغرافي الفاصل بين تهامة والسراة، فتتصل منطقة الساحل بالعمق -، فإنك لا تلحظ وجود فروقات جوهرية في اللهجات المحلية على امتداد هذه المناطق، بينما أنت تجوب في شبه قارة

تصل مساحتها إلى حوالي ٥,٢ مليون كيلومتر مربع، وهي تختلف في ذلك عن المناطق الحضرية الغنية ذات الطابع الاجتماعي المتصف بالثبات، حيث تتسم البيئة الاجتماعية هنالك بالتمايز القوي في اللهجات كما هو الحال في مصر بين مصر العليا والوسطى والسفلى[1]، وربما نجد ذلك أكثر وضوحاً في اختلاف اللغات جذرياً في حيز جغرافي صغير عندما يكون أكثر استقراراً، واكتفاءً بذاته، كما هو الحال في اللغات الأوروبية، فلماذا كان ذلك؟..

إن أهم ما يميز بيئة المجتمع في الجزيرة العربية أنها بيئة فقيرة، وأنها في نفس الوقت بيئة يغلب عليها طابع البادية المتنقلة، والتي يضطرها فقر البيئة إلى التنقل من أقصاها إلى أقصاها خلف الماء والكلأ، بشكل مستمر وفي فترات متقاربة نسبياً، ويساعدها على ذلك اعتمادها على "الجمل العربي" ذو المواصفات الخاصة الملائمة للبيئة الصحراوية، فينتج عن ذلك احتكاك مستمر بين البشر في حيز جغرافي واسع، مما يجعل التطور اللغوي متزامناً، وأكثر ترابطاً في مساحة أكبر، ويقلل من الفروقات اللغوية، والتي تنشأ وتنمو عادة في المناطق المستقرة الغنية التي تكتفي بذاتها، فيقل حراكها، وتنعزل كل منها بالتالي عما حولها، وقد تشذ عن هذه القاعدة في الجزيرة العربية مناطق تهامة الجبلية حيث هنالك بادية ولكنها محدودة التنقل، ومن ثم فإن وعورة مناطق تهامة الجبلية جعلها أقل وروداً من قبل البادية المتنقلة بين أنحاء الجزيرة العربية، ومن ثم أكثر انعزالاً (كما أوضحنا)، ولا تتطور لغتها معها، وبالتالي كانت الأقرب للغات السامية الأم، كالسريانية، والنبطية، والعربية الأولى (الأم).

الشعر العربي بين الفصحى واللهجات (ومنها العسيرية)

كما أسلفنا، فإن جل الفروقات بين لغات القبائل العربية - فيما عدا الحميرية - في الجزيرة العربية التي ذكرها النحويون واللغويون هي فروقات شكلية طفيفة، فلا نجد هنالك من فروقات ذكرها اللغويون بين لهجات القبائل العربية أكثر من اختلاف بعض

(١) حول اختلاف اللغة بين هذه المناطق الثلاث انظر: حسين، طه، في الشعر الجاهلي (الكتاب والقصة)، تقديم عبدالمنعم تليمة، رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص١٠٠

المفردات، أو طريقة نطق الحروف كقلب "ك" المخاطبة للمؤنث إلى "ش" (كشكشة ربيعة)[١] أو إلى سين (كسكسة تميم)، أو قلب حرف "اللام" في "أل" التعريف إلى "ميم" في ما اطلقوا عليه (الطمطمائية)، أو قلب الهمزة إلى "ع" (عنعنة تميم) أو قلب الياء "ج" (فحفحة هذيل) أو العكس (في لهجة ما بين بلاد بني شهر وعسير حيث يقلبون الجيم ياءً، ومثلهم في ذلك حوطة بني تميم، ودول الخليج قاطبة، وقد ورد مثل ذلك عن تميم)، أو في الإمالة (وهي كسر الألف الممدودة)، أو "الاستنطاء": وهو قلب حرف العين نوناً في بعض المفردات، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١] فتنطق {إنا انطيناك الكوثر}، ومنها أيضاً جعجعة قضاعة، ولخلخانية حمير، ووتم اليمن، ووكِم ووهِم كلب...... وغيرها، وهي اختلافات وإن كانت تدل على افتراق جغرافي واجتماعي أدى إلى اختلاف طريقة نطق الحروف، إلا أنها وكناتج نهائي تعتبر طفيفة، بحيث يمكن تلافيها وفهم اللهجات بين أصحابها مختلفي القبائل والمضارب بسهولة، بل وسهولة تحوير مفرداتها لتلائم الطرف الآخر، كما هو حاصل إلى اليوم.

وهنا فإن الشعر العربي الذي نقل عن شعراء الجاهلية لا نشك في أنه تعرض لجهد الرواة في التحسين والتفصيح، ولم ينقل بنفس الصياغة التي قيل بها، وهو رأي ذهب إليه بطريقة أو أخرى بعض الباحثين، يقول ثيودور نولدكة:

" وطالما بقيت القصائد حية في أفواه الشعب، فإنها كانت معرضة لكل مصائر الأدب الشعبي. ذلك أنه مهما يكن من قوة الذاكرة عند العرب، كما هي الحال عند كل الشعوب الموهوبة التي تندر أو تنعدم فيها الكتابة، فإن أقوى الذاكرات لا تستطيع أن تحول دون حدوث تغييرات تدريجية قوية فيما تحفظ. "[٢]

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، ١٤١٣هـ، ج٨ / ص٥٧٠، ٥٧١

(٢) بدوي، عبدالرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١ - ١٩٧٩م، ص٢٢

كما أشار الباحث إلى تحوير الرواة لبعض المفردات في الشعر الجاهلي لتواكب الرؤية الدينية اللاحقة فـ"اللات" مثلاً حورت إلى لفظ الجلالة "الله"[(١)].

غير أن آخرين مثل كبير مستشرقي الروس "كراتشكوفسكي" استبعدوا وجود الأثر المحوري للرواة على الشعر الجاهلي لأن الشعر غير قابل للتعديل فهو يرتبط بالوزن والقافية[(٢)]، ورغم أننا نرى صحة الكثير مما أشاروا له، إلا أن دراسة وضع الرواة وعلاقتهم بالشعر وبالشعراء الذين ينقلون عنهم يجعلنا نقر باحتمالية وإمكانية التحوير والتحسين في حدود بسيطة، وهي حدود الفروقات (الطفيفة) بين اللهجات العربية، كما أن القطيعة التي افترضها البعض مثل طه حسين[(٣)] بين اللهجات العربية المختلفة ولغة القرآن ومستوى التمايز الذي افترض البعض أنه سيفسد الوزن عند محاولة التقريب قد يكون دقيقاً في حالات معينة، ولكنه قد لا يكون دقيقاً في حالة المقاربة اللهجية، فالتغيير لتجاوز اختلاف النطق قد لا يتجاوز استبدال حرف بآخر، أو ربما مفردة بأخرى لها نفس المعنى والوزن، مما قد يضطر إليه الراوي اضطراراً دون سوء نية، أو قد يبدل بعض الكلمات تلقائياً، وفي ظل ثراء اللغة العربية بالمرادفات فإن ذلك لا يفسد الوزن ولا القافية بالضرورة، كما أن العرب فيما قبل نهاية القرن الرابع الهجري ربما لم يجدوا في التبديل والنقل ما يفسد الجوهر ومن ثم كانوا يبررون تحسين النطق بما يوائم اللغة الفصحى، بل ربما رغبت القبائل في الادعاء بفصاحتها والابتعاد عن النطق المعيب حسب السائد في حينه، فتقوم بتعديل نطق بعض المفردات في قصائد شعرائها الجاهليين بما يتوافق مع مقاييس مثالية الفصاحة المتفق عليها في المجتمع المحيط، أو العرف الديني، ومن الأقوال

---

(١) مروة، حسين، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي - بيروت، ١٩٧٨م، ج١/ ص٢٦٢

(٢) مروة، حسين، مصدر سابق، ج١/ ص٢٦٣-٢٦٥

(٣) حسين، طه، في الشعر الجاهلي (الكتاب والقصة)، تقديم عبدالمنعم تليمة، رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص٩٤-١٠٤

الجميلة في هذا الخصوص ما استشهد به ثيودور نولدكة في قوله:

"وبسبب الثروة الهائلة التي تملكها اللغة العربية فكثيراً ما حدث أن استبدلت كلمات أو عبارات بكلمات أخرى أو عبارات أخرى، إما عن قصد ابتغاء تيسير الفهم، وإما عن غير قصد. وذو الرمة يشكو من أن الناس كثيراً ما أفسدوا رواية قصائده، بأن وضعوا عبارة من نفس المعنى والوزن مكان عبارة سهر الليالي في الظفر بها، ولهذا أوصى باستعمال الكتابة لتأمين المحافظة على النص[(١)]"

كما أن اختلاف الروايات والنقل بين الرواة يمكننا مشاهدته فيما وصل إلينا من قصائد الشعر الجاهلي التي رويت بصورة مختلفة بين راوٍ وآخر، دون أن يفسد الوزن، بل لعل لنا في ما وقع من اختلاف في رواية الشعر الذي قيل في عصر التدوين (العباسي) في المتن، وفي نسبته إلى راويه دلالة، فهذا ابن جني وهو من هو في علم اللغة والأدب، والذي عرف بصدقه ووقاره وبعده عن الفحش، ذُكِر بأنه كان يغير في الشعر ما يستهجن ويقبح ذكره دون أن يغير ذلك من الوزن والقافية أو يخرج عن سياق المعنى[(٢)]، ولا شك أن ابن جني الذي عاش في القرن الهجري الرابع (٣٢٢ - ٣٩٢هـ) يمثل عصره، وهو ما يجعلنا نطمئن إلى أن التغيير الطفيف في القصائد العربية كان سائداً ولكنه لم يكن في عمومه يحمل على سوء المقصد ولا الانتحال، كما أن كثرة الاختلاف في نسبة القصائد وتداخل أبياتها، واختلاف المصادر والرواة في إحالتها إلى أكثر من شاعر يجب أن لا تحمل على التشكيك في صحة الشعر الجاهلي على وجه العموم، فالأخطاء في الإحالة في تلك المرحلة التي كانت تعتمد على النقل الشفهي أمر وارد بكل تأكيد، بل هو أمر لا بد منه، ولعل لنا فيما حدث من أخطاء في عصر التدوين ذاته في إحالة القصائد إلى أكثر من مصدر معاصر مما لا نجد

---

(١) بدوي، عبدالرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١ - ١٩٧٩م، ص٢٣

(٢) ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ج١/ ص١٤

له تعليلاً إلا الخطأ المحض، ما يحملنا بالضرورة على قبول لزوم حدوثه فيما قبل التدوين بكل تأكيد، ومن أمثلة هذه الأخطاء قصيدة ابن جني التي قال فيها:

صدودك عني - ولا ذنب لي - دليل على نية فاسدة

فقد - وحياتك - مما بكيت خشيت على عيني الواحدة

ولولا مخافة ألا أراك لما كان في تركها فائدة

فقد قال ابن خلكان عنها: "وقيل: إن هذه الأبيات لأبي منصور الديلمي"[1]، ولا شك أننا أمام إحالات إلى طرفين من رجال العلم الأعلام، عاصرا عصر التدوين ولا حاجة لأيهما بهذه القصيدة أو سواها، عطفاً على ما انتجاه من علم وأدب وشعر، ما يجعلنا نستبعد سوء النية من أسباب الخطأ.

ومن كل ما تقدم فإن الأخطاء في النقل وفي الإحالة وفي المتن كلها واردة في عصر التدوين، وهو ما يشفع للمصادقة على حدوث ذلك فيما كانت تتناقله ألسن الرواة من القصائد دهراً في حين كان تطور اللغة واختلافها المرن حسب الموقع الجغرافي تأخذه في مسارها شفاهية قبل أن يدون في الكتب.

ورغم كل ما أشرنا له من محاولات التفصيح والتحسين والتقريب اللغوي المحتملة، فلا شك أن لغات القبائل العربية كانت ممثلة في قصائدهم بشكل يعيه العرب في حينه، فقد وجدنا إشارات لذلك مثل ما ذكره المفضل الضبي عن راوية الكوفة "حماد الراوية"، حين قال عنه أنه قد أفسد الشعر إفساداً لا يصلح بعده أبداً. فلما سئل عن سبب ذلك: ألحن أم أخطأ، قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب. ولكنه - أي حماد - رجل عالم بلغات العرب ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه إلى الآفاق، فتختلط أشعار

---

(١) ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ج١/ ص١٢

القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد"[1]، وبعيداً عن درجة موافقة النص للواقع، فإننا نستشف منه أن العرب كانت تميز الشعر العربي الجاهلي حسب لغة الشاعر والتي هي بالضرورة لغة بلاده أو قبيلته، لذا كان ادعاء نسبة القصيدة إلى شاعر ما يلزم معه أن الدعي ملماً بلغات العرب لتكون القصيدة مماثلة للغته، أي أن هنالك تمييز على أرض الواقع بين القصائد العربية على أساس تمايز الانتماء والذي تختلف على أساسه اللغات العربية حسب ما ورد لدى النحويين العرب، فلا يقبل أن تكون القصيدة بلسان تميم وتنسب إلى شاعر من ربيعة، أو بلسان عامر بن صعصعة وتنسب إلى شاعر من كندة، وهو اختلاف لم يطرق بابه الكثير من دارسي الأدب العربي، فرغم أن اللغويين قد فرقوا شواذ النطق حسب القبائل، فلم نجد من اتجه إلى محاولة فرز الهوية اللغوية لشعر كل قبيلة بشكل مستقل، لا من دارسي الأدب العربي المتقدمين ولا المتأخرين، وحتى ديوان الهذليين لم يحتوِ أي دراسة أو تلميح لوجود قواسم لغوية في لغة الشعراء المدرجين أو إلى لهجة هذيل كقبيلة عرفت بلهجتها الخاصة التي تطرق لخصائصها اللغويون، ومن الجميل في هذا الباب قول جواد علي:

"رأينا علماء اللغة وأهل العربية قد طرحوا أمثلة اختلاف اللغات في كتبهم، فلا قيمة لها عندهم إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم، لأنهم لم يعتبرونها اعتباراً تاريخياً، فقد عاصروا أهلها، واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تأريخها لمن بعدهم، ولو أن منهم من نصب نفسه لجمع هذه الاختلافات وإفرادها بالتدوين بعد استقصائها من لهجات العرب، وتمييز أنواعها بحسب المقاربة والمباعدة، والنظر في أنساب القبائل التي تتقارب في لهجاتها والتي تتباعد، وتعيين منازل كل طائفة من جزيرة العرب والرجوع مع تأريخها إلى عهدها أول الذي يتوارث علمه شيوخ القبيلة وأهل انسابها، لخرج من ذلك علم صحيح في تأريخ اللغة وأدوار نشاتها الاجتماعية، يرجع إليه على

---

(١) مروة، حسين، مصدر سابق، ج١/ ص٢٧٢

تطاول الأيام وتقادم الأزمنة، ولكان هذا يعد أصلاً فيما يمكن أن يسمى تاريخ آداب العرب"[1]

وهذا التمايز المفترض في اللهجات قد يكون النحل والتحسين والتبديل والمضاهاة قد أوقع أثره عليه فيما يخص الشعر، مما يتعذر معه التمييز التام، إلا أنه وبالرغم من ذلك فلا بد لو بحثنا أن نجد أثراً من معالم هذا التمايز - ولو بدرجة ما - بما يمكننا من معرفة الأثر الجغرافي على تدرج هذه اللهجات وترابطها، ومدى كونها تحمل أي دلالة من خلال تلقائيتها واحتفاظها بخصائصها دون علم اللغويين، وما إذا كان هذا التمايز يرتبط بشكل أقوى بالقبيلة كعرق، أو أنه أكثر ارتباطاً بتدرج الجغرافيا، ودرجة علاقة هذه اللهجات باللغة القرآنية، وفي العموم بالعربية فيما قبل الإسلام في بلاد العرب.

من خلال المتابعة لشعراء هذه المنطقة فقد وجدنا معالم اللهجة الحالية في سراة عسير في شعر القرون الأولى للهجرة فقد أورد أبو علي الهجري (ت ٣٠٠هـ) نقلاً عن شيخ من جرش قصيدة لأحد أبناء قبيلة عسير وهو الشاعر ثابت بن عبد الملك العريجي وكانت القصيدة تحمل بعض المصطلحات العسيرية الخاصة بلهجة سراة عسير ومنها:

"ألا أيها الريح التي نَسَمْت لنـــا ... من الأفِـق الـشامي فطَـاب نَـسيمُها
فَقَد نَسَمتْ من نحو من بَاتَ حُبه ... يـؤرّقني مـن مَـضَجعي فأَرومُهَـا
لأَغشِم هولَ الأرض بَيني وبَينَهـا ... بلَيـلٍ وفي عَـرضِ الـسماء نُجومُهَـا
فأَشفى قَلبْي من هَواهُ بلمّـــــةٍ ... فهـو هـوى نفـسي ومـا إنَّ ألومُهـا
سبَتْني بَميَّالِ القُـــرُونِ كأنـــهُ ... عناقيــدُ حــاليَّ تــروَّى كرومُهَـا
إلى كفـلٍ نابي المجَسِّ وبَطْنُهَـــا ... كأعطافِ رَيطٍ حين تبـدي عكومها
إلى قَـدَمٍ مَخْصُـــورة لاقبيحـــة ... ولمـا يُـشنِّيها بُكــوراً تُقوِمُهــا
أَروجُ الضُّحا رعبوبةٌ عذبةُ الشُعَا ... نَـشَتْ في غنـىً جَـمَّ ودامَ نعيمُهَـا

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨/ ص٥٦٤

وإنّي لَمُنْتَسِق لأرضِت تحُلُّها كُتَيمَةُ وَبْلاً بعد وَبْلِ جَميمُهَا
تكُونُ نواشِيه نَواغِش كُلهَا إلى عَبَلِ أهْضَامُها فَحزُومُهَا
على عَيْن أنْ أمسَت كُتَيْمةُ حَلَلَّتْ (ألا)[1] فسَقى الرحمنُ أرضاً تقيمها
ألا ليتَ شِعري إن أتاهَا مُخَبّرٌ ألا ثابتُ جاءٍ لنفسٍ حَميمُهَا
أمُسْبلَةٌ بالدمعِ منها كَظَنَّنَا بها أو تُعزّى نفسَها وتَلوُمُها"[2]

فهذه القصيدة تحمل دلالات لغوية وأدبية، فنحن نرى أثر اللهجة المحلية لأهل السراة في مفردات الشاعر، والتي لا زالت تميز لهجة هذه المنطقة بالذات، وهو ما يدلنا على تواتر اللهجات المحلية واستمرارها لقرون عديدة، فالقصيدة قيلت قبل عصر الهجري الذي عاش في القرن الثالث، ومن ثم فإن عمرها حالياً أكثر من ألف ومائتي عام، ومع ذلك فإننا نستطيع تحديد هويتها العسيرية من خلال لغتها ومن ذلك استخدامه لمفردات مثل: "نَسَمْت" وتعني في اللهجة المحلية: "هبت"، "حاليَّ": "عنب"، "يُشنِّيها": يجعلها كريهة، "نَشَتْ" وتعني: "تربت" (يستخدم العسيريون مفردتي "نشت" أو "وشيت" (وقد تنطق "وشت") بمعنى تربت أو نشأت، نواشِيه: النواشي هي السحب الممطرة و"ينشي" في اللهجة المحلية العسيرية أي "يمطر"، فهذه المفردات لا زالت تستخدم بتفرد في البيئة المحلية في سراة بلاد عسير - حيث عاش الشاعر - وبنفس المعاني التي حملها سياق القصيدة. واللهجة هنا واضحة المعالم، ولا تختلف عن اللغة العربية الفصحى المحكية إلا من خلال حضور بعض المفردات الخاصة بهذه المنطقة، وإذا علمنا أن الهجري كان من سكان مكة والمدينة المنورة وكان يلتقي هنالك بالحجاج والمعتمرين والزوار فيأخذ منهم رواياتهم عن شعرائهم، فإن القصيدة هنا والتي انفرد الهجري بروايتها تعدّ

---

(١) وردت فراغ في الكتاب المصدر، والإضافة مقترحة من المحقق الشيخ حمد الجاسر في الهامش ليستقيم الوزن والمعنى

(٢) الهجري، أبوعلي هارون بن زكريا، التعليقاتوالنوادر، تحقيق حمد الجاسر، ب د ن، ط١، ١٤١٣هـ، القسم الثاني، ص٥٥٠

أكثر تلقائية (أي أقوى ارتباطاً بالنص الأساسي)، وبالتالي يفترض أنها أكثر نقاءً من حيث صحة المفردات واللغة من تلك التي نقلت إلى الكوفة والبصرة فتعرضت للتحريف والتقويم على أيدي الرواة والنحاة إلى أن خرجت بما هي عليه، وهذه الفصاحة في القصيدة موافقة لما ورد عن فصاحة أهل السراة وسلامة لغتهم بالمفهوم السائد.

اللغة (اللهجة) التهامية والشعر الجاهلي.. اتساع أم امتناع

حيث أن الأمر في لغة (لهجة) أهالي تهامة ليس بنفس الدرجة من التشابه مع لغة (لهجة) أهل السراة، التي أوردنا مثالاً عليها، كما أنه لا يوجد بين أيدينا نصوص تهامية من بيئة تهامة عسير الجبلية في تلك المرحلة بنفس التلقائية، وهو ما جعل بعض الباحثين من أبناء تلك الجهة في هذا العصر يبالغ في الحديث عن اختلاف اللهجة التهامية وبعدها عن العربية الفصحى (القرآنية) وتقريبها إلى اللغة الحميرية القديمة[1]، ونحن وإن كنا نقر بأن اللهجة التهامية الجبلية لها خصوصيتها بانفرادها بلحنها واختصاراتها ونمطها الخاص، إلا أنني لا أرى وجهاً لمقاربتها باللغة الحميرية، فاللغة السبئية الحميرية لغة أخرى مختلفة تماماً عن ما نسمعه اليوم في تهامة، و"إم" التعريف التي وصفها النحاة بـ"الطمطمائية الحميرية"، لا يمكننا بعد التواصل مع الأجزاء اليمنية، وبعد معاينة وسماع اللغات المتبقية من السبئية والحميرية في اليمن كلغة المهرة، والصدف، وبعد الاطلاع على قراءات النقوش التي أظهرت مدى ابتعاد قواعد اللغة ومنها أدوات التعريف الحميرية كثيراً عن تلك في العربية أن نصفها بأكثر من "إم التهامية" فهي طارئة في حمير ولا تتصل بلغتها الأصلية.

واللهجة التهامية الجبلية التي نتحدث عنها هنا هي لهجة عربية الألفاظ والقواعد إلا أن لحن وطريقة الكلام ومخارج الحروف هي المختلفة، فعندما يقول لك رجل في تهامة

---

(١) الألمعي، إبراهيم طالع، من قيم الشعر الشعبي في عسير عبدالله بر عامر - ابر بدَّة - أنموذجاً، منشورات دار الشريف للاعلام والنشر، ط١ - ٢٠١١م، ص٩١-١٠٩

عسير "متَّ ميد" فإن الجملة اختصار لفظي لقوله "ما انت ميد" بمعنى ماذا تريد، ومفردة "ميد" تستخدم في تهامة وما يليها من جبال الحجاز في بلاد عسير بمعنى "تريد"، وهي لفظة غير معجمية، ولكنها رغم ذلك تحمل معنى مشابه لذلك في كل أنحاء الجزيرة حيث يقال في بقية الأنحاء "قال ميدي" أي "قال لي"، "من هو ميده؟" بمعنى "من يقصد، وعندما يقول أحد أهالي تهامة أن اسمه "حسا بر علي" فهو "حسن بن علي"، والأمر لا يتجاوز اختصار النطق بطريقة خاصة، وإبدال بعض الأحرف، وإلا فالجمل هي ذاتها، والألفاظ المستعملة نفس الألفاظ، وصياغة الجمل هو ذاته، ولا اختلاف عن اللغة العربية الفصحى إلا في بعض المفردات التي تختص بها لهجة هذه المنطقة كما هو حال غيرها من اللهجات، فالإمالة، والكشكشة، وإبدال الجيم ياء، والاستنطاء، وسواها من طرق النطق الخاصة، لا تختلف فيها اللهجة في تهامة عن بقية اللهجات في الجزيرة العربية، وإن كان من المهم التنبيه مرة أخرى إلى أن بقية اللهجات في الجزيرة العربية لها صفة التشابه عندما تقارن باللهجة التهامية ذات الصفة الخاصة، ويمتد هذا الاختلاف حتى داخل القبائل التي لها امتداد في تهامة والسراة، فاللهجة مثلاً في وادي بن هشبل أو خيبر (في بلاد شهران) أو طريب أو العرين (في بلاد قحطان) أو جرشا أو قرين (في بلاد عسير) تختلف بشكل كبير عن لهجة أهالي تهامة شهران وقحطان وعسير المجاورة لهذه المناطق والذين ينتمون لنفس القبائل، بينما لا تختلف كثيراً عن بعضها ولا عن لهجة البادية في باقي أنحاء الجزيرة العربية إلا بدرجة بسيطة.

ورغم ما ذكرناه من اختلاف اللهجة التهامية عن بقية اللهجات، ومن كون هذه اللهجة أقل قرباً إلى الفصحى في طريقة نطقها ولحنها، إلا أن درجة هذا الاختلاف في قواعدها ومفرداتها لا تبتعد عن درجة اختلاف اللهجات العامة في الجزيرة العربية المحكية حالياً عن الفصحى، بل إن هنالك ألفاظاً عربية اندثرت ولم يعد لها وجود في اللهجات المحكية إلا في تهامة الجبلية، وهنا فإنه في حال اعتبرنا أن اللهجة التهامية الحالية هي ذاتها المحكية في العصر الجاهلي السابق للإسلام وما بعده إلى وقتنا الحالي فإن هذه

الفرضية لا تمنع أن تكون قصائد الشعراء في تهامة قد قيلت في وقت مبكر أصلاً باللهجة التهامية، ولكن تم تحويرها من قبل الرواة مع تطور وتغير اللهجة حسب الزمن وجغرافيا الترحال إلى أن انتهت إلى الصورة التي ظهرت بها جميع القصائد العربية في عصر التدوين لتوائم المعايير السائدة للفصاحة في البصرة والكوفة وبغداد، وكان هذا حال الكثير من القصائد التي قيلت بلهجات غير الفصحى المتفق عليها كما أسلفنا، وليس في الأمر غرابة، فهنالك العديد من الأمثلة على ذلك، ولنبدأ بأرجوزة الشاعر رشيد بن رميض العنزي، والتي تكاد تحمل سمات أقدم ما بين أيدينا من أنماط شعر العرب[1]، ومنها:

النص حسب المدون بالفصحى	النص المفترض باللهجة التهامية
هذا زمان الشد فاشتدي زيم	هذا زمان امشد فاشتدي زيم
باتوا نيـاماً وابن هند لم ينم	باتوا نيـاماً وابر هند لم ينم
بـات يقاسيها غلام كالـزلم	بـات يقاسيها غلام كامـزلم
خدلج الساقين خفاق القدم	خدلج امساقين خفاق امقدم
قد لفها الليل لسواق حطم	قد لفها امليل لسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم	ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر الوضم	ولا بجزار على ظهر اموضم
من يلقني يود كما أودت إرم[2]	من يلقني يود كما أودت إرم

(١) يقال أن ربيعة هي من ابتدعت الشعر العربي حسب رأي الأخباريين، وهو ما لم يعارض في صحته أحد من بقية العرب - ولعل لغة ونظام هذه الأرجوزة تمثل شاهداً على ترجيح صحة المقولة.

(٢) الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، شرح ديوان الحماسة "أبو تمام"، عالم الكتب بيروت، ج١ / ص١٨٤ - ١٨٥

كما نرى فإن الأبيات يمكن أن ننشدها باللهجة العربية التهامية دون أن يحدث خلل في وزنها.

وبين أيدينا أرجوزة أخرى لشاعر من وادي حلي في بلاد تهامة، حيث اللهجة التهامية الجبلية محكية في هذا الوادي إلى وقتنا هذا، ما يدل على أنها إما أن تكون قيلت أساساً باللغة العربية الفصحى المعروفة، أو أنها حورت من اللهجة التهامية لتلائم اللغة الفصحى، وفي كلتا الحالتين فإننا أمام شهادة على قصيدة صدرت من نفس البيئة، ونقلت إلينا بلغة القرآن، وهي حالة ينسحب أمرها على شعر شعراء ربيعة لو أنهم قالوا قصائدهم باللهجة التهامية دون أدنى شك، وقد وردت في المصادر ضمن التعريف باسم الشاعر "رشيد بن رميض"، وهي بالمناسبة شبيهة بأرجوزة رشيد بن رميض السابقة في الوزن والغرض واللغة حتى لتكاد تكون لنفس الشاعر وتقول:

النص حسب المدون بالفصحى	النص باللهجة التهامية
ظلت وظل يومها جوب حلي	ظلت وظل يومها جوب حلي
وظل يوم لأبي الهجنجل	وظل يوم لأبي امهجنجل
ضاحي المقيل دائم التبذل	ضاحي امقيل دايم امتبذل
بين العمودين على مبذل	بين امعمودين على مبذل
أرمض من تحت وأضحى من عل[1]	أرمض من حدرا وأضحى من عل

وكما نرى.. فإن الأرجوزتين أعلاه لم يتغير وزن أيهما وظلتا بنفس جمالية الإيقاع والمعنى، وهي بالمناسبة على بحر "الرجز" والذي لا زالت تدور عليه الكثير من ألحان قصائد اللون الشعبي الأشهر في بلاد عسير الغربية وتهامة عسير - حيث وادي حلي وما

(١) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالخطيب، شرح ديوان أشعار الحماسة التي اختارها من أشعار العرب العرباء أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، نفس المصدر السابق، ص١٨٤

حوله - وهو لون "الدمة" وهو على بحر "الرجز" وزن "المنسجم"، ومنه قول الشاعر:

بديت ربي قبل ما يُجَوِّبْ مُجيبنا   سلام ونحيِّي على من صــال قبلنــا

تحيَّة التقدير يا بكر بن وايلِ

حنَّا لكم دون القبايل يا رفيقنا   وفي العزاوي سعد من هو يعتزي بنا

والمال يفنى ما يدوم الا الجمايل(١)

وبإمكان القائل في كل الحالات أن يكسر المفردات ويميلها على الطريقة التهامية، بل ربما أمكن الناقل استبدال بعض المفردات أو الجمل دون أن يمس الوزن، وتظل تحمل نفس السمات الشعرية، ومن هنا فما الذي يمنع أن تكون هذه القصائد قيلت باللهجة التهامية الجبلية المعروفة حالياً، ولم يكن دور الناقل فيها إلا تعديل طفيف لكي تلائم الفصاحة العربية السائدة في البصرة والكوفة، ولكي يفهم الناس حيث هم زماناً ومكاناً مفرداتها، فتأخذ القصيدة مكانتها في القصائد الفصحى المتعارف عليها والمعترف بها (منذ نزول القرآن بها)، خاصةً وأن هذه اللغة التي يتحدث بها أهل تهامة كانت أوسع انتشاراً في العصور المتقدمة مما هي الآن كما يشي نص النمارة المذكور، ونقوش قرية الفاو (بين وادي الدواسر ونجران)، وبعض القصائد لشعراء طي كما جاء معنا، والأمر ينطبق على معظم اللهجات والقصائد.

---

(١) نقلاً عن: https://www. youtube. com/watch?v=vLXDvJGiWuw

المبحث الثاني

عنز بن وائل
عبر التاريخ

الفصل الأول

الوضع العام لبلاد عنز بن وائل وحاضرتها جرش

(١) لمحة عن جرش (حاضرة عنز بن وائل) في العصور القديمة

عرفت منطقة عسير على وجه العموم في العصر الجاهلي وما بعده حتى نهاية القرن الهجري الخامس باسم "جرش" نسبة إلى حاضرتها القديمة، وهي من بلاد عنز بن وائل[(١)]، وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة أبها بمسافة حوالي ٢٧كم، وكانت جرش حسب قراءة النقوش والأخبار الأولى عنها مملكة مستقلة، يمتد نفوذها على مساحة واسعة من البلاد، فقد كان أمراؤها يهيمنون على سواحل البحر الأحمر المقابلة لهم، حيث ذكر في نصٍ أن النبي ﷺ ولى سعيد بن القشب "على جرش وبحرها"[(٢)]، مما يعني ارتباط السواحل الموالية لها بها تاريخياً، وهو ما قد يسوق إلى وجود ميناء خاص بها تتعامل مع العالم الخارجي اقتصاديا من خلاله، ولعل ذلك يفسر لنا سبب تقدم هذه المدينة (الداخلية) عن مجاوريها من مدن الجزيرة العربية واشتهارها في مجال الصناعات الحربية والصناعات الغذائية والإنتاج الحيواني، واشتهارها في التجارة، كما أنه يعد مؤشراً على امتداد نفوذ مملكة جرش على مساحات كبيرة من الأراضي في السراة وتهامة.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص٢٢٩

(٢) العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٤٨

ومما يدل على اتساع نفوذ مملكة جرش في العهد القديم أيضاً أن الهمداني قد أوردها في "صفة جزيرة العرب" تحت عنوان (جرش وأحوازها)، وقد ربط بها مساحة كبيرة وعدد كبير من القرى والمدن، امتداداً إلى شمالي بلاد الحجر وإلى أقصى بلاد جنب جنوباً[١]، وقد أفردها عن المخاليف اليمنية، فقد ذكر حدود اليمن فأخرج جرش عنها، ورغم خطئه في تعيين الحدود ومخالفته لسواه، إلا أننا نجده ورغم عصبيته اليمنية قد اعتبر أنهار جرش - والتي تمتد جنوبها - هي حد اليمن من الشمال، مما يوحي بالمحاذرة من ضم جرش إلى اليمن، مما يدل على شهرة استقلاليتها التاريخية.

ويؤكد هذه الاستقلالية ما تواتر في المصادر التاريخية من أن النبي ﷺ قد وضع "طلحة الملك" حداً بين الحجاز واليمن[٢]، وهو ما يحمل المزيد من التأكيد على استقلال جرش باحوازها منذ ما قبل الإسلام عن اليمن وممالكها.

وقد جاء لدى بعض الباحثين ذكر لجرش في بعض النقوش في الجزيرة العربية، فقد ورد ذكر لبعض حروبها مع المناطق الأخرى في النقوش اليمنية حيث ورد في النص (Res 4138)، ما يمكن أن يقرأ نصه بأن أهل جرش[٣] بقيادة ملكهم "عبدعثتر بن جدنم" قد

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، المصدر السابق، ص٢٢٩ -٢٣٥

(٢) انظر:

- البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٨٢
- ابن خرداذبة، أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله، المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨٩م، ص١٣٥، ١٣٧

(٣) ورد النص منقطع (ممسوح) بعد أحرف ج ر ش، ومن ثم فصحة قراءة النص تظل محل المزيد من الاستقراء حتى يدعم بسواه خاصةً وأن النص هو الوحيد الذي أشار إلى جرش، وأنه لا يحمل أي دلائل على جرش أو أي قراها أو قبائلها المعروفة سوى الثلاثة أحرف التي انقطع النص عندها كما اوردنا.

غزوا مدينة "نعض" وانتصروا عليهم وحصلوا على غنائم ومال وفير[1]، وإن كانت الثقة في القراءة هنا متدنية لعدم اكتمال النص اذ انقطع بعد ورود (ج ر ش) وهو ما فسره الكاتب بأنه يعني جرش، بينما لا دلالة واحدة على وجود أي مما يرتبط بجرش من المواقع والقبائل في هذا النص خلا هذه الأحرف الثلاثة التي لا نعلم ما هي تتمتها في النص التالف.

ويشير بعض الباحثين إلى أن هذه المملكة كانت لها قوة قتالية معتبرة جعلت الملك اليمني شمر يهرعش يتحالف مع ملكها "مالك بن الكلاع" في غزوه لبلاد الفرس، كما يذكر الباحث اليمني أحمد حسين شرف الدين، ومنه قوله:

"جرش... مدينة تجارية على طريق نجران - الطائف - مكة تضم عدداً من مصانع النسيج ودبغ الجلود واشتهر فيها من ملوك الأزد مالك بن الكلاع ملك الأزد. وكان معاصراً للملك السبئي شمر يرعش (٢٧٥ - ٣٠٠م)، وقد ذكره في نقشه الذي عثرت عليه عام ١٣٧٧هـ بمأرب، كواحد ممن التقى بهم وتضامن معهم في محاربة الفرس الذين يذكر في النقش أنه غزاهم في عقر دارهم وهاجم كوك، وقط، وصف، بمملكتي فارس"[2]

ورغم ما ذكره الباحث هنا عن خبر اطلاعه على هذا النقش الذي يشير إلى الملك "مالك بن الكلاع" في جرش، وإلماحه إلى إيراده لذلك في مؤلفه (كما يقول)، إلا أننا لم نجد خبر هذا النقش في الطبعات اللاحقة من كتابه الذي أحال إليه، كما أن نصاً يعني بحملة شمر يهرعش على بلاد قط، وصف، وكوك، بمملكة الفرس، وهو النص (Sh 31)[3] قد نشر حرفياً في مصدر آخر، ولم يرد فيه إشارة إلى جرش ولا إلى الملك مالك بن الكلاع ولا إلى الأزد، علماً بأن جواد علي أشار إلى نفس النص - الذي أشار له شرف الدين - وأطلق عليه اسم:

---

(١) العتيبي، محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، وزارة اتربية والتعليم - وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٦٦ - ٦٨

(٢) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٦٨

(٣) العتيبي، المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٣

"شرف الدين ٤٢" (على اسم المؤلف)، وأشار إلى أن الحملة بمشاركة بعض الأعراب (ولم يسمهم)[(١)]، ثم عاد لينقل عن النص بقوله: "وقد ورد فيه أن الملك (شمر يهرعش) أمر قواته بغزو أرض (ملك) (مالك) ملك (أسد). فتقدمت نحوها، واتجهت منها نحو أرض (قطوف)، أي القطيف، حتى بلغت موضع (كوكبن) (كوكبان) (كوكب) ثم (ملك فارس وأرض تنخ) (ملك الفرس) أي (الأرض التابعة للفرس) وأرض تنوخ"[(٢)] انتهى.

ونلاحظ أن جواد لم يورد اسم مالك بن الكلاع ولا اسم جرش ولا الأزد، وإن كان هنالك مقاربة بين (أسد) و(الأزد) عند بعضهم، إلا أنه لم يرد في النص مسمى الأزد كما هو، ولم يأت في النص باسم جرش.

ولا شك لدينا أن الباحث قد وجد نقشاً قرأ فيه اسم مقارب لاسم "مالك" كما يظهر من قراءة جواد علي، وأسماء قريبة من جرش والأزد، وقد تصح المقاربة وقد لا تصح، ولكن الملاحظ أن الإشارة إلى الأزد جاءت استرسالاً في السرد عن جرش، كما لم ترد جرش ولا الأزد ضمن النص في المصادر الأخرى[(٣)]، فلعلها كانت من افتراضيات الباحث في سرد خبر النقش في كتابه، أو لعل ربط النص بـ"جرش" كان اجتهاداً من الباحث اعتماداً على مقاربته (أسد) الواردة في النص مع (الأزد)، ومع ما ورد في الحديث عن خبر الصرد بن عبدالله الأزدي في جرش، خاصة وأن الإشارة إلى الأزد وإلى جرش لم نجدها واردةً في النقوش اليمنية بالوضوح المطابق لما ورد في المدونات الإسلامية حتى الآن، كما لم نجد ما يربط الأزد بجرش، وكل ما ورد مقارباً للمفردة هو ذكر غزو "الشرح يحضب" لـ"الحارث" ملك "أسدن" في نجران[(٤)]، وما ورد في هذا النص او سواه حول

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ٥٥٠-٥٥٢

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ٥٥٢

(٣) العتيبي، المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٣

(٤) العتيبي، د. محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ، وزارة اتربية والتعليم - وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٩١

(أسدن)، وقد ذهب بافقيه أنهم الأزد، وقد يصح وجود للأزد في نجران، ودخولهم في إطار حملات الملك السبئي على القبائل المجاورة، ولكن الإشارة لبني أسد تكررت في أكثر من مصدر وبخطوط غير المسند، ولم يورد أيها الأزد، ففي نقش النمارة (النبطي) وردت إشارة لقبيلة (الأسدين) في نفس الموقع، ورأى شوقي ضيف أنهم (بنو أسد)(1)، كما أن مفردة (أسدن) في اللغة السبئية تعني "المحارب" أو "المحاربين" أو "الجنود"، وهو ما يتيح أكثر من تفسير للمسمى الوارد في النقش اليمني، مما يعيد الثقة في صحة القراءة إلى درجة أقل.

وجاء في بعض المصادر نقلاً عن النقوش المصرية وكتب التاريخ أن عسير كانت تصدر خشب العرعر إلى المصريين القدماء، يقول كمال الصليبي:

"وبين أشياء أخرى، كان المصريون مهتمين أيضاً بتأمين خشب العرعر من عسير (وليس من أرز لبنان) كمادة للبناء ولتعمير السفن"(2).

هذه الفرضية، لو صحت، فإنها تعني أنه كان هنالك درجة من التواصل في العصور القديمة بين العسيريين (أهل السراة) والمصريين، وهذا يسوق إلى أنه كان هنالك تداخل وأدوار أكثر مما نعرف، وقد نتمكن من معرفتها من خلال المزيد من التعمق في دراسة تاريخ منطقة عسير، ولعل المزيد من الدراسة في هذا الخصوص قد تكشف لنا حقيقة رواية العرب عن غزو قبائل "عاد" لمصر بقيادة "شداد بن بداد بن هداد" العادي(3)، وحقيقة ما ورد عن غزو العماليق لمصر في مصادر متفرقة، وهل فعلاً هنالك حقيقة لهذه الروايات، أم أنها مستمدة من خبر غزو الهكسوس لمصر الوارد في المصادر المصرية واليهودية والرومانية.

---

(1) ضيف، شوقي، تاريخ الادب العربي (١ العصر الجاهلي)

(2) الصليبي، كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، حاشية سفلية (١٤)، ص٣٨

(3) ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، ج٢/ ص١٩ - ٢٠

وتشير بعض المصادر إلى أن العسيريين قد شاركوا في مواجهة حملة إليوس غاليوس الرومانية على الجزيرة العربية التي مرت بالمنطقة في القرن الثاني للميلاد(١) والتي هزمت هزيمة نكراء(٢)، فقد ورد خبر دور استثنائي لهم في هذه المعركة، حيث أبدوا مقاومة شرسة (حسب رواية المصدر)(٣):

"يقول جكي بوركهارت: إنهم وجدوا في موقعة بيصال (بسل) كثيرين من قتلى العسيريين وقد ربط كل منهم رجله إلى رجل صاحبه كي لا يفروا وكانوا قد تعاقدوا على ذلك وحلفوا عليه بالطلاق فلم يحنثوا وروي عن أسلافهم مثل ذلك أثناء الحملة الرومانية التي وجهها الامبراطور طرايانس الروماني حوالي ١٠٥ بعد المسيح لفتح البلاد العربية. "(٤)

ونحن لم نجد في رواية "سترابون" ولا رواية "بيلينيوس" التي نقلها جواد علي(٥) عن أخبار هذه الحملة ما يشير إلى لفظة "عسير"، إلا أن هنالك مدن ومواقع فسرت من قبل بعض الباحثين على أنها في عسير، مثل موقع "الآبار السبع"، ولعله موقع الحفائر

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٧

(٢) لا يوجد لدينا الكثير من المصادر حول تفاصيل هذه المعركة سوى بعض ما ورد من أخبار مقتضبة في كتابات بعض المؤرخين الرومان والمصريين والتي تشير إلى نزول هذه الحملة في سواحل "لويكة كومة" (ينبع) على البحر لأحمر، تحرك امتداد الحملة إلى ما بعد نجران ثم عودتها بعد خوضها عددا من الحروب دون أن تحقق المطلوب، انظر جواد علي، المفصل... ، ج٢، ص٤٦ - ٥٧

(٣) انظر كتاب "الخليج والجزيرة العربية في مجلة المقتطف المصرية"، إعداد ودراسة طارق نافع الحمداني، ومي فاضل الربيعي، بيت الوراق للنشر - بغداد، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٤

(٤) الحمداني، طارق نافع، والربيعي، مي فاضل، الخليج والجزيرة العربية في مجلة المقتطف المصرية، بيت الوراق للنشر - بغداد، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٤

(٥) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٤٤-٥٩

شرقي مدينة خميس مشيط الذي يروي العامة عنه بعض الأساطير، علماً بأن الروايتين غامضتان جداً، ولا تدليان بمعلومات كافية حول أسماء المدن والمواقع التي مرت بها الحملة بشكل واضح، ولا حتى عن الأحداث بشكل وافي، فلعل الخبر أعلاه قام على مثل هذا التفسير.

كما أن هنالك خبر آخر هام ورد عن إحدى غزوات الملك اليمني شمر يهرعش، حيث ورد في النص المعروف بـ (Jamme 658) أن جيشاً أرسله "شمر يهرعش" ملك سبأ وذي ريدان إلى الشمال، فغزا "سنحان" في "وادي دفأ"، وغزا "سهرت" وشن حملة على شعوب "بني الحكم" و"جديلة" ثم اتجه إلى "بيش" إلى أن خاض حرباً مع القائد "نشدال" (نشد ايل) في "عتود"[١]، ويرى بعض الباحثين أن هذا الرجل الذي حاربه القائد السبئي هو قائد عربي شمالي، وهو من قواد جيش (امرئ القيس)[٢]

وهذا النص واضح ومرتبط بالمنطقة بشكل جلي، ويدل على حراك عسكري هام في هذه المنطقة، وعلى حدوث مواجهات مع ملوك سبأ، إذ "وادي عتود" المذكور في النص، والذي حدثت به المعركة بين الطرفين هو أحد الأودية التي تقع ضمن الإطار العام لجرش وأحوازها، وهو ما يدل على حالة مواجهة مع المملكة السبئية وانقطاع الوضع السياسي في جرش عنها.

كما ورد أن الملك "الشرح يحضب" - ملك سبأ وذو ريدان - قد حارب "نزار" ضمن من حاربهم عندما اتجه شمالاً إلى نجران وما حولها حيث يذكر النص أنه حارب بنو أسد وغسان ونزار ومذحج[٣].

---

(١) العتيبي، المصدر السابق، ص٢٨٤-٢٨٧

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٥٠

(٣) بافقيه، محمد عبدالقادر، ك روبان، من نقوش محرم بلقيس"، ريدان - حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، عدد١، ص٤١ (عنان ٧٥)

وهي مجموعة من الشعوب التي كانت تقيم ما بين جرش، ونجران، والفاو (القرية) (كهلن) وتثليث.

ولا شك أن جرش كانت مدينة ذات مكانة عالية، يدل على ذلك حرص الجغرافيين العرب على ذكرها كمدينة مركزية عند ذكر طرق الحجاج، وتقدير المسافة بينها وبين القرى التي تقترب منها على طريق الحج، فهي ترد ضمن الوصف رغم عدم مرور الطريق من خلالها فيما قبل القرن السادس للهجرة، حيث نجد أن الهمداني في القرن الرابع أثناء وصفه لطريق الحج عند ذكر كتنة يقول: "وكتنة أول حد الحجاز وعرضها سبعة عشر جزءاً وسدس ونصف العشر، وعرضها وعرض جرش واحد لأنها منها على خط طول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم"[(١)]، ومن ذلك أيضاً ذكر ابن خرداذبة لها عند وصفه لطريق الحج ومروره بسروم راح حيث قال: "ثم إلى سروم راح، قرية عظيمة فيها عيون وكروم، وجرش منها على ثمانية أميال"[(٢)]

ولا شك أن هذا الذكر يدل على أهميتها ومركزيتها في المنطقة، إذ لم يكن هنالك إشارات ومقاربات مع المدن الأخرى خارج طريق الحج إلا مع صنعاء وجرش بالنسبة للهمداني ومع مكة وجرش بالنسبة لابن خرداذبة.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٢

(٢) ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله، المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨١م، ص١٣٤

(٢) الدين في بلاد عنز بن وائل (جرش) قبل الإسلام

من خلال الأخبار الواردة في المصادر المتفرقة، فمن الواضح أن بلاد جرش كانت تنتشر فيها قبل الإسلام عدة ديانات.

فقد كانت تنتشر فيها الوثنية إلى جانب النصرانية، واليهودية، حيث اشتهر بعض أهل جرش قبل الإسلام بعبادتهم للصنم "يغوث" الذي ورد اسمه في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا ويغوث ويعوق ونسراً"[(١)] ويروي ياقوت أن يغوث كان أحد أصنام قوم نوح الخمسة (المذكورة في الآية)، أخذها عمرو بن لحي من ساحل جدة وفرقها فيمن أجابه من العرب إلى عبادتها، فكان ممن أجابه إلى عبادتها مذحج، فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث وكان باكمة باليمن يقال لها "مذحج" يعبده مذحج ومن والاها، ولم يزل في هذا البطن من مراد "أنعم" و"أعلى" إلى أن اجتمعت أشراف مراد وقالوا: ما بال إلهنا لا يكون عند أعزائنا وأشرافنا وذوي العدد منا !، وأرادوا أن ينتزعوه من أعلى وأنعم ويضعوه في أشرافهم، فبلغ ذلك من أمرهم إلى أعلى وأنعم، فحملوا يغوث وهربوا به حتى وضعوه في بني الحارث، ووافق مراداً أعداء الحارث بن كعب، وكانت مراد من أشد العرب، فأنفذوا إلى بني الحارث يلتمسون رد يغوث إليهم ويطالبونهم بدمائهم عليهم، فجمعت بنو الحارث واستنجدت قبائل همدان، وكانت بينهم وقعة الرزم في نفس يوم غزوة بدر، فهزمت بنو الحارث مراداً هزيمة قبيحة، وبقي يغوث في بني الحارث، والمشهور أن الأكمة اسمها مذحج لأنهم ولدوا عندها فسموا بها، والله أعلم، وقاتل بني أنعم عليه بنو غطيف فهربوا به إلى نجران فأقروه عند بني النار من الضباب من بني الحارث فاجتمعوا عليه، قاله ابن حبيب، وقال أبو المنذر:

---

(١) القرآن الكريم، سورة نوح، الآية ٢٣

"واتخذت مذحج وأهل جرش يغوث"[١]، ومراد حسب الإشارات التاريخية كانت تقطن في "حبونا" وما حواليها من بلاد جنب وسواها المصالية لبلاد عنز بن وائل بجرش ونواحيها، ومن ثم فالراجح أن بعض أهل جرش (من عنز بن وائل) قد عبدوا يغوث كما يشير أبو المنذر.

كما أن النصرانية واليهودية كانت من ديانات أهل جرش، فقد ورد أن النبي ﷺ عندما وفد إليه أهل جرش وتبالة مسلمين "جعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين"[٢]، وهو ما يدل على وجود معروف وظاهر لأهل الكتاب في جرش، كما ورد أن نصراني من أهل جرش ورد إلى النبي ﷺ... " إلى آخر الحديث[٣]، وهو ما يعني استفاضة وجود النصارى في جرش، واشتهار ذلك، بالإضافة

---

(١) الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر - بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٥/ ص٤٣٩

(٢) البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر ابني أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٧٩ ؛ وانظر أيضاً: البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٢٦٩

(٣) انظر:

- البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٧/ ص٣٦٥ حديث رقم (٧٠٤١)
- الشافعي، الإمام الحافظ نور الدين علي بن سليمان ابن أبي بكر الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق دكتور حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، مج٢/ ص٨١١
- ابن حجر العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق قاسم بن صالح القاسم، ، دار العاصمة + دار الغيث - الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١٣/ ص٧١٨ حديث رقم (٣٣٠٧)

لليهود الذين ورد وجودهم في ترج (المجاورة لجرش) في القرن الهجري الخامس حيث أشارت وثيقة ابن ميمون إلى وجودهم كمجموعة معروفة في ترج في تلك المرحلة[1]، ولا شك لدينا أن هنالك نصارى من عنز بن وائل حيث عرف أن الكثير من أبناء عمومتهم من بكر وتغلب كانوا من معتنقي النصرانية، ومن البديهي أن عنزاً الذين كانت النصرانية منتشرة في حاضرتهم "جرش" لن يكونون استثناءً عن حاضرتهم، وعن ما كان عليه أبناء عمومتهم الذين كانوا يجاورونهم في المسكن (بكر بن وائل وتغلب).

---

(١) فياض، نبيل، بحث مترجم عن الموسوعة اليهودية، عن نص حصل عليه الباحث من جامعة لايبتسغ الألمانية، انظر موقع نبيل فياض على الشبكة

(٣) النشاط التجاري والصناعي في (جرش) حاضرة بلاد عنز بن وائل قبل الإسلام

كانت جرش في العصر الجاهلي واحدة من أهم الحواضر في الجزيرة العربية، وأكثرها عماراً وتجارة وصناعة وتحضراً، حيث نجد في التاريخ القديم ما يدل على تميز هذه الحاضرة عن سواها من الحواضر، حيث اشتهرت بتجارة الأديم والإبل، وبالصناعات الحربية بأنواعها، فقد ورد في السيرة أن الرسول ﷺ قد أوفد عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش لتعلم عمل المنجنيق والعرادات لنصبها قبل حصار الطائف، وكان قد فعل مثله أهل الطائف[١]، كما اشتهرت جرش بالأديم[٢]، كما اشتهرت بالإبل الجرشية[٣] التي كان يضرب بها المثل يقول لبيد:

بكرت به جرشية مقطورة	تروي المحاجر بازل علكوم[٤]

ويقول بشر بن أبي خازم:

تحدر غرب الماء عن جرشية	على جربة تعلو الديار غروبها[٥]

ويبدو أيضاً أن أهل جرش قد تميزوا في صناعة الخمر قبل تحريمه بعد ظهور الإسلام، فقد ورد أن النبي ﷺ كتب إلى أهل جرش ينهاهم عن خلط التمر والزبيب[٦]، واختصاص النهي باهل جرش يدل على شهرتهم في هذا المضمار.

---

(١) الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، ج٢/ ٢٣٤

(٢) الزبيدي، مرتضى، تاج العرس، ج١٧/ ص١٠١

(٣) ١ - الفيروزبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ج٢/ ٢٦٥

٢ - ابن منظور، لسان العرب، ج٦ / ص٢٧٢

(٤) كتاب العين ج٢، ١٤٧

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم، ص١٤

(٦) مسلم، صحيح مسلم، ص١٩٩٠

وقد جاء في بعض الأحاديث أن خديجة استأجرت النبي ﷺ سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص[١]، وعلى ما فيه، إلا أن تواتُرُ رواية الحديث في تلك المرحلة يعتبر مؤشراً على المستفيض عن ما كانت تحمله جرش[٢] من أهمية تجارية في العصر الجاهلي، حيث كانت تضرب لها أكباد الإبل من قبل التجار في كل أنحاء الجزيرة العربية.

---

(١) انظر:

- إبن القيم، ، زاد المعاد، ج١/ ص١٥٥
- إبن القيسراني، ، ذخيرة الحفاظ، ج٢/ ص٦٣٧

(٢) جرش المعنية في هذا النص لدينا أنها جرش الواقعة في الجزيرة العربية في منطقة عسير، وليست جرش الشامية، إذ أن رحلات التجارة إلى الشام لم تكن مقصدها جرش بذاتها، فلم تعرف جرش الشامية كمدينة تجارية ذات شهرة في تلك المرحلة، فقد انقطعت أهميتها منذ غزاها الفرس ودمروها، إلى أن بنيت في العهد الأموي، كما أنه كان هنالك مدن مجاورة لجرش في الشام ذات أهمية تجارية كبيرة في عصر ما قبل الإسلام، مثل المربد، وأذرعات (درعا)، ودير أيوب، وتدمر، وجلق (دمشق)، والقدس، وغزة، لذا يستبعد إلى حد ما تخصيص جرش الشامية برحلات التجارة دون مجاوريها، فقد كان التجار يرحلون في تجارتهم إلى الشام، وفي المقابل فقد كانت جرش منطقة عسير من أهم المدن التجارية، إذ كانت تتميز عن سواها في الجزيرة العربية بتجارة الإبل، والزبيب، والعنب، والنسيج، والأدم، والخمر، والصناعات الحربية، وغير ذلك، ومن ثم فإن من الطبيعي أن يتجه التجار إليها بشكل خاص عن مجاوريها، كما حدث في حصار الطائف عندما أوفد الطرفان (المسلمين، وأهل الطائف) من يبتاع لهما أسلحة لدك الحصون ولفك الحصار من جرش بالذات.

الفصل الثاني

دخول الإسلام والمشاركة في الفتوحات الإسلامية

(١) إسلام أهل جرش (حاضرة بلاد عنز بن وائل)

وردت العديد من الروايات حول دخول منطقة الحجاز (السروات) وغيرها في الإسلام في كتب المغازي كقصة صرد بن عبدالله في جرش، ونلاحظ أن بعض هذه الروايات تتحدث عن حروب ومواجهات بعيدة عن المدينة المنورة، وعن إشراف النبي ﷺ، ولا أي صحابته، بل هي بقيادة أسماء مجهولة لا ذكر لها في كتب الحديث ولا السيرة إلا في هذه الروايات، فرواية حصار جرش بقيادة صرد بن عبدالله من سوابق ابن اسحق، ونقلها عنه ابن هشام، وهذا هو النص حسب ما ورد في سيرة ابن هشام نقلاً عن سير ة ابن اسحاق، إذ أورد خبر قدومه ضمن الوفود التي وفدت للنبي ﷺ للإسلام في العام التاسع للهجرة بقوله:

قدوم صرد بن عبد اللهَّ الْأزديَّ

إسلامه

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول اللهَّ ﷺ صرد بن عبد اللهَّ الْأزدي، فأسلم، وحسن إسلامه، في وفْد من الأزد، فأمّره رسول اللهَّ ﷺ على من أسلم من قومه. وأمروه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبل اليمن.

قتاله أهل جرش

فخرج صرد بن عبدالله يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش، وهي يومئذ مدينة مغلقة، وبها قليل من قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا

بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان إلى جبلٍ لهم يقال له شكر، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلاً شديداً.

إخبار الرسول وافدي جرش بما حدث لقومهما

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ بأي بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر، وكذلك يسميه أهل جرش، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شكر؛ قالا: فما شأنه يا رسول الله ؟ قال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما إن رسول الله لينعى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه، فسألاه ذلك، فقال: اللهم ارفع عنهم، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبدالله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

إسلام أهل جرش

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله فأسلموا، وحمى لهم حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة، وللمثيرة، بقرة الحرث، فمن رعاه من الناس فمالهم سحت، فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد: وكانت خثعم تنال نصيب من الأزد في الجاهلية، وكانوا يعدون في الشهر الحرام:

يا غزوة ما غزونا غير خائبـــة	فيها البغـــال وفيها الخيل والحمر
حتَى أتينا حميرا[1] في مصانعها	وجمع خثعـــم قد شاعت لها النّذر

(١) أورد محقق كتاب السيرة النبوية لابن هشام في الحاشية أن "حميرا" هي تصغير "لِحمْيَر" القبيلة، وذكر أن الزرقاني أوردها "جريشاً". وشرح المحقق لمعنى المفردة لا يصح، فناهيك عن أن البيت

==

إذا وضعت غليلا كنت أحملـه   فما أبالي أدانوا بعـــد أم كَفـــروا"[١]

وهذا الحديث أورده الطبري في ضعيف تاريخ الطبري وقال عنه المحققان: "ضعيف مرسل"[٢]، كما أن القصيدة الركيكة التي أوردها في الرواية هي واحدة من غرائبه، إذ فرط الشاعر بدقة المعنى للمحافظة على دقة الوزن في البيت الأول، كما استعمل عبارة "غير خائبة"، وهذا نمط غريب على الشعر الجاهلي، وإذا أضفنا لذلك الكثير من الأسئلة التي تدور حول ما أورده ابن إسحق[٣] صاحب الرواية الأساسية من روايات وأساطير

==

في هذه الحالة سيكون مكسوراً، فإننا - وإن كنا نشك في حقيقة كامل الرواية من أساسها - نرى أن الصحيح في مقصد واضعها بلفظ "حميراً" الواردة في الأبيات هي جمع "حمار"، فما ورد في البيت الأول يفسر الثاني، فالشاعر يشير إلى أن الغزاة أتوا ومعهم "البغال" و"الخيل" و"الحمر" (الإبل)، وهي أنواع من الحيوانات لراكبيها مكانة أعلى من راكبي الحمير، حتى وصلوا إلى حيث وجدوا "حميراً" كانت في مضاجعها وكانت خثعم تقدم لها النذر، أي أنهم كانوا يعبدون الحمير، وهذا هجاء فيه محاولة السخرية على لسان الشاعر المزعوم من قبل واضع الرواية، وعلى العموم لا يظهر بالقصيدة صلة بجرش، فلعلها ـ إن لم تكن منحولة من واضع الرواية ـ قيلت عن أحداث أخرى بمرحلة لاحقة، والله أعلم، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق وضبط وفهرسة مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، قسم٢/ ص٥٨٨ .

(١) ابن إسحاق، محمد بن اسحق بن يسار بن خيار المطلبي المدني، السيرة النبوية، حققه وعلق عليه أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٦٥٦-٦٥٧.

(٢) الطبري، أبي جعفر بن جرير، ضعيف تاريخ الطبري - السيرة النبوية، حققه محمد بن طاهر البرزنجي، أشرف عليه وراجع التحقيق محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ج٧/ ص٢٤٧.

(٣) هو الشيخ المحدث المؤرخ محمد بن اسحق بن يسار بن خيار المطلبي المدني، ولد عام ٨٠هـ وتوفي عام ١٥١هـ، رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وأخذ العلم عن جم غفير من العلماء، وارتحل إلى الكوفة، والجزيرة، والري، وبغداد، وآخرها مصر، ثم عاد إلى المدينة المنورة، له كتاب الخلفاء، والسير والمغازي.

وقصائد على وجه العموم، إذ كان الفاتح الأول في نقل الأعاجيب إلى مدونات التاريخ العربي والإسلامي[١]، وقد قيل الكثير حول روايات ابن إسحق والتشكيك في مصادره، وهو ما يقود إلى عدم الاطمئنان إلى الروايات التي ابتدأها، حتى ولو نقلها عنه سواه من بعده، فقد أورد الرواية عدد من المحدثين نقلاً عن ابن إسحق، ومنهم ابن سعد الذي أورد الرواية بإسناد أورده شيخه الواقدي، والواقدي[٢] الذي نقل عنه ابن سعد ضعفه جمهور أهل الحديث[٣].

---

(١) يقول "محمد حميد الله" محقق كتاب سيرة ابن اسحاق المبتدأ والمبعث والمغازي: "وأكبر طعن طعنه به المحدثون هو أن ابن إسحاق يدلس الأحاديث. فروى الخطيب ص٢٢٩ - ٢٣٠، وابن سيد الناس ص١١، وابن حجر ص٤٣) "أن أحمد بن حنبل ذكر محمد بن اسحاق فقال: كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه. ، سألت أحمد بن حنبل فقلت: يا أبا عبدالله إذا تفرد ابن إسحاق بحديثه تقبله ؟ قال لا والله، إني رأيته يحدث في الجماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا"، انظر مقدمة المحقق ص(كط): ويقول محمد بن طاهر البرزنجي عن ابن اسحاق:"فهو مدلس"، ضعيف تاريخ الطبري - السيرة النبوية، ج٧/ ص٥ (حواشي سفلية)

(٢) محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧هـ) نشأ في المدينة وأخذ العلم فيها ثم انتقل إلى العراق حتى توفي فيها. انظر: الطبري، ضعيف تاريخ الطبري، ج١/ ص١٧

(٣) فقد قال أحمد بن حنبل عنه: هو كذاب يقلب الأحاديث، وقال البخاري: متروك، وقال أبو حاتم والنسائي: يضع الحديث، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه، وقال الذهبي: أحد أوعية العلم على ضعفه، وقال الذهبي في نهاية ترجمته: واستقر الإجماع على وهن الواقدي، وقال ابن حجر: متروك مع سعة علمه، وقال الشافعي: كتب الواقدي كذب، وقال أحمد بن حنبل: كان الواقدي يقلب الأحاديث يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ونحو هذا، قال إسحاق ابن راهويه كما وصف وأشد لأنه عندي ممن يضع الحديث. قال أبو بكر بن أبي خيثمة فيما كتب إلي قال سمعت يحيى بن معين يقول: لا يكتب حديث الواقدي.. الواقدي ليس بشيء، وقال عبدالرحمن سألت أبي عن الواقدي المديني فقال متروك الحديث قال يحيى بن معين نظرنا في حديث الواقدي فوجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين أحاديث مناكير فقلنا يحتمل أن تكون تلك الأحاديث المناكير منه ويحتمل أن تكون منهم، ثم نظرنا إلى حديثه عن أبي ذئب ومعمر فإنه يضبط حديثهم فوجدناه قد حدث عنهما بالمناكير فعلمنا انه منه فتركنا حديثه. نا عبدالرحمن قال سألت أبا زرعة عن محمد بن عمر الواقدي فقال:
==

وهذه الملاحظات حول مصدر الرواية تجعلنا أمام مصادر لا يمكن الركون إليها، والأهم من نوعية المصدر هو أن الرواية حملت الكثير من الغرائب، فلنا أن نتخيل غرابة أن الرسول ﷺ والذي لا ينطق عن الهوى - يأمر الوفد الذي قدم بهدف التعرف والدخول في الإسلام، لا أن يتعلموا الإسلام أولاً حتى يرسخ الإيمان في قلوبهم، بل أن يحاربوا من يليهم من الكفار بذاتهم وتحت قيادة أحد أفراد الوفد !، والأعجب أن نجد الرواية تقول أن الرسول ﷺ بعد أن أمرهم بجهاد من يليهم من الكفار، يعود أثناء المعركة ليدعو الله بأن يرفع عن عدوهم الذي أبى إلا أن يقاتل دون كفره، ثم نجد ما هو أغرب من كل ذلك، وهو أن المسلمين المجاهدين الذين قاتلوا الكفار ليدخلوا في الإسلام، بعد أن انتصروا عليهم، يقول شاعرهم:

إذا وضعت غليلاً كنت أحمله   فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا

إذن فالحرب التي خاضوها كانت دعوى الجاهلية !، فهل من اليسير علينا أن نقبل هذا الحديث الذي وصف من أهل العلم بـ(الضعيف المرسل)، والذي يشير إلى أن النبي ﷺ بدلاً من أن يدعو الوفد إلى التفقه في الدين ثم إلى دعوة من يليهم إلى الإسلام بالحكمة والموعضة الحسنة، كما جاء في كتاب الله (إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعضة الحسنة)، نجد أنه قام بتوجيه القوم الذين للتوا أسلموا - ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم - بمحاربة أعدائهم في الجاهلية باسم الإسلام، فاستغلوا هذه الأوامر في القتل وسفك الدماء، لا لنشر الإسلام، بل لتفريغ شحناتهم الجاهلية بدعوى الجهاد ؟!.

==

ضعيف، انظر:

- ضعيف تاريخ الطبري - السيرة النبوية، حققه محمد بن طاهر البرزنجي، أشرف عليه وراجع التحقيق محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ج١/ ص١٧
- الرازي، شيخ الإسلام أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، كتاب الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٥٣م، مج٤/ ق١/ ص٢٠ - ٢١.

كما أن هنالك ملاحظة أيضاً حول رواية الحرب وطريقة انتصار الصرد (الأزدي) عندما تظاهر بالانسحاب ليستدرج خصومه الجرشيين إلى الخروج وراءه حتى التف عليهم حول (جبل شكر)، حيث يظهر لنا في سرد الرواية واستحضار الوجود الأزدي - وهي القبيلة التي ينتمي إليها أهل يثرب من الأوس والخزرج (الأنصار) - المحاكاة لخطة خالد ابن الوليد (القرشي) ﷺ في معركة أحد أمام جيش المسلمين (ومنهم أزد يثرب)، عندما انسحب فتبعه جيش المسلمين فالتف عليهم حول (جبل أحد)، وتمكن بذلك من تحقيق النصر، وفي هذه المحاكاة ما يشي بأثر طابع المنافسة والإسقاط التي تحيط بالرواية، ناهيك عن أن الرواية تشير إلى أن أهل جرش بعد أن غزاهم الصرد أرسلوا رجلين إلى يثرب "يرتادان وينظران"، وهو ما يدل على جهلهم بخبر ظهور النبي ﷺ، وهذا مخالف للروايات الأخرى، حيث كان النبي ﷺ قد أرسل قبل فتح الطائف رجلين من الصحابة وهما عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش ليتعلما صناعة الدبابات والمنجنيق والعرادات واستعمالها، ومثله فعل أهل الطائف استعداداً للمعركة، كما جاء في المصادر الأخرى[(١)].

ومن الملاحظات على هذه الرواية أيضاً أنها تجاهلت وجود اليهود والنصارى (أهل الكتاب) في جرش تماماً، بينما نجد أن هنالك من الدلائل ما يؤكد وجود أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وبكثرة في جرش، في زمن النبي ﷺ، كما سيأتي.

وعندما نضيف لكل ذلك ما يلاحظ من اضطراب الرواية وتناقضها مع غيرها، إذ الروايات الأخرى تشير إلى أن النبي ﷺ قد ولى أبو سفيان بن حرب على جرش[(٢)]، ثم

---

(١) انظر:

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مج٤/ ص٢٩
- الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، ج٢/ ٢٣٤

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٠

بعث عليها سعيد بن القشب الأزدي، بينما الرواية التي بين أيدينا تشير إلى أن النبي ﷺ قد ولى الصرد بن عبدالله على جرش، وفي ذلك تناقض لا يواءم، خاصة وأن وفد الصرد كان حضوره في العام التاسع للهجرة بينما النبي ﷺ توفي في بدايات الحادي عشر!.

ونرى أن قصة إسلام الصرد بن عبدالله ورفاقه لن تتجاوز - إن صحت - أن تكون قصة وفد قدم لإعلان إسلامه ثم عاد إلى بلاده كما هو حال بقية الوفود، أما ما ورد عن قصة حصار جرش فهي من مضافات الرواة والنساخ، وكل ما يمكننا أن نستأنس به منها هو استفاضة مجاورة خثعم لجرش، وتحالفها مع سكانها، وهو ما يتواءم مع ما أورده الكلبي عن تحالف عنز بن وائل (سكان جرش) مع خثعم، كما يمكن أن نستدل بها على وجود قبائل من الأزد ضمن أحواز جرش، في موقع أبعد من خثعم.

والأصوب في رواية دخول الإسلام لجرش كما يتضح لنا هو ما ورد لدى قدامة بن جعفر البغدادي في كتاب "الخراج وصناعة الكتابة"، ولدى أحمد البلاذري في كتاب "فتوح البلدان"، وغيرهم حول إسلام أهل جرش ومما جاء فيها حول ذلك ما يلي:

" تبالة وجرش

حدثني بكر بن الهيثم عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهري قال: أسلم أهل تبالة وجرش عن غير قتال، فأقرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين وولى أبو سفيان بن حرب جرش"[(١)]

وكما نرى فالرواية هنا مختلفة عن تلك، وأكثر منها اتزاناً، فلم يكن هنالك حروب

---

(١) انظر:

- البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر ابني أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٧٩
- البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٢٦٩

ولا بطولات كما ورد في تلك الأخرى، بل هي تنفي حدوث القتال، كما أنها تقرن دخول جرش بتبالة، فقد كان وفدهما موحداً أو متزامناً، وتوجيه النبي ﷺ لهما ذو دلالة على ذلك، وهذه الرواية بالإضافة لاتصافها بالاتزان، فإن انفرادها بالإشارة إلى وجود أهل الكتاب في جرش وتبالة يعطيها مصداقية أكثر، فهي دلالة على أن كاتبها لم يقلد أحداً، ولم يراعِ أحداً، وأن الرواية التي خلت من الأساطير تواترت عن مصدر يحمل درجة جيدة من المصداقية، ومما يقود إلى المزيد من التأكيد على صحة هذه الرواية إشارتها إلى أهل الكتاب في الحاضرتين المذكورتين مصداقاً لما تحمله المصادر الأخرى السابقة واللاحقة، فقد كان هنالك يهود ونصارى بالفعل في حواضر منطقة عسير كجرش، وتبالة، وترج تجاهل وجودهم الخبر الأول، والذي يتحدث عن قبيلتين متحاربتين (خثعم والأزد)، ولم يرد به أي شيء يشي عن الطابع الحضري لجرش، ولا عن وجود أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فيها، وهو الخبر الذي حملته بقية الأخبار المتواترة عنها، ومن ذلك ما جاء في الحديث المتواتر عن عبدالله بن عمر أنه: "قدم رجل نصراني من أهل جرش تاجراً فكان له بيان ووقار، فقيل: يا رسول الله، ما أعقل هذا النصراني... ، إلى آخر الحديث"[1]، والحديث في إسناده ضعف، ولكننا لا نحتاج إلى الاستناد إليه كنص فقهي عن رسول الله ﷺ، وإنما

---

(١) انظر:

- البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٧/ ص٣٦٥ حديث رقم (٧٠٤١)
- الشافعي، الإمام الحافظ نور الدين علي بن سليمان ابن أبي بكر الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق دكتور حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، مج٢/ ص٨١١
- ابن حجر العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق قاسم بن صالح القاسم، ، دار العاصمة + دار الغيث - الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١٣/ ص٧١٨ حديث رقم (٣٣٠٧)

لاستقراء مدلولاته فقط، حيث يمكن اعتماده كمؤشر دال على مفهوم عصره، من حيث وجود النصارى (أهل الكتاب) في جرش وتبالة[1]، ومما يؤكد ذلك ما ورد في نص وثيقة يهودية كتبت في بداية (القرن السادس للهجرة) حيث تشير إلى أن اليهود كانوا يتواجدون بشكل قوي في "ترج" (إحدى مدن منطقة عسير المجاورة لجرش) إلى القرن الهجري الخامس، ففي رسالة ابن ميمون (الراب موشيه بار ميمون) المعروفة باسم (رسالة إلى اليمن) إشارة إلى "مجموعة ترج" كأحد مجموعات اليهود الناشطة على مستوى الوطن العربي في حينه[2]، (القرن الحادي عشر للميلاد/ القرن السادس للهجرة)، و"ترج" هي إحدى الحواضر في منطقة عسير، وتقع فيما بين مدينتي جرش، وتبالة، ولا شك أن هذا الوجود اليهودي في ترج في تلك المرحلة، ووجود النصارى واليهود في نجران المجاورة منذ العهد الجاهلي كما هو معلوم، واستفاضة وجود النصارى في جرش والتي تسوق إليها الأحاديث المذكورة، بالإضافة للطابع الحضري لجرش والذي تدل عليه اهتمامات أهلها واختصاصهم بالصناعات العسكرية والحرفية والتي عادة ما تكون من اختصاصات اليهود، حيث اختص اليهود في الغالب بمثل هذه الصناعات وبرعوا فيها، بينما كان يأنف منها العرب، وهذا يعطينا دلالة أولية على ثقل سكاني لأهل الكتاب في العموم في منطقة جرش (المركز الحضاري والصناعي والتجاري الأكبر في المنطقة) وفي تبالة المجاورة، وهو

---

(١) "جرش" المقصودة هنا لا شك أنها "جرش" المعروفة في منطقة عسير، وليست جرش بلاد الشام، حيث لم يرد حضور الأعيان من بلاد الشام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في أي المصادر، فلم تدخل بلاد الشام للإسلام إلا بعد وفاة النبي ﷺ، كما أن القادم من جرش الشامية ما كان ليقال عنه: "قدم من جرش"، بل سيقال: "قدم من الشام"، فقد كانت الإشارة لبلاد الشام مطلقة وإجمالية، ولم ترد أسماء مدن الشام مفردة أو منعزلة عن ذكر انتمائها الشامي، بينما كان يرد ذكر جرش مفرداً عن أي انتماء أو تحديد جغرافي في عهد النبي ﷺ في جميع المصادر.

(٢) فياض، نبيل، بحث مترجم عن الموسوعة اليهودية، عن نص حصل عليه الباحث من جامعة لا يبتسغ الألمانية، انظر موقع نبيل فياض على الشبكة

ما يتوافق مع رواية البلاذري وقدامة حول وجود أهل الكتاب في جرش وتبالة - اللتان تحيطان بترج من الشمال والجنوب - وتقنين التعامل معهم من قبل النبي ﷺ، ومن ثم تأتي رسالة ابن ميمون التي أشرنا إليها لتؤكد ذلك، لذا فهذه الرواية هي الأصح لدينا.

(٢) إسلام عنز بن وائل

حيث أن مدينة جرش عرفت كإحدى بلاد عنز بن وائل كما ورد في المصادر المتصلة بها[١]، وأن وجودهم بها قديم، كما أوضحنا، إذ عرفت كقبيلة مستقرة في هذه المنطقة منذ ما قبل مرحلة سيف بن ذي يزن[٢]، فإن دخول الإسلام لبلاد عنز بن وائل لا بد أن يكون مواكباً لدخول حاضرتهم "جرش" للإسلام، والتي اوردنا تفاصيل قصة إسلامها، إلا أن عنز بن وائل قبيلة كبيرة وبلادها شاملة لجرش وسواها، لذا فلا يستبعد أن يكون هنالك وفود من أي بلاد عنز الطارفة قد توجهوا إلى الرسول ﷺ فكان لإسلامهم قصة وتفاصيل أخرى، فقد ورد بالفعل أن هنالك من عنز بن وائل من قدم إلى النبي ﷺ، والراجح أنه سوى وفد جرش الذي ذكره ابن جعفر والبلاذري وغيرهم، فقد أورد ابن الأثير في كتاب "أسد الغابة" ما يلي:

"عبادة بضم العين وفتح الباء المخففة وبعد الدال هاء هو عبادة بن الأشيب العنزي عداده في أهل فلسطين روى عنه أنه قال خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت وكتب لي كتابا: بسم الله الرحمن الرحيم من نبي الله لعبادة بن الأشيب العنزي إني أمرتك على قومك ممن جرى عليه عمالي وعمل بني أبيك فمن قرىء عليه كتابي هذا فلم يطع فليس له من الله معون قال فأتيت قومي فأسلموا أخرجه ابن منده وأبو نعيم"[٣]

ومن الروايتين يمكننا القول بإن بعض قبائل عنز بن وائل وفدت إلى النبي ﷺ (ربما

---

(١) الهمداني، صفةجزيرةالعرب، تحقيقمحمدالأكوع، ٢٣٠، ٢٣١

(٢) أقرأ عن دخول بعض خولان في عنز بن وائل، ومنهم "عمرو بن يزيد" سيد بني عوف، ولسان خولان، والذي كانت أمه من عنز بن وائل، بينما هو معاصر لسيف بن ذي يزن وهو القائل له: فما كبر يشيب لدات مثلي * ولكن شيبت رأسي الحروب... إلخ، انظر الإكليل، ج١/ ص٢٤٩، ٢٥١

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م، ج٣/ ص١٥٦

منفردة) ودخلت الإسلام وأمَّر عليها أحد أبنائها وهو عبادة بن الأشيب، ولكن الراجح أن دخول غالبية عنز بن وائل الإسلام سيكون مع دخول جرش والتي هي حاضرة عنز بن وائل في الإسلام، حسب ما ورد حول ذلك في المصادر، وهذا لا يمنع أن نقول أيضاً أن عبادة وقومه كانوا من أوائل من دخل الإسلام من أهل السراة.

ونحن أيضاً رغم أننا لا نرجح ذلك، إلا أننا لا نستبعد تماماً أن يكون وفد عبادة بن الأشيب هو وفد جرش ذاته الذي عناه البلاذري وقدامة وغيرهم.

(٣) مشاركة عنز بن وائل في الفتوحات الإسلامية

من خلال عمق جذورها التاريخية فوق جبال السراة، وجذورها العرقية الربعية المعدية، فإن عنز بن وائل تنتمي إلى الجغرافيا الحجازية السروية وإلى التاريخ الربعي المعدي في آن واحد، فهي حجازية الوطن ربعية القبيلة، وهما توأمان لا ينفكان، فربيعة في الأصل قطعة من بلاد السراة (الحجاز) ومن تاريخها، ولا زالت السراة موطناً لقسم كبير من ربيعة، وقد شاركت قبائل ربيعة في الفتوحات الإسلامية بدرجة متميزة، ومثلهم شارك أهل السراة، وبعد الفتوحات الإسلامية انتشر أبناء قبائل السراة وربيعة وضمنهم العنزيون الذين شاركوا في الفتوحات في بلاد الشام، والعراق، ومصر، وظل لعنز بن وائل وجود واضح هنالك، مما يدل على مشاركتهم القوية في الفتوحات الإسلامية، فقد كان لهم وجود في فلسطين، وذكر عدد من رجالهم من أهل فلسطين[1]، بعضهم ممن كان له صحبة، وهو ما يدل على أقدمية تواجدهم في فلسطين وبلاد الشام منذ ما بعد عهد النبي ﷺ مباشرة، أي عهد الفتوحات الإسلامية والخلافة الراشدة، بل إن "عبادة بن الأشيب" الذي أمّره الرسول ﷺ على قومه في بلاد عنز بن وائل (في جرش ونواحيها) انتقل إلى فلسطين فيها بعد عهد الرسول ﷺ، فأستقر هو وبعض قومه في فلسطين، وهذا يدل على مشاركتهم في فتوحات الشام، كما كان لعنز بن وائل تواجد واضح في العراق، وخاصة في مدينة الكوفة، فقد أورد ابن الكلبي أنه كان في الكوفة طريق يقال له درب عنز بن وائل[2]، وذكر أنه لم يبق منهم فيه أحد (كما يقول)، وهو ما يدلنا على أسبقية وجودهم بالكوفة عن عهد ابن الكلبي الذي عاش خلال القرن الثاني للهجرة، ورغم انقطاعهم عن درب عنز بن وائل كما يقول ابن الكلبي، فقد استمر وجودهم القوي بالكوفة أيضاً، فقد ورد ذكر مسجد عنز بن وائل بالكوفة لدى البلاذري[3]، فقد جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري مايلي:

---

(١) ابن ماكولا، الإكمال، ج٧/ ص٤٤

(٢) الكلبي، جمهرة النسب، ج١/ ص١٩٣

(٣) البلاذري، الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، حققه وشرحه
==

"قالوا: ومسجد بني عنز نسبت إلى بني عنز بن وائل بن قاسط، ومسجد بني جذيمة، نسب إلى بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. ويقال: الى بني جذيمة بن رواحة العبسي [(١)] وفيه حوانيت الصيارفة" [(٢)]، كما ورد خبر مسجد عنز بن وائل بالكوفة أيضاً في كتاب "تاريخ الكوفة" للسيد البراقي. [(٣)]

وهذه الإشارات تنبئ عن تواجد معقول لقبائل عنز بن وائل في العراق والشام، فيما بعد عهد النبي ﷺ مباشرة، وهو ما لم نجد له أسبقية فيها قبل الإسلام في تلك الديار، ومما يستأنس به لتقوية هذا الرأي أن الصحابة والتابعين كانوا يشيرون في انتماء الصحابي الجليل "عامر بن ربيعة العنزي" ﷺ إلى اليمن [(٤)]، مما يعني استفاضة اختصاص منطقة عسير (الواقعة بجهة اليمن بالنسبة لأهل مكة) بوجود قبيلة عنز بن وائل، وأن وجودها في غيرها بعد الإسلام وجود محدث، ولعل هذا يعطينا إشارة قوية لحجم مشاركة عنز بن وائل المهمة في الفتوحات الإسلامية.

==

وعلق عليه، عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف - بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٠١ ؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٠

(١) هذا التردد في نسب جذيمة من المؤلف يدل على عدم التحقق من نسب جذيمة المقيمة إلى جوار عنز بن وائل في الكوفة، قلت ولعلها جذيمة عنز بن وائل المعروفة، فوجودها إلى جوار القبيلة "الأم" يدل على احتمال أن تكون هي المقصودة هنا.

(٢) البلاذري، الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق عليه، عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف - بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٠١ ؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٠

(٣) البراقي، حسين بن أحمد بن اسماعيل بن زيني الحسيني النجفي، تاريخ الكوفة، استدراك: محمد صادق آل بحر العلوم، تحقيق: ماجد أحمد العطية، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ، ص١٤٠

(٤) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢٥/ ص٣٢٥

وقد أورد الطبري خبر مشاركة قبائل السراة، ومشاركة قبائل ربيعة في معركة القادسية وفتح الشام، كما يظهر أن مقاتلي عنز بن وائل شاركوا في جيش علي بن أبي طالب وجيش الحسين بن علي في حروبهم مع معاوية ثم مع يزيد بن معاوية، يدل على ذلك ما ورد لدى الطبري من إشارات إلى بعض أبناء عنز بن وائل ضمن جيش الحسين[(١)].

والراجح لدينا أن عنز بن وائل، كانت في آخر العهد الجاهلي وعهد الخلفاء الراشدين أقرب إلى الارتباط بالقبيلة الأم (ربيعة)، وأنها قد شاركت ضمن قبيلة ربيعة في حروب الفتوحات الإسلامية في العراق، إذ أن تواجد عنز بن وائل في الكوفة بشكل قوي كما تفيد الأخبار يشير إلى الحرص على مجاورة أبناء عمومتهم من أبناء "عنزة" المستقرين في "عين التمر" الملاصقة للكوفة حيث عرف الكثير من أبناء "عنزة" و"عنز" في منطقة الكوفة وما حولها، ومما يجدر ذكره في هذا الخصوص أن قبائل ربيعة قد شاركت في معارك الفتوحات الإسلامية بشكل قوي ومتميز، وكان لها دور محوري في معارك العرب المسلمين مع الفرس، بل إن معارك الفتوحات بدأت على يد قبائل ربيعة حيث كان قد بادر المثنى بن حارثة الشيباني على رأس قبائل ربيعة في خوض عدد من المعارك في العراق أمام جيوش الفرس قبل وصول المدد من المدينة وبقية الأمصار، يقول الطبري:

"وكان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة بستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر"[(٢)].

بل وكان لربيعة الأثر الأقوى في مسار المعارك ضد الفرس، وقد تناقل المؤرخون

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج٥/ ص٤٢١ ؛ ج٦/ ص٦٣

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، أحداث سنة ١٤، ج٣/ ص٤٨٦ (١/ ٢٢٢٢)

عن بعض من حضروا المعارك مع الفرس يوم القادسية وغيره الدور المحوري لربيعة وأثرها القوي في انتصار جيش المسلمين في هذه المعارك ومن ذلك قول الطبري:

"كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي سعد بن المرزبان عمن حدثه عن محمد بن حذيفة بن اليمان قال لم يكن أحد من العرب أجرأ على فارس من ربيعة فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس"[(١)].

ونلاحظ أيضاً أن عنز بن وائل كان لها تواجد في مصر حيث أشار الكلبي إلى وجود أعيان منهم في مصر مثل "مالك بن زيد بن الحارث العنزي[(٢)]" الذي دخل في الأزد ولعل ذلك يشير إلى قدوم عنز بن وائل ضمن أهل السراة من الأزد وغيرهم في فتح مصر، بل إن هنالك إشارات لبعض القبائل التي تحمل أسماء فروع عنز بن وائل في مصر مثل "العسيرات" و"رفيدة" ذكرها القلقشندي ولعلها امتداد لجيوش الفتوحات.

ومن ثم فلا شك إن عنز بن وائل قد تواجدت في طليعة الجيوش الإسلامية الفاتحة مع بقية قومهم من ربيعة وغيرها من قبائل السراة في العراق والشام ومصر وسواها.

ومن المهم أن نذكر هنا ملاحظة حول هذه الأحداث وحول تواجد عنز بن وائل مع ربيعة في العراق، وتواجدها إلى جانب الأزد في مصر، فهي القبيلة الوسيطة في علاقتها مع الجانبين إذ تعود بالنسب والداعي إلى ربيعة وفي نفس الوقت تجاور قبائل الازد وتتشارك معهم في بلاد السراة الضروف البيئية والسياسية والاقتصادية والوطن الواحد، وتجمعها معهم علاقة المصاهرة والعادات المشتركة، فالملاحظ أن قبائل ربيعة كانت في هذه المرحلة (ما بعد الفتوحات الإسلامية) على علاقة قوية بقبائل الأزد، حيث كان هنالك حلف بين الطرفين بدأ مع بداية عصر بني أمية ثم استمر في عصر الدولة العباسية، وقد خاضت

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، أحداث سنة ١٤، ج٣/ ص٤٨٧ (١/ ٢٢٢٣)

(٢) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ج١/ ص٩٤، ٩٥

القبيلتان العديد من الحروب ضد قبائل قيس عيلان وتميم كما يذكر النويري، حتى انحل هذا الحلف في عهد المنصور[1]، ومن ثم فإن تقارب عنز بن وائل مع الجهتين ربما كان عاملاً أساسياً لتقارب القبيلتين.

---

(١) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ، ص٣٨٠

الفصل الثالث

الحالة السياسية في جرش

(حاضرة عنز بن وائل)

أولاً: الوضع السياسي في جرش - حاضرة بلاد عنز بن وائل - منذ البعثة النبوية

كانت جرش في العصر الجاهلي تمثل واحدة من أهم وأشهر الحواضر في الجزيرة العربية، وكانت بها مملكة محلية مستقلة لها تميزها الخاص عن بقية الحواضر في الجزيرة العربية، فقد عرف سكان هذه الأرض التحضر وحياة المدن والصناعة والتجارة وبرعوا في هذا الجانب حتى أصبحت جرش منطقة جذب لسكان المناطق الأخرى من أصحاب التجارة وسواهم، وقد ذكرت بعض المصادر أن أحد ملوك جرش قد غزا بلاد فارس بالتضامن مع ملك سبأ اليمني شمر يرعش، وفي مرحلة البعثة النبوية وما بعدها حتى القرن الهجري الخامس كانت في منطقة الحجاز (سراة عسير) بحاضرتها الرئيسية "جرش" وبقية الحواضر التابعة لها كتبالة، وترج، وبيشة ولايات تابعة لسلطان مكة، وكانت أحواز جرش تمتد جنوباً إلى بلاد وادعة، حيث حدد النبي ﷺ حدود الحجاز من جهة الجنوب بطلحة الملك الواقعة في بلاد وادعة كحد فاصل بين الحجاز واليمن[1]، ومن ثم بين ولاية

---

(١) انظر:

- البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٨٢
- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨٩

==

مكة المكرمة التي كانت تتبع لها حواضر ومخاليف تهامة والحجاز ونجد من جهة (والتي كانت جرش إحداها) وبين ولاية اليمن التي تتبع لها مخاليف وحواضر اليمن من الجهة الأخرى، وطلحة الملك قرية لا زالت قائمة شمال مدينة صعدة بالقرب من ظهران الجنوب[(١)] داخل الحدود اليمنية، إذ أشار الهمداني إلى أنها من احواز أرينب وهي الطلاح[(٢)].

وكانت ولاية جرش في العصر الجاهلي وما بعد الإسلام تمتد على مساحات كبيرة حيث تتبع لها الشواطئ الغربية المطلة على البحر الأحمر، فقد ذكر ابن خياط أن النبي ﷺ "ولى سعيد بن القشب على جرش وبحرها"[(٣)]، وهو ما يدل على ارتباط السواحل المقابلة لجرش مثل عثر، والدرب، والقحمة وامتدادها إلى حلي بن يعقوب بولاية جرش التي كانت قائمة إلى القرن الخامس للهجرة، وهذا يتوافق مع ما أورده الهمداني في صفة جزيرة العرب عندما وصف بلاد بني عنز بن وائل والذين تعد جرش حاضرتهم، وأشار لامتداد بلادهم إلى القوائم (القائم الأعلى، والقائم الاسفل) التي تقع على البحر الأحمر في ما نعرفه حالياً بالدرب والشقيق، والتي تقع إلى الشمال من مدينة بيش التي اعتبر الباحثون والأركيولوجيون أن عندها نهاية الحد الشمالي لنطاق نفوذ الممالك العربية الجنوبية في تهامة والساحل[(٤)]، ومن ثم فإن بحر جرش المشار إليه يفترض أنه يمتد جنوباً إلى بيش وما

==

- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥/ ص٤٤
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧/ ص٣٦٢

(١) حسب وصف الهمداني والأكوع انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٧٢

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ، ص٣٧٢

(٣) العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٤٨

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٥٠

حولها ويمتد شمالاً إلى حلي بن يعقوب، حيث يوازي هذه المناطق امتداد أحواز جرش في السراة ما بين طلحة الملك وتبالة، وقد تعاقب على إمارة جرش منذ عهد النبي ﷺ عدد من الولاة، نذكر منهم كل من "أبو سفيان بن حرب" في عهد النبي ﷺ[1]، ثم "سعيد بن القشب"[2]، ثم "عبدالله بن ثور"[3]، وممن وليها أيضاً "محمود بن لبيد" ولاه "يحيى بن الحكم"[4] - والي مكة من قبل معاوية بن أبي سفيان الذي استمرت ولايته في عهد ابنه يزيد بن معاوية ثم في عهد مروان[5]، ثم أصبح والياً على المدينة من قبل "عبدالملك بن مروان"[6]- ويبدو من خلال سياق رواية محمود بن لبيد أن "عبدالله بن جفعر" رضي الله عنه قد ولي جرش أيضاً قبله، ولعله وُلِّيَ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (كما توحي الرواية)، أو بعده بقليل، إذ نقل أهل جرش "لمحمود" ما كان يرويه لهم "عبدالله بن جعفر"، عن رسول الله ﷺ، وعند رجوعه إلى المدينة - بعد عزله - سأل محمود عبدالله بن جعفر عن

---

(١) البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر ابني أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٧٩

(٢) العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٤٨

(٣) النويري، شهاب الدين بن أحمد، نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق كل من الأستاذ عبدالمجيد ترحيني والأستاذ عماد علي حمزة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٤هـ، ج١٩/ ص٩٢

(٤) الزهري، محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج٤/ ص١١٠

(٥) ابن الجوزي، أبي الفرج عبدارحمن بن علي بن محمد، المنتظم في أخبار الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٦/ ص١٣٨

(٦) جوادشبير، أدب الطف، ج١/ ص١٤٨؛ وانظر أيضاً ابن الجوزي، المصدر السابق، ج٦، ص١٤٩

صحة الرواية التي يرويها أهل جرش عنه فكذبها وروى له صحة الرواية التي رواها عن عمر بن الخطاب[١]، مما قد يدل على أن عبدالله بن جعفر كان والياً على جرش في عهد خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان ممن ولي ولاية جرش: "الموصلي" في القرن الهجري الثالث، وربما امتدت ولايته إلى القرن الرابع، وكان يتبع لسلطان مكة[٢]، مما يعني استمرارية هذه الولاية على حالها وتغير الولاة تباعاً منذ عهد النبي ﷺ إلى نهاية القرن الرابع وتبعيتهم لوالي مكة، بل هنالك ما يدل على استمرار الحال على ذلك إلى مراحل لاحقة، ولعل آخر إشارة وصلتنا حول هذه الاستمرارية لوجود الولاية وتبعيتها لمكة المكرمة كانت في القرن الخامس[٣].

ومما جاء في خبر ولاية جرش وحدودها وتبعيتها وأخبارها خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة التالي:

١- يقول ابن خرداذبة[٤]:

"ثم إلى سروم راح قرية عظيمة فيها عيون وكروم وجرش منها على ثمانية أميال، ثم إلى المهجرة قرية عظيمة فيها عيون، وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك شجرة عظيمة تشبه الغرب غير أنها أعظم منه وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن[٥]".

ثم يحدد مخاليف اليمن إلى أن يقول في مخلاف صعدة:

---

(١) الزهري، محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير، ج٤/ ص ١١٠-١١١

(٢) أشار له الهمداني في كتاب الإكليل (ج٢/ ص١٤٦) وذكر انه كان عاملاً لسلطان مكة على جرش

(٣) البكري، معجم ما استعجم، نفس المرجع السابق، ج١/ ص٣٠١، ٣٠٨، ٣٠٩

(٤) من أعيان القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م - ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) وقد ألف كتاب "المسالك والممالك" عام ٢٣٢هـ، (نقلاً عن موقع موسوعة المعرفة).

(٥) ابن خرداذبة، أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله، المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨٩ مسيحية، ص١٣٥

"فمن صنعاء إلى خيوان أربعة وعشرون فرسخاً، ومن خيوان إلى صعدة ستة عشر فرسخاً، ومن صعدة إلى المهجرة وهي تحت عقبة المنضج عند طلحة الملك التي هي أول عمل اليمن عشرون فرسخاً، فبين المهجرة وصنعاء ستون فرسخاً. "(١)

٢- يقول أبي الفرج، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) في "كتاب الخراج وصنعة الكتابة" ما يلي:

"ومن شروم راح إلى المهجرة وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل، وفيما بينها وبين شروم راح شجرة تسمى طلحة الملك وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز وهي شجرة تشبه شجر الغرب إلاّ أنها أعظم وكان النبي ﷺ حجز بها بين اليمن ومكة"(٢).

- "طلحة الملك" المذكورة في الفقرتين السابقتين لا زالت معروفة إلى هذه اللحظة وتقع على حدود ولاية جرش الجنوبية (منطقة عسير حالياً)، وفي النصين المذكورين نجد شهادات معاصرة للقرون الإسلامية الأولى، تشير إلى وجود حدود واضحة المعالم كانت تفصل بين الحجاز واليمن، تم تحديدها بداية من قبل النبي ﷺ، الذي عين والياً على اليمن، وعاملاً له على جرش، وكانت هذه الحدود تمثل حدوداً سياسية أيضاً حيث تمتد حدود أعمال ولايات الحجاز ونجد التابعة لأعمال مكة إلى طلحة الملك، وتبدأ بعدها مخاليف اليمن حيث صعدة وخولان ثم ما يليها من بلاد اليمن، ومن هنا فإن من الواضح أن جرش (حاضرة بلاد عنز بن وائل) كانت جزءاً من المناطق الواقعة داخل حدود ولاية مكة المكرمة حتى نهاية القرن لخامس.

---

(١) ابن خرداذبة، المرجع السابق، ص١٣٧

(٢) البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٨٢

٣- أورد ابن خرداذبة.. في المسالك والممالك:

"مخاليف مكة بنجد: (الطائف)، (ونجران) قال الشاعر:

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بأبوابهـــا

(وقرن المنازل)، قال الشاعر:

ألم تسل الربع أن ينطقـــا بقرن المنازل قد أخلقا

و(الفتق)، و(عكاظ)، و(الزيمة)، و(تربة)، و(بيشة)، و(تبالة)، و(الهجيرة)، و(ثجة)، و(جرش)، و(السراة)"[١].

- يحدد لنا هذا النص المنتمي إلى القرن الرابع للهجرة المدن والولايات التابعة لولاية وسلطان مكة مباشرة من البلاد الواقعة فوق هضبة نجد[٢]، ويذكر بينها عدة حواضر تقع في حدود إطار إقليم عسير وجواره مثل بيشة، وجرش، ونجران، وتبالة، والهجيرة، والسراة، ومن ذلك نجد أن مركز بلاد عنز بن وائل: "جرش" كانت تبعيتها السياسية لولاية مكة.

٤- ذكر الهمداني في الإكليل أنَّ سنحان بعد أن أنجدت العوسجي في جرش واستعادت له مسجد جرش من عنز بن وائل قبلت "الموصلي" عاملاً لسلطان مكة[٣].

- ومن خلال هذا النص الذي يسرد أخبار الحروب التي حدثت بين قبيلة العواسج

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٣

(٢) يقصد بالمصطلح الجغرافي: "نجد" في القرون الإسلامية الأولى البلاد الواقعة فوق هضبة السراة مما يلي قمم جبال الحجاز المطلة على تهامة إلى الشرق مثل جرش، وتبالة، وترج، وبيشة، ورنية، وتربة، وما إليها. للمزيد انظر: العسيري، منصور احمد، عسير والتاريخ وانحراف المسار، دار الطناني للنشر - القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص٥١٩ - ٥٦٨

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الإكيل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢/ ص١٤٦

وأحلافها من سنحان وغيرها من جهة، وعنز بن وائل من الجهة الأخرى حول السيطرة على مدينة جرش، فإن الإشارة إلى قبول سنحان بالموصلي عاملاً لسلطان مكة بعد انتصارها على عنز بن وائل وسيطرتها على جرش تدل بوضوح على أن الموصلي كان متولياً على جرش، تابعاً في ولايته لسلطان مكة آن حدوث هذه الأحداث التي عاصرها الهمداني، أي خلال الفترة الواقعة بين النصف الثاني من القرن الثالث، والنصف الأول من القرن الرابع للهجرة - حيث عاش الهمداني وإبراهيم العوسجي -، وعلى أنّه لا نزاع حول ذلك، لذا فعند دخول سنحان لجرش حسب رواية الهمداني فقد قبلت بالموصلي عاملاً عليها ولم تعمل على تغييره، أو نزع الولاية منه.

إذن فهذه شهادة معاصرة على وجود ولاية جرش، وامتدادها على أحوازها والتي تحوي عددا كبيراً من القرى التي فصل فيها في كتابه الآخر "صفة جزيرة العرب"[١]، وعلى تبعية ولاتها لسلطان مكة، ولعل من المهم أن نلاحظ أن هذه الشهادة مصدرها لسان اليمن ومؤرخها والناطق باسمها والمنافح عن ممالكها وملوكها واتساع نفوذهم عبر التاريخ.

٥- أورد البكري في معجم ما استعجم قوله:

"تبالة من أعمال مكة، سميت بتبالة بن جناب بن مكنف من بني عمليق"[٢].

إلى أن قال في موضع آخر:

" تربة: من مخاليف النجدية وهي الطائف وقرن المنازل ونجران وعكاظ وتربة وتبالة والهجيرة وكتنة وجرش والشراء"[٣].

---

(١) الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٢٩ - ٢٣١

(٢) البكري، معجم ما استعجم، نفس المرجع السابق، ج١/ ص٣٠١

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٨، ٣٠٩

وهذه النصوص التي وردت في القرن الخامس - حيث عاش البكري - تدلنا على أن حواضر المنطقة مثل جرش، ونجران، وتبالة، والهجيرة، وكتنة، والسراة، وأحوازها الممتدة إلى طلحة الملك جنوباً، كانت جميعها ضمن بقية الحواضر الحجازية والنجدية الأخرى كالطائف، وعكاظ، وتربة، والتي تعد جميعاً من أعمال مكة كما يتضح مما ذكره عن إحداها (وهي تبالة)، وكما هو موافق لما ورد لدى قدامة وابن خرداذبة والهمداني، وتتبع إدارياً لسلطان مكة تبعية مباشرة ويضع من طرفه عليها الولاة ويجمع خراجها، أي أن منطقة عسير بكاملها (بما فيها بلاد عنز بن وائل) ظلت منذ عهد النبوة حتى نهاية القرن الخامس للهجرة منطقة حضرية مركزها الرئيسي "جرش" ويتعين عليها الولاة من قبل سلطان مكة.

فماذا عن المرحلة اللاحقة فيما بعد القرن الخامس ؟.

من خلال الشذرات التي وجدناها حول تاريخ منطقة عسير بكاملها بما فيها بلاد عنز بن وائل فمن الواضح أن الولاية قد انقطعت عن هذه المواقع وأصبحت المشيخات القبلية المحلية المتفرقة هي التي تدير شئون البلاد فيما بين الطائف وطلحة الملك، خاصةً منذ نهاية القرن السادس للهجرة، ويدلنا على ذلك مجموعة من الإشارات التي وردت على يد الرحالة الذين مروا بها أو بجوارها، أو ما ورد في المصادر اليمنية من إشارات نادرة، عن أحداث بلاد جنب، وعنز بن وائل، كما يتضح لنا أن عنز بن وائل كان لها دور محوري في أحداث المنطقة ومسار أمورها.

هذا ما كان بخصوص الوضع العام السياسي والديني ودخول الإسلام لبلاد عنز بن وائل، وخاصة في القرون الأربعة الأولى من التاريخ الإسلامي، وسنستعرض في الفصل التالي بعض ما ورد من إشارات حول الحراك السياسي والحراك الاجتماعي في منطقة عسير، وكامل بلاد السراة بما فيها بلاد عنز بن وائل ودلالاتها.

ثانياً : الحراك السياسي والاجتماعي في بلاد عنز بن وائل

١- من آخر العصر الجاهلي إلى ما قبل نهاية القرن الهجري الثاني

من خلال الإشارات المتفرقة يمكننا القول بأن مرحلة العصر الجاهلي امتداداً إلى مرحلة البعثة النبوية حفلت بالكثير من الأحداث التي لم تغط بشكل معقول من قبل الأخباريين فلم نستطع الحصول منها إلا على نتف من مصادر متفرقة تعطي في مجملها دلالة على حراك قوي وعنيف خلال هذه المرحلة، كما تشير الأخبار - رغم قلتها بشكل عام - إلى وجود رابط ما بين أخبار عنز بن وائل وأخبار قبائل ربيعة، رغم تجاوز الرواة لهذه لعلاقة، وخاصةً ما ورد عن أحداث عنزة بن أسد ومجاورتها لهمدان حيث لجأ القارظ العنزي الثاني "عامر بن رهم العنزي" إلى همدان ودخل فيها وأصبح نسله معروفاً باسمه من بعده (بنو قارظ)[(١)]، وهو ما يدل على أنها كانت مجاورة لقبيلة همدان كما هو حال عنز بن وائل، وأيضاً ما ورد عن صراعاتها مع نهد، والتي من أحداثها قصة القارظ العنزي الأول التي أثارت الحروب بين عنزة/ عنز من جانب ونهد من الجانب الآخر، والتي يبدو أنها امتدت تداعياتها إلى القرن الهجري الثالث حيث عاصرها الهمداني، وروى بعض معالمها، وفي هذا الخصوص وعن نهد وعلاقتها بالمنطقة وبعنز بن وائل وخثعم وعلاقة الأخيرتين ببعضهما يقول الشيخ حمد الجاسر:

"أما أكثر فروعهم (يقصد نهد) فقد استقرت في أول الأمر في وادي تثليث وما بقربه من الأودية والبلاد، ويظهر أن حروب القبائل المجاورة لهم وأكثرها لا يمت إلى نهد بصلة النسب كان أقوى الأسباب التي أضعفت القبيلة، ولعل هذا يفسر لنا ما جاء في كتاب "الأنساب" للصحاري حيث قال في الكلام عن مسير أبرهة القائد الحبشي إلى مكة: وأما بنو نهد فوادعوا أبرهة على أن ينزلوا السهل من أرض اليمن آمنين لا يعرض لهم أحد من قبل أبرهة، ولا يعرضون لأحد من أصحاب أبرهة وتركوا عند أبرهة رهينة رجلاً من

---

(١) إبن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، حققه وقدم له دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة، ط٤ - ب ت ن، ص٦١٧

سادتهم يقال له طفيل بن عبدالرحمن بن طفيل بن كعب النهدي. وفي آخر العهد الجاهلي اضطر النهديون بعد هزائمهم في حروبهم مع جيرانهم من خثعم وعنز وغيرهما من القبائل إلى محالفة جيرانهم الجنوبيين أهل نجران، بني الحارث بن كعب الذين كانوا إحدى جمرات العرب في العهد الجاهلي، فلما حالفوا بني نهد ضعفوا"[1]

إلى أن يقول:

"ويظهر أن بني نهد لم يستطيعوا الاستقرار في بلادهم هذه لضعفهم ومزاحمة القبائل المجاورة لهم من خثعم وعنز وغيرهم، وأنهم شاركوا في حروب وقعت بين العواسج وبين قبيلة عنز، انتهت بانتصار العنزيين، ويجد الباحث ما يشير إلى تلك الحروب في أشعار محمد بن إبراهيم بن اسحاق العوسجي وهو معاصر للهمداني من أهل القرن الرابع الهجري كقوله يحرض بني نهد:

ألا يالنهد والمسافة بيننا   ولا علم إلا حسن ظن بغائب... "[2]

ويبدو أن حروب عنز بن وائل مع نهد اقدم من تلك التي حدثت مع العواسج، إذ أن الحروب مع نهد بدأت منذ العصر الجاهلي كما يبدو من خلال قصة القارظ العنزي وما تبعها من معارك بين الطرفين، بينما كانت بداية المواجهات بين العواسج وعنز بن وائل معاصرة تقريباً لمرحلة ظهور الإسلام، وقد أورد الهمداني الكثير من الروايات حول أحداث هذه الحرب وإرهاصاتها.

وإن كان الشك يحوم حول روايات الهمداني التي تنحى إلى مثل هذا الاتجاه، إلا أن كونها روايات مدونة ومعاصرة للأحداث، فلا بد إذن من أخذها في الاعتبار مهما كان الشك يدور حول دقة التفاصيل وتلقائية السرد على أساس وجود درجة من الصحة لا بد منها في عموم الرواية، فقد جاء في الإكليل ما يلي:

---

(١) الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤، ج٣، ص١٨٩

(٢) الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤، ج٣، ص١٩١

٣- آل ذي مقار

فأولد ذي مقار بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة: يريم بن ذي مقار... (إلى قوله) فأولد يريم بن ذي مقار: الشرمح ذا حول الأكبر فأولد الشرمح ذو حول بن يريم: إلى زاد الشرمح. فأولد إلى زاد بن الشرمح: عوسجة بن إلى زاد. فأولد عوسجة بن إلى زاد: عامراً ذا حول الأصغر وقشيباً وعوسجة بن عوسجة وهم العواسج فمن قشيب: نابت بن الريان بن نابت بن زيد بن الريان بن عمرو بن المسيب بن عمرو بن قشيب بن عوسجة الذي قام في صلح حمير بين سيف بن ذي يزن وآل ذي مناخ. ومنهم أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان، وهو الذي سكن جرش وخرج من بلد خولان إليها. وقد يهم علماء صعدة من حمير وأهل السجل فيقولون: أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان من بني عوسجة بن القشيب بن ذي حزفر، ولا يقولون: إلا أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشيبي، دون أن يقولوا العوسجي، وكان أحمد بن يزيد ساكنا بصعدة مع محمد بن أبان، وكان تحته أخته الفارعة بنت أبان. وعلى هذا الصهر وحد الحميرية، دخل معه في حرب بني سعد بن سعد بن خولان، فأفرى فيهم. فلما تداعت سعد والربيعة إلى الصلح، خشي على عقبه دوائر بني سعد بن سعد بن خولان، فظعن إلى أرض نجد، فحالف جنباً ونهداً زبيداً، ثم تقدم فحمل على الرياض من تنادح في أهل بيته وخدمه ومن خف معه من عوسجة الصغرى، فلما أقام وتمادت أيامه اجتمعت عنز من كل أوب. ثم أقبلت إليه فسألته عن نزوله في أحميتهم، فأعلمهم أنه متوجه إلى الطائف وأنه قد بعث رواداً يرودون وهو منتظر لإيابهم، وسألهم الفسحة إلى عودتهم، فوقع ذلك عندهم مدافعة منه، فلم يجيبوه إلى الإقامة، وكره أن يخف حتى وقعت ملاحاة ثم مواثبة، وثار كل إلى سلاحه، وبعث الصارخ في نهد وزبيد وجنب، وكان منهم حلال بالقرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً ترابطوا فيه وتصابروا حتى تبالغوا المجهود، فانهزمت عنز وقتل من أشرافها ووجوهها مقتلة عظيمة، وارتفع من تندحة فنزل في قرية جرش فتوطنها من يومئذ وثقلت وطأته على أكتاف عنز إلى اليوم، ولا يزال الحرب بين العواسج وألفاف عنز من الجزارين وغيرهم في كل وقت، والقرية بينهم نصفين وفي ذلك يقول أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان:

لقد لفلفت عنز علينا وأجلبت ... ودبت إلينا في كتائبها تسري
وساقت علينا من معد قبائلاً ... تبختر في الماذي في الحلق الخضر
فقالت معد ارحلوا من سيوفنا ... وخلوا بلاد الأكرمين ذوي الفخر
فسارت إلينا من زبيد عصابة ... وقالوا لنا بالجد منهم وبالنصر
وجاءت بنو نهد بن زيد بعارض ... من المزن داني الرعد منبجس القطر
يقودون شعثاً في الأزمة ضمراً ... يبارون سرب القوم في وضح الفجر
إذا صبحت في الروع يوماً جيادهم ... منازل قوم في أعنتها تجري
ظننت ضجيج القوم بين رماحهم ... صليل رداة النيق في حرشف الصخر
وأردف من يام وحيّ عدية ... فوارس ليسوا الميل في ساعة الكر
وغوري جنب في عرين حبيضة ... يرن عزيف الجن في شاهق وعر
فجالت جياد الخيل منا ومنهم ... بكل فتى عبل الذراعين كالصقر
تهادى بفتيان الصباح كأنهم ... نجوم الغطاس في مناظرها الزهر
كأن وميض البيض وسط خميسها ... ضياء بروق الصيف في القنف الكدر
تجر قنا الخطي في ذات بيننا ... ويخضبها الفتيان من علق النحر
فدسناهم دوس الرحا لثفالها ... وقد ركبوا يمطون محصدة الشزر
وأعطوا يداً ثم استمروا كأنهم ... جراد رفته الريح في البلد القفر
بكل لحيب المتنتين معرق ... كأن خطافاً في شكيمته يمري
فما هي إلا كرة بعد كرة ... وعطف حماة بالمثقفة السمر
وخلوا رياضاً من تنادح لم يخن ... عليها جلادي في المكر ولا صبري
فمن مبلغ عني الشريف ابن زرعة ... وسادة قومي من سراة بني عمرو
بأنا رمينا عن قسي عداوة ... فأيدنا الله المهيمن بالنصر
وما النصر إلا الصبر مفتاح بابه ... ومحتطم من حدث النفس بالفر
فعش ناعماً في غبطة وغضارة ... فإنا رميناهم بقاصمة الظهر"[1]

---

(١) الهمداني، الإكليل، المصدر السابق، ج٢/ ص١٣٨ - ١٤١

هذه الحروب التي تحدث عنها الهمداني لا شك أنها حروب حقيقية، وحالة عداء استمرت طويلاً بين الطرفين، فقد تطرق لها الكثير غير الهمداني مثل مفرح الربعي الذي أشار إلى أن هنالك مفاتنة كانت قائمة في منتصف القرن الهجري الخامس بين جذيمة من عنز بن وائل والعواسج من حمير، ومثل شرح قصيدة ذات الفروع لعبدالله بن حمزة[1]، وممن تطرق لحالة العداء بين عنز ومجاوريها الثقفي، ولكن القصائد التي أوردها لا شك أن فيها الكثير من النحل والتحريف كما هو حال الروايات ذاتها التي أوردها، والتي لا تخلوا من التعصب الذي ميز كتابات الهمداني بصفته أهم رواده الموقدين لناره في التاريخ العربي.

وهذه القصيدة التي أوردها على لسان أحمد بن يزيد العوسجي على العموم لا نشك في أن لها أصل نقل عنه الهمداني، فمجرد وجود مفردات مثل "الفلفت" (وهي مفردة عسيرية بامتياز تحمل صيغة تحقيرية بديلة لمفردة "جمَّعت") فإن ذلك يدل على أنها قصيدة عسيرية الهوية، ورغم أن الأحداث لا شك متقلبة والحروب دائرة بين القبائل المحلية، كما هي في كافة أنحاء الجزيرة العربية، لأسباب مختلفة، إلا أن الهمداني أشرك المجاورين عنوة في هذه المعارك، وحاول إضفاء صبغة الحرب العرقية (القحطانية مقابل العدنانية) على هذه الأحداث، واستثارة النعرة اليمانية لدى القبائل المحسوبة على القحطانية وتهييجها لمحاربة عنز بن وائل، فهنالك الكثير من الأبيات في هذه القصيدة لا يقبل المنطق أن يقولها خصم عن خصمه، ناهيك عن رجل يماني من حمير ذو صلة بالملوك عن خصمه المعدي العدناني، مع ما أثير وما يُدَّعى من استعداء بين الأطراف، فمن العجب أن أحد أبناء حمير، بل وذو اتصال بالتبابعة (حسب الخبر) يسرد مثل هذه الأبيات التي تكرِّس ضمنياً شعوره بالدونية وشعور العنزيين بالفوقية، فهو يشير إلى كبرياء وغطرسة عنز على القبائل اليمنية لمجرد أنها من "معد"، فالشاعر بدا وكأنه يلغي أي انتصار لقبيلته من أجل إستثارة حنق القحطانيين على عنز بن وائل، وهو ما يدلنا على أن هنالك أبيات هي مما أضافه الهمداني، ومما يزيد الثقة بحدوث شيء من ذلك تكرار استخدام الهمداني لمفردات شاذة في سرده

---

(١) الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤، ج٣، ص١٨٩-١٩١

وفي ما ينفرد بنقله من قصائد ينسبها لشعراء مختلفين كإبراهيم العوسجي (في ما نقله عنه حول هذه الأحداث) وغيره، بينما لم ترد هذه المفردات في المعاجم العربية، وقد علق محقق الكتاب "محمد الأكوع" بملاحظته حول ذلك تلقائياً[1]، بينما أشار الجاسر في تعليقه على كتاب صفة جزيرة العرب إلى ذلك أيضاً[2] كما سيأتي.

ويتضح من خلال متابعة أخبار قبيلة عنز بن وائل أنها قد دخلت خلال مرحلة ما قبل الإسلام في تحالف مع قبيلة خثعم فترة ليست قصيرة ووقفت إلى جوارها في حروبها مع مجاوريها، وهو ما أشار له ابن السائب الكلبي في القرن الهجري الثاني، حيث أشار إلى أن عنز بن وائل مع خثعم في الكوفة وفي فلسطين وفي السراة عندما قال:

"عنز مع خثعم حيث كانوا حلفاء لهم، قال: وفي الكوفة درب يقال له درب العنزيين، لم يبق منهم في ذلك الدرب أحد، وهو إلى جنب خثعم، وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا، وكذلك هم بفلسطين مع خثعم"[3].

وقد وجدت من يشير إلى هذه المعية وكأنها دخول في نسب خثعم، أو انضواء، والصحيح أن عنز كانت متحالفة مع خثعم ولم تدخل فيها، فالحلف بين القبيلتين كان حلفاً عسكرياً لمواجهة خصومهما المشتركين، والأحداث والأخبار المواكبة تشير إلى أن خثعم كانت أحرص على هذا التحالف، ومن ذلك ما جاء في كتاب التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب للأشعري في قوله:

---

(١) لم أر الأكوع قد شكك في الثقه بما يقوله الهمداني وتعليقه حول غموض بعض المفردات كان تعليقاً لا يحمل في ظاهره نزعة التشكك، وكان الجاسر قد أشار في تعليقه على كتاب صفة جزيرة العرب إلى انفراد الهمداني ببعض المفردات الممعنة في لغة عصره.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر السابق، انظر توطئة حمد الجاسر، ص٢١

(٣) الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، (رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١ -١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٣/ ص٤٨٥

"وقيل إن سبب انتقال خثعم بنسبها إلى نزار حرب جرت بينهم وبين نهد بن زيد فتحالفت عليهم نهد وجنب وسنحان وزبيد فأضروا بخثعم، وانتسبت إلى نزار فقالوا نحن بنو كلب بن عفرس بن حلف أفتل، نحن بنو كلب بن ربيعة بن نزار، وقالت شهران العريضة نحن بنو أنمار بن نزار فنصرتهم حينئذ عنز وعدوان ومن صاقبهم من قبائل نزار[1].

فرواية الأشعري (ت ٥٥٠هـ) هنا تدل على أن خثعم قد مالت إلى ترجيح نسبها إلى عدنان للحصول على الدعم من قبيلة عنز، لا العكس، وقد حصلت عليه بالفعل وجرت بالفعل حروب بين تحالف عنز وخثعم من جانب وتحالف مجاوريها من نهد وجنب وسنحان وبالحارث وصداء من الجانب الآخر، وكان ذلك بالطبع في مرحلة سابقة لمرحلة الأشعري (النصف الأول من القرن السادس)، بل إن حديث الأشعري عن ادعاء شهران وأكلب وأنمار الانتساب إلى عدنان (حسب رأيه) كجزء من إرهاصات تلك الحروب، وأسباب تحالفها مع عنز بن وائل هي إشارة إلى حالة مبكرة، فهي تحمل الدلالة على أن هذه الحروب التي يعنيها الأشعري كانت سابقة لعهد الكلبي، حيث تطرق الكلبي في القرن الثاني إلى وجود مقولة انتساب أنمار وأكلب إلى عدنان، كما أنه أشار إلى خبر تحالف عنز بن وائل مع خثعم، مما يؤيد أن الأشعري كان يشير إلى أحداث سابقة لمرحلة الكلبي.

وقد وجدنا أثراً مدوناً لأحداث تحالف خثعم وعنز من خلال ما أشير له في شرح قصيدة ذات الفروع عن معركة "الحزم" التي انتهت بهزيمة نهد وأحلافها، مما أدى إلى تشتت بعض هذه القبائل مثل نهد والحارث بن كعب وصداء، ونزوح وتواري أخرى، وهي القصيدة التي قالها الإمام اليمني الناصر بن الإمام المنصور عبدالله بن حمزة (٦٠٠ - ٦٣٢هـ)، ونرى أن الإشارة إلى وجود صداء ضمن الأحداث في شرح قصيدة ذات الفروع

---

(١) الأشعري، محمد بن أحمد بن إبراهيم، التعريف في الأنساب والتنويه بذوي الاحساب، تحقيق د. سعد عبدالمقصود ظلام، الناشر: نادي أبها الأدبي - أبها، ب ر ط، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٥٨

وإشارات الأشعري، ترجح قدم حدوثها، فالهمداني لم يشر إلى وجود صداء في المنطقة حال كتابته لكتاب صفة جزيرة العرب، وهو ما يسير بنا إلى أن مرحلة وجودها ومشاركتها في هذه المعارك كانت قبل مرحلته[1] (القرن الثالث والرابع للهجرة)، وهو ما يتوافق مع سبق إشارة الكلبي في القرن الثاني إلى إيراد خبر تحالف عنز وخثعم، ولعلنا نجد من خلال خبر توجه الوفود من خثعم وجنب للاستنجاد بالإمام أحمد بن سليمان في اليمن في منتصف القرن السادس، وطلبهم منه شن الحرب على عنز، ما يسوق إلى أن مرحلة تحالف عنز مع خثعم كانت قد توارت منذ ما قبل تلك المرحلة، وأن أحداث هذه التحالفات والحروب التي تحدث عنها الكلبي والأشعري وصاحب ذات الفروع كانت في مراحل سابقة، ومن ثم فالراجح أن هذه الحروب والأحداث والتحالفات كانت ممتدة منذ العصر الجاهلي، حيث تشير كتب الأخبار إلى حروب جرت في الجاهلية الأولى بين عنزة/ عنز ونهد.

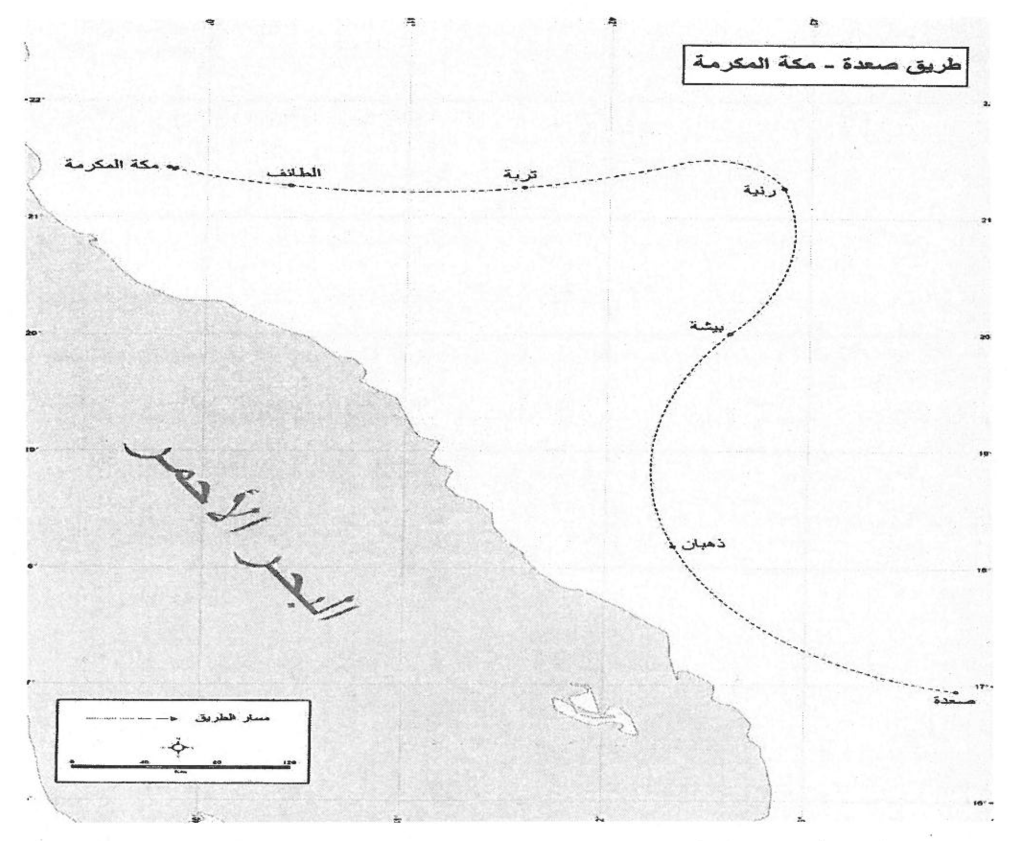
٢- القرنان الثالث والرابع:

كان الهمداني أحد الذين عرفوا إقليم عسير وعاينوه تكراراً من خلال رحلاته المستمرة بين مكة واليمن خلال نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، حيث كان في صعدة يعمل مع أهله في نقل حجاج بيت الله الحرام من صعدة إلى مكة[2] عبر سراة منطقة عسير، ومن ثم فإن أكثر ما يمكن أن يكون قد عرفه من خلال هذه الرحلات هي المنطقة المستطرقة من الحجاج فيما بين صعدة والطائف حيث يمر طريق قوافل الحج اليمنية من عمق منطقة عسير.

---

(١) أشار الهمداني في صفة جزيرة العرب إلى مواطن صداء في ذو عرف، وهجر، وعبرة، والمديد، وذي معاهر، ومرخة، وعبدان، وكلها في محافظة البيضاء، وشبوة، وجهة بلاد يافع، وبلاد عولق، انظر ص١٧٧، ١٨٧، ١٨٨

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٩



طريق الحج القديم الواصل بين صعدة ومكة المكرمة والمار بمنطقة عسير عبر بلاد السراة

المصدر: أ. د. عبدالرحمن الأنصاري، أ. فايز الأسمري، "عسير حصن الجنوب الشامخ"

وهنا نورد ما جاء عند الهمداني الذي عاش حتى عام ٣٣٤هـ تحت عنوان "جرش وأحوازها" حيث قال:

"جرش وأحوازها

جرش هي كورة نجد العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير وهو من ولد يريم ذي مقار القيل ولهم سؤدد وعود وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عنز وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون

الجزارين من موالي قريش والغاز من نزار من الغرباء وهم رابطة لعنز على العواسج ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها".

في هذا النص يشير الهمداني إلى الوضع السياسي والقبلي في جرش (حاضرة بلاد عنز بن وائل) حيث نلاحظ أنه أفصح بشكل واضح عن أن "جرش" من بلاد عنز، كما ألمح بداية عن الحروب القائمة بين العواسج ومن تقحطن معها من سنحان وجنب ونهد من جانب وجذيمة ونزار ومن تنزر معهما من عنز بن وائل من الجانب الآخر في جرش، كما نلاحظ جنوح الهمداني ذاته إلى التهييج في هذا الاتجاه، ولا شك أن تهييجه قد كان له اثر على الأحداث في المنطقة وعلى تداخل القبائل المحيطة فيها خاصة وأنه التقى ببعض أبناء المنطقة وكان على تواصل معهم مثل ابن رحمة السنحاني.

إلى أن يقول:

"والقرعا لشيبة من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى وهم مسالمون للعواسج".

نلاحظ هنا أن الهمداني أشار إلى أن بني شيبة مسالمون للعواسج بينما نجده عندما أشار إلى عسير يقول:

" ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز "[١]

عندما نقارن بين النصين نلاحظ اهتمام الهمداني بتوضيح مواقف قبائل عنز بن وائل من الحرب الدائرة حوالي جرش بين العواسج ومن يليها من جانب ونزار وجذيمة ومن يليهما من القبائل النزارية من الجانب الآخر، فقد أشار إلى مسالمة بنو شيبة للعواسج أما عسير فقد أشار إلى أنها تنزرت ودخلت في عنز، بما يعني أنها دخلت في الحروب والصراعات الدائرة إلى جانب نزار وجذيمة حاملة عصبيتها النزارية.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩ - ٢٣١

وهو ما يعني أن عسير كانت جزءاً من الصراع الدائر حول جرش من بداياته، وقد استمرت عسير في أداء دور رئيسي في أحداث المنطقة في تلك المرحلة خاصةً، في القرن السادس وما بعده كما سيأتي معنا.

ولم يقف الهمداني عند وصف الجغرافيا والسكان، بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك، فقد وصف الأحداث، وكان أكثر تفصيلاً فيها في كتابه "الإكليل"، وإن كانت النبرة المتحيزة في سياق سرده أفقدتنا الثقة في نقله، ولكنه يظل مع ذلك مصدراً مهماً لتاريخ عصره، بل هو أهم مصادر تاريخ وجغرافيا الجزيرة العربية، ومما جاء عن أحداث القرنين الثالث والرابع في كتاب الإكليل قوله:

ومن أدركنا منهم محمد بن إبراهيم بن اسحاق العوسجي، وكان سيداً جواداً شجاعاً حليماً شاعراً، وهو القائل في بعض أيامه وأيام عنز بن وائل، أنشدنيه ابن أبي عمرو السنحاني يحشد بني نهد ويشكر لجنب:

ألا يا لقومي للهموم اللوازب	وصرف زمان نابني بالعجائب
أروح اختلاف الدهر يوماً وإنني	لذو همم ما أن تضيق مذاهبي
وإني لأمضي الهم عند احتضاره	برأي أصيل في النهى والتجارب
.. ولست بمجزاع إذ الدهر عضني	ولا مستكنا للعدو المشاغب
سناني رفيقي والكميت ملاعبي	وسيفي شقيقي في المكر وصاحبي
أبى لي أن أرضى الظلامة معشر	أنوف علوا من حمير في الذوائب
وكيف ترى عنز خضوعي وذلتي	ونهد وجنب جيرتي وأقاربي
وهم عدتي في النائبات وجنتي	وحصني ودرعي في الوغى ومخالبي
... ألا يا لنهد والمسافة بيننا	ولا علم إلا حسن ظن بغائب
على ما تخلفتم وقد غصت العدا	بأرياقها من خوفكم والمقانب
دلفت لهم لما اتصلت بفتية	كرام المساعي بين ساف وحارب
فراحوا وحزناهم عن السوق عنوة	ومسجدنا حتى لجوا بالأحاطب

ونـــاديتهم نهـد بـن زيـد عليـهم ... مـن البـيض والمـاذي مثـل الكواكـب
أتـوهم ورب البيـت مـن كـل تلعـة ... عـلى كـل يعبـوب مـن الخيـل شـازب
وكـل فتـى صـلت الجبـين سـميدع ... رجـالاً وفـوق الـيعملات النجائـب
يقـــودهم الفيـــاض رزق ورهطــه ... ذو الجـود والمعـروف محـض الـضرائب
ليـــصطلموكم بالـــسيوف وبالقنـــا ... فعوجـوا قلـيلاً يـا لئـام الجلائـب
فولـــوا أســـالاً واســتقرت نفوســهم ... وأوقـــاف عنـــز كلهـــا كالثعالـــب
فلـــما رأوا أن الوعيـــد تهـــدد ... ولا راجـل بـاد ولا شـخص راكـب
تنـادوا وجاشـوا واسـتهل صريخهـم ... عـصائب تـأتي بعـدها بعـصائب
فظلنـا نـساقيهم مـن المـوت منقعـاً ... ذعافاً ويغشى المـوت مـن كـل جانـب
علينـا مفاضـات الحديـد وفـيهم ... دلاص كـأقراء النهـاء الأعـاذب
إذا مـا حملنـا حملـة مثلـوا لنـا ... وإن حملـوا زدنـاهم بالقواضـب
فكـم مـن صريـع بيننـا ومجـدل ... ومـن جـائف شـاص وآخـر حالـب
إلى أن تروحنـا ولا فـشل بنـا ... ولا فـترة كانـت ولا لغـب لاغـب
سـقى الله جنبـاً والعـلا سـنحانها ... لقـد صـبروا صـبر الكـرام الاطائـب
إذا استنزلوا للـضرب والرمـي أقبلـوا ... سـهامة مـوت كالأسـود الحـوارب
أبو عمرٍ فيهـم كـأن جبينـه ... سنا كوكب في ظلمة الليـل ثاقـب
لـنعم الفتـى يعـشو إلى ضـوء نـاره ... ونعـم لـزاز الحـرب عنـد التقـارب
فلـو أنكـم أردفتمونـا بجمعكـم ... مـع القـوم رحـتم بالحـسان الربائـب
نـواعم كـالغزلان بـيض خـدودها ... رقـاق الثنايـا واضـحات الترائـب
مـع المـال والأسرى تقـاد كأنهـا ... نجائـب قـد قرنتهـا بنجائـب
فلـما رأينـا أن أمـراً أعـاقكم ... وأن قـد قعـدتم قعـدة المتثـاوب
أذنـا لجنـب فاسـتمرت لـدارها ... سـقتها سـواري مـسبلات الـسحائب

وباكرنا أقباض[1] عنز ولفها … والأعبد في أوباشها والجلائب
فما وجدنا والعظيم أذلة … ولا كشفاً عند اللقا والتحاصب
أبا وهب إن القوم قد غربوا بنا … يسوموننا سوم الشحيح المطالب
وأنت ابن رزق في ذؤابة حمير … فتاها المرجى في جميع النوائب
وسيدها طراً وصاحب رأيها … وماجدها المذكور يوم المواكب
ألا يا ابن عمي يا نصيحي وقوتي … ويا رايت العظمى وعيني وحاجبي
إلى كم تناساني وكم أنت غافل … وأنت لهذا الصدع أنبل رائب
إليك لجائي من حريمة إنها … أدبت لنا من مكرها كالعقارب
أباحت حمانا واستحلت حريمنا … وحلت بوادينا وأعلا الشعائب
فدس عطفها يا ابن الكرام ودارها … بجيش كموج اللجة المتراكب
بذي لجب فيه الصوارم والقنا … كتائبها موصولة بكتائب
فدعها يبابا كالذي فعلت بنا … وحز فخرها في شرقها والمغارب
وقد قال ذو بصر من الناس حكمة … وما صاحب الإنسان مثل التجارب
إذا أنت لم تنفع ولم ترج نصرتي … فقامت على قبري غداة نوادبي[2]

ويستمر فيقول ص١٤٦

وقال يوم أنجدته سنحان، واسترجعت له المسجد، وقبلت الموصلي عاملاً لسلطان مكة[3]:

---

(١) علق المحقق (محمد الأكوع في الحاشية في شرحه للبيت على هذه اللفظة (أقباض) بقوله: "أقباض: اختلاط ولم ترد في معاجم اللغة التي بين أيدينا، وكثيراً ما ترد في كلام المؤلف.

(٢) الهمداني، الإكليل، نفس المصدر السابق، ج٢/ ص١٤٣- ١٤٦

(٣) هنا إشارة تاريخية هامة إلى وجود الولاية في جرش في تلك المرحلة، كما أنها (وهو الأهم) توضح لنا التبعية السياسية لإقليم جرش إلى سلطان مكة في مرحلة حياة الشاعر والمؤلف (القرنين الثالث والرابع للهجرة).

بكــرت تخـوفني الحتــوف ودمعهــا ... يجــري وأرواح العبــير تــضوع
فافظتهــا ورفــضت مــا نطقــت بــه ... حنقـــاً وأي قبيلـــة لا تفجـــع
لـيس المؤنـب بالـذي يغشى الـوغى ... إن المؤنــب مــن يــذل ويخــضع
إن الــشفا طــراد كــل طمــرة ... شــقراء تمــرح في العنـــان وتمــزع
ومحجــل كالقــدح أدهــم سـابح ... مــن فوقــه ليــث العــرين مقنــع
وإذا الكــماة تلاحظــت وتجاولــت ... والعــيش أطيــب مــا يكــون وأنفــع
لا تــسقني الــراح الــسلاف وغـادني ... ملمومـــة فيهـــا البـــوارق تلمـــع
والنبــل فيهــا والــسنور والقنــا ... والبــيض ممــا صــان أســعد تبــع
قــرع الــصفائح في القــوانس شـيمتي ... والمـــشرفية والأســـنة شرع
قــال العــواذل مــا لجسمك شـاحباً ... وعــلاك شــيب في المفــارق أصــقع
فأجبتهــا هــمٌّ تمكــن في الحــشا ... فالقلـــب مـــن حرقاتـــه يتـــصدع
لا عــيش يغبطنـــي ولــست بغافــل ... حتـــى أنـــام ودار عنـــز مهيـــع
فيهــا الخوامــع والــذئاب ترودهــا ... والـــوحش آمنـــة بهـــا لا تفـــزع
ولقــد قتلــت سراتهــم ورجــالهم ... وتركــت أعيــنهم تفـيض وتــدمع
وتــركتهم صرعــى تنــوش لحــومهم ... طــير الــسماء وضــاريات جــوع
ولــو أن قــومي مــن قبائــل مــذحج ... أدنـــوا حلالهـــم إلي وأزمعـــوا
وتحـــشدوا وتـــذامرت فتيـــانهم ... لفضــضت جمعهــم إذا مــا جمعــوا
وفللــت شــوكتهم ودســت بلادهــم ... بالخيـــل يقـــدمها همـــام أروع
في كفــه ســمراء يعــسل متنهــا ... فلهـــا ســـنان كالذبابـــة أصـــلع
فلــسعد أكــرم عنــصراً ومناصــباً ... مــنهم وأحمـــى للــذمار وأمنـــع
جنــب الحــماة بنــو الحــماة وفــيهم ... غلــب جحاجحــة تــضر وتنفــع
وإذا الكــماة تبــادرت طعــن الكــلا ... ألفيــت جنبــاً في العجاجــة تــسرع
بأكفهــا مـــن كثرهـــا مـــصقولة ... ممـــا تخـــير ذو المنـــار وأفـــرع
ســنحانها شــم الأنــوف خــضارم ... فيهـــا قماقمهـــا وفيهـــا المقنـــع

الضاربون من العدى هاماتها | والمطعمون إذا السنون تقعقع
والصادعين الشعب أوثق رتقة | والراتقين لكل سعب يصدع
يا خير مذحج كلها وسراتها | نعم العشيرة أنتم والمفزع
أنتم ليوث الناس في أزمانهم | ولكم خصال بعد ذلك أربع
نصر الأقارب والتآزر والقرى | وجفانكم من جودكم لا ترفع
فيها السديف مراكما وذراته | مسحنفرات كالجواب تدعدع
يا أخوتا ثأري وثأركم معاً | لا تذهبن به العنوز الرضع
عيدانكم نبع إذا اقترن القنا | يوم الهياج وعود عنز خروع
عودوا لهم بكتيبة يمنية | سعدية فيها السِّمام المقنع
يا للرجال عطوفهم معمورة | ورحاب قومكم يباب بلقع

يريد عطف عنز ورحبة العواسج بجرش.

يا للرجال أراكس فحنوية | فالرونتان عوامر فالمربع
لله دركم ودر أبيكم | كم تهجعون وليس عنكم يهجع
ظني بكم ظن الكريم بمثله | والله يقدر ما يشاء ويصنع(١)

لقد تعمدت هنا إدراج قصائد العوسجي كاملة كما رواها الهمداني لنستشف منها ومن السرد الذي لا يخلوا من التهييج، والاجتزاء، والنحل حدوث الكثير من الحروب بين عنز بن وائل من جانب، والقبائل المجاورة مثل العواسج، ونهد، وسنحان، والحارث بن كعب، وجنب من الجانب الآخر، وهو ما استمر لعدة قرون قبل أن تتوقف هذه الحروب في نهاية القرن السادس، وتسود بعدها حالة من التعايش كافة أنحاء المنطقة كما سيأتي معنا.

ولعل هذه الحروب تعطينا فكرة عن حجم المعاناة التي عاشتها وكابدتها قبيلة عنز بن وائل في المنطقة مع بروز فكرة الفروقات العرقية بين العرب على أساس التقسيم الثنائي

---

(١) الهمداني، الإكليل، المصدر السابق، ج٢/ ص١٤٦-١٤٨

- العدناني القحطاني - المزعوم منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، والذي انبرى لتهييجه عدد من المؤرخين والنسابة في القرون الأولى للإسلام على رأسهم الهمداني الذي زار المنطقة كثيراً وتواصل مع الكثير من أبنائها خاصة في بلاد سنحان وجنب، كما يذكر هو في كتابه، وهيج من خلال رواياته والقصائد التي ادعاها عصبية لا يبدو أنها كانت ممثلة في حروب ونزاعات القبائل وأحداث المنطقة، فكان على عنز بن وائل أن تدفع الثمن الأغلى لهذه الفكرة الطارئة على التاريخ العربي بصفتها قبيلة معدية، ومن ثم فقد صنفت كقبيلة عدنانية مقابل تصنيف معظم مجاوريها كقبائل قحطانية، فظلت هذه القبيلة في حالة صدام وعداء مع مجاوريها، وتخوض صراعاً من أجل البقاء لعدة قرون، قبل أن تضعف المنطقة كاملة مع حدوث كارثة الوباء الذي اجتاحها في نهاية القرن السادس، فتتنصل من عصبيتها الموحدة، لتبدأ بعدها في التنصل من مسماها الجامع المشهور في الموقع، بل وتعلن بعض بطونها الملاصقة لبلاد خولان، وهمدان، ووادعة حلفاً بإسم موحد مع بعض مجاوريها يحمل عصبية الطرف الآخر مباشرة: "قحطان" للمحافظة على وجودها، بينما اختفى مسمى جنب ومسمى عنز بن وائل ومسمى خثعم.

ولكننا وقبل أن نغادر الهمداني وما أورده حول هذه الحروب نرى أن من الضروري التنبيه على تدني درجة موثوقية كتب الهمداني كمصدر للخبر فيما أوردت حول أحداث المنطقة.

ففي هذه الأبيات نجد تهييجاً وحشداً واستدعاءً للعصبية اليمنية مقابل المعدية بفجاجة لا نجدها في سواها، فالشاعر هنا يستغيث بقبائل جنب ونهد ويستحثها بصفتها يمنية لحرب عنز بن وائل (المعدية)، ويقول لهم - بما معناه - أنكم غافلون ولكن عدوكم ليس بغافل عنكم، فإن لم تنصرونا فستكونون الضحية التالية، فهبوا هبة يمنية ؟!، ومثل هذه الروح شديدة العدائية التي تحرض على القتال على أساس الفروق العرقية المزعومة بين القبائل العربية على أساس اليمانيين القحطانيين والمعديين العدنانيين، انفرد الهمداني بتأجيجها ونقلها عن غيره في ما ينقله من قصائد دون سواه، وهذه القصائد لم تخرج عن ما

عهد من قصائد الهمداني التي ينفرد بنقلها عن الشعراء لتحريض هذه الروح.

ويلاحظ أن معظم أبيات هذه القصائد التي أوردها على لسان إبراهيم العوسجي لم تحمل في طياتها إلا الأماني وكثرة التشكي والتظلم والاستغاثة بالقبائل اليمنية ولومها على تأخرها في نصرة العواسج، ولا تشير إلى التقليل من شأن الخصم ولا السخرية منه، وهي بذلك لا تنتمي إلى السياق الأدبي لنهج الشعراء العرب في الهجاء، والذي يميل عادة إلى الإكثار من تحقير الخصم والتفاخر عليه والسخرية منه، فالشعراء حتى وإن اعترفوا لخصومهم بالندية، فهم لا يتجاوزون ذلك إلى التقليل من شأن انتصارهم، بينما الشاعر هنا يكثر من التشكي من تعدي العنزيين عليهم، ويتوجع بحرقة، وفي ذلك ما فيه من الغلو في محاولة استثارة الحمية اليمنية وإثارة الحنق على قبائل عنز بن وائل.

ومع صحة حدوث هذه الحروب بين جذيمة من عنز والعواسج، التي تطورت فيما بعد إلى حروب شاملة بين القبائل في المنطقة، والتي تؤيد حدوثها بقية المصادر اليمنية وغيرها، إلا أن الراجح أن هذه الحروب كانت في بدايتها ذات طابع محلي بين قبيلتين متجاورتين (جذيمة والعواسج) تختصمان على موقع السوق والنفوذ والثأر كباقي القبائل العربية، وربما تحالفت هذه وتلك ضد جارتيهما، كما يجري دائماً، ونرى أن من هيج النزعة العرقية لهذه الحروب، ومن كان يبالغ في التشكي في هذه القصائد، ويستفز النعرة القبلية لدى القبائل المحسوبة في تلك المرحلة على القحطانية اليمنية مقابل عنز المحسوبة على العدنانية هو ناقل هذه الأبيات في الكتاب، سواء صحت نسبتها إلى نفس الكاتب او سواه، والله أعلم[1].

---

(١) بالإضافة لما تقدم فإن هنالك الكثير من الأسئلة تتعلق باللغة، تدور حول قصائد الهمداني ونسبتها إلى من نسبها إليهم أو في أقل الأحوال نسبة الجزء الأكبر منها إلى من نسبت إليه، فهو مثلاً يقول في قصيدة أحمد بن إبان التي اوردنا نصها: وساقت علينا من معد قبائلاً ** تبختر في الماذي في الحلق الخضر. بينما جاء في قصيدة إبراهيم العوسجي قوله: وناديتهم نهد بن زيد عليهم ** من البيض والماذي مثل الكواكب. ونلاحظ هنا تشابه الأسلوب، وتكرار استخدام مفردة الماذي والألوان ==

ولكن في العموم فلا شك لدينا من خلال التوافق اللغوي جزئياً مع اللهجات المحلية وتواتر ورود هذه الأحداث في مصادر أخرى، بالإضافة لتلقائية بعض الإشارات التي يغفل عنها الهمداني، مثل عدم إدراجه للقرى الواردة في القصائد التي نقلها في الإكليل عن العوسجي مثل الرونتان، والمربع، وحنوية[1] ضمن بلاد عنز بن وائل في كتاب صفة جزيرة العرب، وهذا يعني صحة انتماء الأبيات التي حملت أسماء هذه القرى إلى شاعرها، مما يدل على أن جزءاً من هذه القصائد هي قصائد حقيقية كما أسلفنا، إلا أن من الواضح أنه قد حدث تصرف متعمد في نصها بالإضافة أو الحذف أو التحريف.

ونعود للنص ودلاته فنقول، إن من أهم ما حواه النص هنا من دلالات تاريخية: إشارة الهمداني إلى أن سنحان بعد أن أنجدت العوسجي وأعادت له المسجد (في جرش) قوله:

==

لدى الشاعرين، وهو ما قد يدل على وحدة لغة المؤلف. وفي هذا الخصوص نشير إلى ملاحظة المحقق على إحدى المفردات التي جاءت في قصيدة أحمد بن إبان عندما قال: وباكرنا أقباض عنز ولفها ** والأعبد في أوباشها والجلائب. فقد علق المحقق (محمد الأكوع) في الحاشية في شرحه للبيت بقوله: "أقباض: اختلاط ولم ترد في معاجم اللغة التي بين أيدينا، وكثيراً ما ترد في كلام المؤلف"، وبالفعل نجد المفردة نفسها وردت أيضاً في السرد المباشر للهمداني في نفس الكتاب في موقع آخر حين قال: "قال المستنير بن المستنير: إنما اجتمعت أقباض من خولان فاحتلفوا وكتبوا حلفهم في أديم أحمر"، وقد علق المحقق في الهامش بقوله: "لم يظهر تفسير كلمة أقباض بعد التفتيش عليها في معاجم اللغة الموجودة في حوزتي" ؛ وفي هذا الخصوص يجدر بنا العودة إلى ما قاله الجاسر عن كتب الهمداني عندما قال: "ومن الألفاظ التي نقرأها في كتبه ما لا نجد له أصولاً فيما بين أيدينا من كتب اللغة، ولا نستطيع الجزم بصحته إذ كثير من نصوص الهمداني دخلها التحريف ولم تصل إلينا لها أصول صحيحة انظر:

- الهمداني، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١/ ص٢٦٤
- الهمداني، صفة جزيرة العرب، انظر توطئة حمدالجاسر، ص٢١

(١) قرى لا زالت معروفة بين الواديين واحد رفيدة وخميس مشيط

"وقبلت الموصلي عاملاً لسلطان مكة"[(١)]

وهذه إشارة واضحة إلى اسم والي جرش في القرن الرابع وتبعيته لسلطان مكة، وإقرار مجاوري جرش بذلك بما فيهم قبائل المنطقة المتواشجة مع اليمن.

ومع كل ما ذكره الهمداني حول الصراعات في هذه المرحلة، فإننا نجد أن ركباً من عرفاء عنز بن وائل قد اتجهوا عام ٣٩٠هـ إلى صعدة، وقاتلوا إلى جوار الإمام المنصور[(٢)] عند دخوله صعدة[(٣)] - في بادئ الأمر - قادماً من ترج (إحدى بلاد سراة منطقة عسير).

ولهذا الحدث دلالاته، إذ أن عنز بن وائل كانت في حالة صراع مع مجاوريها حينه، كما روى الهمداني، ومن ثم فمسارعتها إلى دعم العياني القرشي القادم من ترج إلى صعدة، والمشاركة في تثبيت حكمه، ربما هدف إلى الحصول على الدعم، بعد أن أثيرت العصبية في الوسط المحيط، كما يدل على تنبه العنزيين لما يدور في جوارهم، والأخذ بزمام المبادة لتعزيز وضعهم الأمني في البيئة المحيطة.

وقد تزامن هذا الحدث مع مرحلة "البشاري المقدسي" صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" الذي أشار ضمنيا إلى وجود عنز بن وائل إلى جنوب غيل جلاجل وجرش في تلك المرحلة، كما جاء معنا !.

٣- القرن الخامس

وبعد الهمداني بقرن من الزمان تقريباً، جاءت بعض المصادر التاريخية المعاصرة وشهود العيان ممن مروا بجرش وأحوازها خلال القرن الخامس، وورد في وصفهم للوضع السياسي القائم بها في حينه ما يدل على استمرار تبعيتها لولاية مكة، فرغم ما جاء معنا من إشارات حول حضور جمع من عنز بن وائل لليمن نهاية القرن الرابع لدعم الإمام الجديد القادم من

---

(١) الهمداني، الإكليل ، ج٢/ ص١٤٦

(٢) الهمداني، الحسين بن أحمد بن يعقوب، سيرة الإمام القاسم بن علي العياني، ص١٧٥

(٣) المصدر السابق، ص١٨٥

ترج لصعدة، إلا أننا لم نجد ما يدل على أي ارتباط سياسي لبلاد عنز بن وائل مع أئمة اليمن في القرن الخامس، إذ نجد البكري (ت٤٨٧هـ) أشار إلى جرش بصفتها إحدى المخاليف النجدية، والتي كانت تابعة لولاية مكة ـ كما جاء معنا في هذا المبحث (أنظر في هذا الفصل: "أولاً: "الوضع السياسي في جرش - حاضرة بلاد عنز بن وائل - منذ البعثة النبوية") ـ وهو ما يعني استمرارية ارتباط جرش وأحوازها بمكة خلال القرن الخامس، بمثل ما كان الحال عليه فيما قبل ذلك.

وعلى الرغم من إشارة المقدسي في نهاية القرن الرابع إلى تواجد عنز بن وائل جنوب "غيل جلاجل" و"جرش" ـ كما ورد معنا ـ إلا أننا لم نجد ما يدل على حقيقة، أو على استمرار هذا التواجد في العمق خلال القرن الخامس، إذ أن رحلة القاسم العياني خلال منتصف القرن الخامس جاءت حاملة معها أوصاف المواقع والقبائل التي تقطنها ابتداء من صعدة إلى ترج، مروراً ببلاد عنز بن وائل في جرش وما حولها، فقد وصف مفرح الربعي في كتابه "سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين" رحلة أبناء العياني المذكورة ـ بعد استيلاء الصليحي على اليمن ـ ولم يشر فيها إلى تواجد عنز بن وائل فيما وقع جنوب غيل جلاجل، إلا إذا أخذنا في الاعتبار أن العياني ورفاقه كانوا خلال رحلتهم يتنقلون متخفين، فيتحاشون بعض البلاد ويمرون بأخرى تلافياً لانكشافهم والوشاية بهم (حسب وصفه)، إذ يشير خلال وصفه لرحلتهم إلى تعرضهم أحياناً لتعامل عدائي وصلف، وفي بعض الحالات إلى مهاجمة مضيفيهم لهم لولا أنهم وجدوهم قد وصلوا لديارهم وأصبحوا ضيوفهم، فقد يكون هذا هو سبب عدم مروره ببلاد عنز بتلك الجهات، واتجاهه للسير شرقاً عبر بدر وسنحان ومنها إلى راحة شريف، خاصة وأنه ورد خلال القرن الهجري السابع (عام ٦١٤هـ) ما قد يفهم منه تواجد قبيلة عنز بن وائل بالقرب من بلاد شريف، عندما استنجد الإمام اليمني المعتضد بالله يحيى بن المحسن في صعدة عام ٦١٤هـ بأهل الشام فخرج معه ثلاثمائة من عنز وشريف، وهو ما يعضد إشارة المقدسي. كما جاء فيه ما يحمل الدلالة على الحالة السياسية في حينه، حيث يتضح أن أحواز جرش من بلاد عنز وجنب وخثعم كانت في ذاتها بمنأى عن أحداث اليمن إذ يذكر أنه

طاب له المقام في راحة شريف ثمانية أيام وأزمع المكوث بها لولا خوفه من الوشاية به، فقرر المواصلة لترج، كما واجه ببعض البلاد عداء وصلف، أثناء مروره متجهاً عبر بلاد عنز بن وائل إلى ترج، ثم يسرد أخبار مكوثهم في ترج، ثم يصف لنا رحلة العودة مروراً بأحواز جرش، وعن مروره ببلاد عنز يقول: "فلما قربنا من بلاد عنز بن وائل جعلوا يلحقون بنا فارساً واثنين حتى لحقنا منهم ثمانية فرسان، وتحقق للشريف أنهم يريدون بنا المكيدة، فنزل، فصلى وصنوه محمد بن جعفر، وحشمر بن عبد الأعلى راكبان، فلما صلى ركب ونزل صنوه فصلى، فلما فرغ ركب ونزل حشمر فصلى، والقوم في خلال ذلك يديرون الرأي ويشتورون. فلما فرغنا من الصلاة أقبل القوم بأجمعهم إلينا، ثم استفتح شيخ لهم الكلام فقال: يا شريف والشريف الله، ها هنا حد، وإلى ها هنا صحابتنا، وفي نفوسهم الغدر والخديعة والمكر، فلما سمع الشريف ذلك منهم قال لهم: يا وجوه العرب! لست بحراث ولا تاجر فترغبون في، أو تهولون علي، أنا رجل من بني الحسن، أنا القاسم بن جعفر من أخذني ها هنا أخذته بمكة. ثم قال لنا: امضوا فمضينا غير بعيد، إلا وتبعونا يقولون: يا شريف أنتم صحابتنا! ثم مضينا نحن وهم، ونحن على أحزم أمورنا، حتى انتهوا بنا إلى قرية من بلد عنز مما يليهم، فلقينا أهل تلك القرية بالترحيب، فقال لهم الشريف: ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابة لنا إلى إمامنا، فصحبونا حتى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل، وهو دليل الحاج، فرحب وأجمل وقرى، وأجزل وعرفنا أنه مفاتن للعواسج بجرش. وكانت كتب بني الصليحي قد تقدمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرة الصليحي بمساءتنا حراص، ونحن لهم خوف، وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً، فأمرنا فكمنّا في دربه صبيحة يومنا ذلك، فلما كان من الليل ركب معنا حتى استصحب لنا رجلاً رفيدياً من عنز، فسار بنا الرجل من فوره حتى إذا صرنا في بعض الطريق تبعنا من عشيرته خيل ورجال يريدون الغدر فينا، وقدموا منهم رجلين إلى مضيقٍ قدامنا يعرفونه، وأمروا هذين الرجلين بلزم رفيقهم إذا مر بهما في المضيق، فلما صرنا إلى ذلك الطريق وثب الرجلان فلزما رفيقهم، فلما رأى ذلك الشريف الفاضل حمل هو وصنوه محمد بن جعفر على الرجلين بالسيوف، فخليا عن شكيمة فرس

صاحبنا، ومضينا على حالنا حتى انتهينا إلى الشقرة من بلد شهران حتى صرنا إلى ترج بالسلامة بعد مشقة من الخوف وانقطاع من الزاد. فلما أفضينا إلى ترج مضى الشريف قاصداً إلى معافى بن بدر. وأقمنا هنالك في أحسن حال وأنعم بال، وليس لنا اشتغال إلا بقراءة كتاب أو صلاة أو مدارسة. وتزوج الشريف الفاضل امرأة من آل صهيب. فلما أرادوا الخروج إلى اليمامة طلقها. "(1).

وقد روى بعد ذلك قصة استقراره بترج لمدة ثمان سنوات وخلالها رحلته إلى مكة ثم إلىالمدينة المنورة حتى ورده مقتل الصليحي فعاد إلى ترج وفي ذلك يقول:

"وصحت الأخبار بمقتل الصليحي، وبنى الشريف على الإقامة بترج لخبرته بتمكن الصليحي باليمن وكثرة أموالهم وأعوانهم وضعف همم الكثير من الناس وخذلانهم، ثم ذكر من خلَّفه من آله وأوليائه وشيعته وأحبابه فأزعجه ذلك عن المقام فعزم على السفر وبقينا نتوقع الرفيق، فنحن بذلك إذ قدم ذلك الجمع الذي لقينا بتربة قد وصلوا مكة وصحت لهم ألأخبار وعادوا، فسألهم الشريف الصحابة فأنعموا ونهضنا معهم من ترج حتى إذا صرنا على بريد من ترج اجتمع رؤساؤهم فاشتوروا من أجلنا فأشار بعضهم بقتلنا، وأشار بعضهم بردنا. ثم أقبل القوم إلينا بعد إجماعهم على ردنا فواجهونا بذلك. فقال الشريف: إذا كرهتم صحابتنا فنحن نكثر من خيرة الله سبحانه فانثنى منهم ومعنا رفيق لنا خثعمي. ثم بنى الشريف الفاضل على المضي إلى بلد نهد ثم منها إلى نجران. فبينا نحن في الطريق إذ عرض لنا ثلاثة ركبان فاستعرضناهم فإذا هم من آل صهيب من خثعم فعرفهم الشريف الفاضل وعرفوه للمصاهرة التي كانت بينه وبينهم. فسألهم الصحابة إلى أكلب بأسفل بيشة فسأله الرجل الصهيبي عن غرضه فلم يخبره فلج عليه وقال: لعل عندي فيما تؤمل رأياً فأخبره الشريف فقال: معي وحباً ونعماً فأهلي على سعف من الطريق مما يلي بلد عنز بن وائل، وعليَّ لكم الصحابة إلى أن تصلوا العوسجي بجرش فمضينا معه

---

(1) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ص١٢٠ - ١٢٤

ثلاثة أيام لا نلقي أنيساً حتى أفضينا إلى أهله فقرى وأجزل. ثم وجه معنا رجلين فسارا بنا نهاراً ثم ليلاً حتى وقفا بنا على باب العوسجي بجرش قرب الصباح فظهر إلينا فرحب وقرب ثم سأله الشريف الصحابة فأنعم فإننا لكذلك إذ ورد علينا علي بن عبدالقادر الجنبي فقال: يا شريف قد أتى الله بالرفيق فواجه لنا ذلك الرجل وسأله صحابتنا فأنعم. فنهضنا مع رجل أكرم به مصاحباً.

فلما كان يوم ثاني صادفنا سوقاً يجتمع الناس إليه فكلما رآنا ناس هشوا إلينا، وأغاروا علينا، وتلقاهم رفيقنا فيدفعهم عنا ويكتم من يغير إلينا شأننا. فلم نزل من ناس في ناس ونتخلص من ناس حتى أشرف بنا على الراحة فصلى الشريف في صلاحه وخُفّيه من الخوف والعجلة، وقد بنى صاحبنا على أن يسري بنا بلد جنب خوفاً علينا فمضينا حتى أفضينا إلى عقبة صعبة قد لزمنا فيها الليل فسقط الشريف من راحلته فصار ذلك الرجل يتلهف للشريف وسقطته ثم أقسم لا زدت سرت بكم الليلة بعد سلامة الشريف فلله الحمد. ثم أمسى بنا عند رجل من بني عمه فأخبره بمكاننا ولم يكتم عنه شيئاً من شأننا. فلما كان من الغد نهضنا ونهض معنا نهاراً حتى وصلنا إلى مكانه ظهراً فقرب لنا طعاماً وسألنا أن نقف عنده أياماً فتخوفنا أن يقع علمنا مع حسين بن عمر الشواحطي وهو بشواحط يومئذ فلم نقف. ومضينا من فورنا حتى وصلنا أدنى بلاد وادعة"[1].

ومن خلال وصف الربعي يبدو أن جرش كانت لم تزل مدينة عامرة في تلك المرحلة، كما أن العواسج كانوا لا يزالون يقطنون إلى جوار عنز بن وائل في جرش حتى تلك المرحلة، كما نجد من خلال السرد أن بلاد السراة في تلك المرحلة كانت منطقة قبلية مستقلة سياسياً عن المناطق المحيطة في اليمن وفي مكة سوى بعض مناطقها الطارفة مثل بلاد سنحان التي كانت على اتصال بالكامل الصليحي في اليمن بصفتهم بايعوه وتعاهدوا

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ص١٤٠ - ١٤٢

على نصرته عندما التقى بهم في مكة أثناء الحج كما يقول عمارة[1]، أو ترج التي كان عليها والٍ من قبل شريف مكة، كما أن من الواضح وجود قبائل جنب وعنز بن وائل كقبائل كبرى في تلك المرحلة حوالي جرش، إلا أننا لم نجد ما يشير إلى أي نوع من العداء بين القبيلتين في تلك المرحلة، بينما نجد أن الربعي يصادق على ما أورده الهمداني من وجود عداء بين بعض قبائل جذيمة (من عنز) والعواسج حول السيادة في جرش بما يوافق إلى حد كبير التفاصيل التي وردت في أشعار محمد بن إبراهيم العوسجي في الإكليل، ومن الملاحظ عدم وجود ما يسمى بقبيلة قحطان في تلك المرحلة حيث لم يورد ذكرها رغم مروره عبر ديار القبائل المنضوية تحتها لاحقاً، بل وأطلق على القبائل مسماها منفردة كسنحان، وشريف، وعبيدة، بينما كانت رفيدة تعد من قبائل عنز بن وائل.

وفي العموم فمن الواضح من خلال النص عدم وجود حكم مركزي في منطقة عسير وخاصة حوالي جرش في تلك المرحلة، وظهور التكتلات القبلية كموجه للوضع العام والأحداث.

٤- القرن السادس

كان القرن السادس مليء بالحراك السياسي والصراعات والمنافسات الاقتصادية والأحداث، وقد تركز هذا الحراك في المنطقة الواقعة على امتداد بلاد عنز بن وائل في جرش وبلاد جنب وبلاد خثعم وما حولها، فنحن نجد إشارات إلى مواجهات، وتنافس سياسي واقتصادي عسكري بين القبائل المحلية اخذ بعداً جديداً وتحالفات جديدة، فقد جاء في كتاب "سيرة الإمام احمد بن سليمان" الثقفي التالي:

(١) اليمني، عمارة، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، حواشي سفلية، ص١٠٣، ١٠٩

"قال: وكان ممن وصل في تلك المدة[1] إليه مشايخ من جنب بن سعد من أهل راحة وما يليها، وذكروا له أمر رجل من عنز يقال له عرفطة بن الطحل[2] أنه قطع طريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وسألوه المخرج إليه ففعل ذلك. ونهض بقوم من خولان أهل خيل وتراس وقياس إلى أن بلغ جانباً من العرض من بلاد بني حي، ثم بلغه أن قوماً من يرسم قتلوا رجلاً من بني حمزة وهربوا (إلى) بلاد الربيعة، وكان معه جماعة من الفريقين فاستأذنوه للرجوع فأذن لهم. وأمر بخراب منازل أهل الخطأ من يرسم، ثم علم بعد ذلك أن الذين أمروهم بخراب المنازل من بني مالك ربما أن يأخذوا الجاني، ويبلغوا منهم بذلك غرضاً لعله الأمر فانثنى عن مخرجه ذلك. وعاد إلى الحقل وقد وقع بين بني مالك وأهل صعدة فتنة فأصلح بينهم، وأتى وقد خربت منازل المخطئين فأقام بالجبجب أياماً، ووفد

---

(١) كانت هذه الحادثة في الأشهر الأولى من عام ٥٣٦هـ حسب ما ورد في المصدر، انظر: الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٩٦

(٢) لا زالت عشيرة "آل الطحل" تحمل نفس المسمى وتقع مواطنها في "التلادة" - أحد بطون بني مالك عسير - بين قرى آل جاهل وصعبان ومسلت - حيث موقع "الحدبة" التاريخية -، وتستأثر قرية "آل الطحل" بكونها نقطة ينكسر عندها درب قوافل حجاج اليمن وبالضبط حيث يقام لهم سوق بجوار القرية اسمه "سوق العصبة" تطل عليه مباشرة هذه العشيرة (ال الطحل)، ويتوقف فيه حجاج اليمن أثناء ذهابهم وأثناء عودتهم ليبيعوا بضائعهم ويشترون من البضائع المحلية، فيقدم الناس إليه من جميع المناطق المجاورة، ليتبايعوا معهم، وقد ظل هذا السوق قائماً إلى ما قبل العقد السابع من القرن الهجري الماضي (الرابع عشر) ؛ (انظر: آل حامد، عبدالرحمن، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، ب د ن، ص٨٥٨ ؛ وانظر: محمد صالح الثبيت، التلادة قرى وسكان، ب د ن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٥٥، ٥٦) ؛ وهو ما يدل على علاقة المشكلة الحادثة حينها - بين عنز بن وائل من جهة، وجنب وخثعم من الجهة الأخرى - بهذا السوق الخاص بالحجاج (سوق العصبة) الذي يشرف عليه "ال الطحل" منذ ذلك الحين، والذي يبدو من خلال الرواية أن "عرفطة" الذي كان أحد أفراد هذه العشيرة، كان ذو قيادة وإمارة ومكانة خاصة في قبائل عنز بن وائل.

إليه محمد بن منصور بن عبدرب وجماعة من أصحابه ومشايخ من خثعم ومنهم مزروع بن زياد فهم بالمخرج معهم إلى بلاد عنز، وعلمت بذلك خولان فوصلوا إليه وسألوه التوقف لاشتغالهم ذلك الوقت بالزرائع وغيرها إلى أن يفرغوا ففعل ذلك. ثم إنه تقدم إلى الأبقور ووصل جبل الغز يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله، ويحضهم على المخرج معه إلى الشام، وكان حريصاً على المخرج إلى بلاد عنز، وقد كان عقد بذلك للجنبيين والخثعميين، وقال في ذلك الوقت شعراً يؤنب فيه قبائل خولان وبعضهم على المخرج معه وهو:

دعوت الملا طرا إلى خير الاديان ... وناديت جهرا في نزار وقحطان
وقلبتهم تقليب طب مجرب ... ولم آل في نصح لهم منذ أزمان
فلم ألق فيهم مثل خولان عن يد ... بناة العلا قدماً فأكرم بخولان

إلى أن يقول:

وأبت ووافاني مشايخ خثعم ... وجنب بناة المكرمات وسنحان
وقالوا نخرج نحو عنز فإنهم ... أحق الملا بالخزي في كل الاحيان
وهم قطعوا الحجاج من بيت ربنا ... وفيهم طغاة أهل فسق وعصيان
وحينئذ زعزعت كلهم معا ... وناديتهم جهراً وأنجاد كهلان
وجئت إلى الأبقور أطلب نصرة ... وليسوا قليلاً بل هم اليوم ألفان
وهم جد خولان وليس فعالهم ... غبياً وهم في البعد أنصح الإخوان
فأكرم بهم في الناس أبنا منبه ... وإبنا سنيف من شيوخ وشبان
وأبناء عباد وأبناء حارث ... ذوي الجود والإحسان في رأس جازان
وقد صحبتني (   ) هم وآل جابر ... وهم أهل سري في الأنام وإعلاني
فلله هم من معشر ليس مثلهم ... وخلان صدق لا يقاس بخلان
لهم معنا صبر وسبق وهمة ... جميعاً وسلطان على كل سلطان

قال: فلما أن سمعوه أجابوا الإمام عليه السلام إلى ما دعاهم إليه، وعاد إلى حيدان وبلاد

مران فذكرهم بما كان من عقودهم، وسألهم المخرج معه فأجابوه إلى ذلك. فلما أن علم أهل الحقل بإجابة الناس له علموا أنه سيظهر عليهم وينيلهم السوء بأفعالهم، وخشوا عواقب ذلك فسعوا في تعويق مخرجه، وأتوا إلى رجل من أهل مجز من بني حي يقال له محمد بن القمي وقد وصل من اليمن بشيء قد جمعه فأمروه بالخلاف، ووعدوه بالمعونة بالنفوس والأموال، وكان قد راسمه قوم من أهل اليمن على ذلك من أهل الفساد منهم، فعمد عند ذلك إلى قطار آت من نجران بأحمال كثيرة من عطب وتمر بعضه من صقات نجران وبعضه لتجار من أهل صعدة ونجران فنهبه، وعقر أربعاً من الأبل، وقتل رجلاً من الحناجر، وقتل رجلاً من أصحابه، وكانوا يزيدون على المائة بغير من حضر معهم من البقرا، وكان ذلك أسفل بلاد البقرا من الحذا. فلما علم بذلك الإمام عليه السلام وهو بحيدان حركهم على المخرج معه، وكانوا هم وكافة جماعة في مخرج نجران، فخرج من عندهم غضبانا عليهم، وسار معه منهم رجلان يقال لهما محمد بن الحربي ومحمد بن جابر فقال لهما أصحابهما: إلى أين تريدان والعدو مصبح لنا غدا، فاستأذناه في الوقوف فأذن لهما، وسار فلقيه بعض عدوهم، وهم الذين قالوا هم لهم مصبحين بالحرب، فسألهم عن ذلك فقالوا ليس لذلك حقيقة، ثم لحقه أحد الرجلين فقال: إنهم أرادوا بذلك الكلام أن يلزمونا عن المسير معك فاشتد غضبه عليهم وقال: قد تمنوا الفتن فالله يوقع بأسهم بينهم ويعيضنا بهم خيراً منهم، فاستجاب الله له ذلك الدعاء ووقعت بينهم الحرب، فبلغ بينهم القتال ثلاثين رجلاً وما عرف بينهم ذمام مدة طويلة"[١].

ثم ينقطع الخبر، وبعد عدة سنوات نجد أن الإمام أحمد غزا وادعة ويام في "غيل جلاجل"، وقال في ذلك شعرا، منه:

---

(١) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٩٨-٩٩

فدعوت أبطال الحجاز فبادروا وأتت إلي عساكري وجحافلي[1]
ودعوت ذا العليا منيفا دعوة فأجاب كالسبع الفروس الصائل
وله مكارم من أبيه وجده مشهورة وسمت بعز طائل
هم رؤوس قحطان وذروة مذحج ما أي قحطان لهم بمشاكل
وفوارس من خثعم أكرم بهم وصلوا من البلد البعيد الراحل[2]"[3]

إلى أن يقول في موقع آخر:

" فلما تعذر ذلك عزم الإمام على التقدم مع قاسم إلى بلاد عنز[4] وخثعم وجنب ومن زادهم فتقدم إلى أن وصل قطابر من بلد بني جماعة، فنالته حمى شديدة، فأقام بها متوعكاً

---

(١) يقصد بالحجاز بلاد جنب (شريف وسنحان وعبيدة)وخثعم، ولعل ذلك مصداقاً لما ذكره الأكوع في تحقيقه لكتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" عندما أشار إلى إطلاق اليمنيين على ما وقع شمال طلحة الملك الحجاز ؛ للمزيد من التفصيل انظر ١ - الحكمي، عمارة، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، حواشي سفلية، ص ١٠٣، ١٠٩. ٢-جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٠٣ .٣- حوليات يمانية، مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ص٦٣.

(٢) نجد في إشارته إلى قدوم خثعم من البلد التي وصفها ب(البعيد الراحل) ما يدل على انقطاع بلاد خثعم (شهران) وما حولها من بلاد جنب عن بلاد الإمام، وأن العلاقة كانت علاقة تحالف بدأت مع تداخل قبائل جنب ويام مع أحداث اليمن بعد اتفاقهم مع الكامل الصليحي أثناء لقائه بهم في الحج على نصرته ما أدى لمزيد من تداخل القبائل المجاورة كعبيدة وخثعم مع أحداث تلك المرحلة في صعدة وما بينها وبين نجران.

(٣) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٢٠٠.

(٤) كانت هذه الأحداث في مطلع عام ٥٥٠هـ، انظر: الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٢٠٧.

ينتظر البرء، ولم يتهيأ له ذلك، فقال للأمير قاسم: ما أرى أمورنا إلا متعذرة من أولها ابتدأناها بلقاء منيف فمات شيخهم، واستنهضنا نريد الحجاز[1]"[2].

من خلال هذه الرواية وما جاء بعدها نلاحظ أن وفود جنب وخثعم قد طلبوا من الإمام الخروج لغزو عنز بن وائل لأن "عرفطة بن الطحل" قد قطع طريق الحجاج كما يقولون، ونلاحظ اتجاه الإمام إلى جمع عددا كبيرا من القبائل بالإضافة إلى القبائل المعنية (سنحان وجنب وخثعم)، ومما يلفت الإنتباه أنه ورغم تكرار محاولاته التوجه لغزو عنز إلا أنه لم يتم ذلك، إذ كانت تتثاقل القبائل اليمنية عن الخروج معه كل ما هم بالنهوض، بل انتهى به الأمر بعد ذلك بعدة سنوات إلى أن غزا "وادعة" و"يام" في "غيل جلاجل" المجاورة لبلاد "جنب" و"خثعم" و"عنز"، وضمن جيشه نفس القبائل التي كانت حرضته على غزو عنز، كل من: "جنب" و"سنحان" و"خثعم"، وكان الوضع مهيئا لغزو بلاد عنز بن وائل القريبة منه في ظل اجتماع القبائل اليمنية إلى جانب القبائل المعنية، إلا أنه لم يفعل، مما يدل على التراجع الكامل عن الرغبة في غزو بلاد عنز، وتراجع حالة المواجهة، وعودة العلاقات لسابقها.

فهنا نجد أن قبيلة جنب قد حضر وفد منها بداية ثم حضر وفد من خثعم وحضر وفد من سنحان، وهي قبائل كبيرة ومحاربة، وادعوا بقطع طريق الحجاج من قبل شخص لم يذكر الكاتب صفته القبلية سوى أنه من عنز بن وائل، فالشكوى كانت من قبيلتي جنب وخثعم المتجاورتين والمجاورتين لبلاد عنز بن وائل من الجنوب والشرق بالإضافة

---

(١) رغم تداخل قبائل جنب منذ القرن الرابع مع أحداث اليمن، إلا أن هذا التداخل كان محصوراً في مشاركة هذه القبائل في الحروب القائمة هنالك بين الأئمة في البلاد اليمنية ذاتها، لذا ظل اليمنيون يطلقون على بلاد جنب مسمى الحجاز، وعلى أهلها مسمى الحجازيين أو أهل الحجاز، وهو ما نلاحظ تكراره هنا.

(٢) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٢٠٨

لسنحان الواقعة إلى الجنوب ولكنها غير مجاورة لعنز بن وائل، ونلاحظ أن القبائل الثلاث يجمع بينها أنها تقع على امتداد طريق حجاج صعدة إلى مكة الذي يتجه من جلاجل شرقاً إلى أن يمر ببلاد سنحان في "سروم راح" وقد يطلق عليها "سروم الفيض"[(١)]، ثم عبر بلاد جنب إلى أن يقف في "طريب" ثم منها يتجة إلى بلاد خثعم بدءاً بـ"يعرى" وانتهاء "ببيشة" و"تبالة" ومنها عبر رنية والطائف إلى مكة، ولنا مع هذه المواقع عودة.

في هذا الخبر نجد أن عنز بن وائل تنتج قاطع طريق تضرب شهرته الآفاق ويستطيل أذاه حتى تستنجد القبائل المجاورة بإمام اليمن لغزو قبيلة عنز بن وائل، فظهر وكأنها متضامنة معه في قطع طريق الحاج، لذا فقد اتجه المتضررون من تصرف هذه القبيلة - قاطعة الطريق - إلى القوى المجاورة (إمام اليمن)، والتي يمر حجاجها بنفس الطريق!.

وهنا... يظهر لنا من خلال تداعيات الرواية وتسلسل أحداثها وواقع هذه القبائل وواقع طرق الحجاج، اضطرابها، وأن باطن الأمر مختلف عن ظاهره.

فمن خلال القصة نستنتج أن الحدث لا يمكن أن يتعلق بقطع طريق الحجاج بالمفهوم الإجرامي الذي قد يتبادر إلى الأذهان بصورة مبدئية، فإذا تجاهلنا الخلفية التاريخية التي بين أيدينا عن قبيلة عنز بن وائل كقبيلة عرف عنها، احتواء الغريب وإكرامه كما يذكر أشد المعادين لها والمحرضين عليها، ومن ذلك ما يقول شاعر خولان في احتواء عنز لأحد شيوخها واحتضانها له عندما لجأ إليها:

ترحل عمرو عن قطائع قومه ... وحالف موج البحر عنز بن وائل
فكانوا لعمرو إخوة وبنو أب ... فأكرم بها من عترة وقبائـــــل[(٢)]

وناهيك عما ورد عن عنز بن وائل في المصادر التاريخية، كقبيلة كان لها دور إيجابي في

---

(١) لا زالت معروفة باسم "راحة سنحان" و"الفيض" ببلاد سنحان

(٢) انظر: الإكليل، ج١/ ص٢٥٦

خدمة الحجاج وإقرائهم وإرشادهم[1]، فإن طريق الحج إلى تلك المرحلة كما أورده الهمداني[2] وابن خرداذبة[3] كان يمر عبر بلاد القبائل الثلاث المذكورة، التي لجأت للإمام، ولم يكن يمر ببلاد عنز بن وائل، بل هو منقطع عنها، ومن ثم فمن غير المقبول أن يقوم أحد عنز بن وائل بقطع طرق الحجاج البعيدة عن بلاده، إذ كانت تمر حتى ذلك الحين ببلاد سنحان، ثم جنب، ثم خثعم، وحتى لو افترضنا قبول احتمالية حدوث ذلك، فإن المتضرر الأول في هذه الحالة سيكون حجاج اليمن وليس حجاج سنحان وجنب وخثعم المجاورة، ومن ثم، فلو كان الأمر يتعلق بقطع طريق الحجاج بمفهومه الإجرامي بالفعل، لكان الأولى أن يكون حجاج اليمن هم من يبلغ الإمام في صعدة، ولكان إمام اليمن أول من يعلم، ولكان هو المتحرك دون أن ينتظر حضور المجاورين لبلاد عنز لإخطاره، وما كان له، كما لم يكن للقبائل اليمنية أن يتثاقلوا عن النهوض لتأديب هذه القبيلة الخارجة على الأعراف والدين، التي استباحت حرمة حجاج بيت الله، والذين كان جلهم - إن لم نقل كلهم - قادماً من اليمن.

فالواضح لدينا من خلال الأسماء وما ورد في الخبر من تداعيات والخلفية عن واقع المنطقة قبل وبعد الحادثة أن الأمر يتعلق بالحجاج فعلاً، ولكنه لا يتعلق بقطع الطريق

---

(١) كمثال، انظر قصة القاسم العياني ومرافقيه، عندما مروا بديار عنز وكانوا هاربين من الصليحي فأكرمهم شيخ جذيمة (البذاخ العنزي) الذي كان دليلاً للحاج كما وصفه المؤلف، وأجزل في إكرامهم (كما يقول)، وأخفاهم عن العواسج الذين كانوا يخشون من وشايتهم بهم إلى الكامل الصليحي، إلى أن غادروا مصحوبين ببعض الأدلة من عنز بن وائل على الطريق ؛ للمزيد راجع: الربعي، مفرح، سيرة الاميرين... ، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي - بيروت، ط١، عام ١٤١٣هـ، ص١٢٢، ١٢٣

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر السابق، ص٣٠٢

(٣) ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله، المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨١م، ص١٣٤ - ١٣٥

بالمفهوم الظاهر للحالة، بل إن قطع الطريق هنا هو استعمال بلاغي إعلامي للحالة، فيه استغلال للألفاظ، ولعله كان ضرورياً لتحفيز همة الإمام والقبائل اليمنية على سرعة التحرك، بينما الأمر على حقيقته - كما يتضح لنا من السياق والتداعيات والواقع فيما بعدالحادثة - يتعلق بقيام "عرفطة بن الطحل" وقومه باستدراج الحجاج وتغيير اتجاههم إلى موقع سوق جديد، أقامه "عرفطة" فيما يبدو في تلك المرحلة بالضبط، فلا زال رهط عرفطة ابن الطحل: (آل الطحل) يشرفون على سوق في بلاد بني مالك (من عسير بن أراشة بن عنز بن وائل) خاصاً بالحجاج فقط، ويسمى (سوق العصبة)[١]، وهو سوق يقع إلى الغرب منقطعاً عن طريق حجاج اليمن المذكور عند ابن خرداذبة (ت ٣٠٠) والمذكور عند الهمداني (ت ٣٣٨هـ) والذي كان يمر ببلاد سنحان ثم بلاد عبيدة من جنب ثم بلاد شهران من خثعم، إذ كانت القوافل تخرج من صنعاء شمالاً مارة بـ"ريدة" من بلاد عمران ثم "خيوان" ومنها إلى "دماج" ثم "صعدة" ثم تسير عبر بلاد خولان ووادعة إلى "غسل جلاجل" (ظهران الجنوب) ومنها تعبر شرقاً إلى "سروم الفيض" من بلاد سنحان، ثم تسير عبر بلاد عبيدة إلى أن تصل "طريب"، ثم تمر بـ"يعرى" من بلاد شهران (خثعم)، ومنها تتجه إلى "يبنبم"، ثم "الجسداء"، ومنها إلى "وادي هرجاب"، وتسايره قليلاً ثم تتركه متجهة إلى وادي "بيشة"، حيث يلتقي بوادي "ترج"، ومنها إلى "بيشة بعطان" (وكلها في بلاد خثعم)، ومنها إلى "القريحا" على وادي "رنية"، ثم إلى "كراء" ومنها إلى مكة المكرمة[٢]، وتأخذ نفس الطريق ونفس الوقفات عند العودة. وهذه الطريق تبعد عن

---

(١) حول هذا السوق انظر:

- آل حامد، عبدالرحمن بن عبدالله، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، نادي أبها الادبي، ١٤٢٦هـ، ص٨٥٨
- الثبيت، محمد صالح، التلادة قرى وسكان، ب د ن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٥٥، ٥٦

(٢) للمزيد حول هذا الطريق راجع:

- الهمداني، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر السابق، ص٣٠٢

==

سوق العصبة الذي ذكرناه (الواقع في قرية آل الطحل) إلى الشرق بمسافة ٦٠ كيلومتراً بخط مستقيم.

وحيث أن هذا السوق لم يكن له ذكر ضمن طريق الحجاج في عهد ابن خرداذبة (القرن الثالث) ولا في عهد الهمداني (القرن الرابع)، ولم يكن مستطرقاً من قبل الحجاج إلا في فترة لاحقة، وهي مرحلة ما بعد الأحداث المذكورة في القر ن السادس، حيث تغير اتجاه طريق حجاج اليمن القادمين من صعدة، فأصبحوا عندما يصلون إلى غسل جلاجل - قادمين من صعدة - يتجهون من هنالك إلى "البصرة" في بلاد شريف (بالقرب من الحرجة)، ومنها إلى "رفيدة" (أحد رفيدة)، ومنها إلى "ذهبان"[(١)] (خميس مشيط)، ومن ذهبان يتجهون إلى قرية آل الطحل[(٢)] لإقامة سوق يستمر لعشرة أيام، ثم يتجهون من هنالك إلى بني القرن مباشرة، ومنها يتجه الطريق شمالاً ليمر عبر عدد من القرى الواقعة

==

- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله، المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨١م، ص١٣٤ - ١٣٥

حول هذا السوق انظر: آل حامد، عبدالرحمن بن عبدالله، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، ص٨٥٨

(١) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ب ر ط، ١٩٩٦م، القسم الثاني، ص٢٣٦-٢٣٨

(٢) آل الطحل من قرى التلادة ببني مالك عسير، وتقع ملاصقة لصعبان، والمجزعة وآل جاهل ـ حيث بقايا قرية قديمة تعرف بـالحدبة ـ، ومجاورة لقرية مسلت التي يطلق على الجزء الملاصق للقرية القديمة منها بلاد الحدبة، وقد ذكر الهمداني "الحدبة" في بلاد عسير، ويشرف آل الطحل على سوق العصبة الخاص بالحجاج منذ القدم، وقد أشار الحجري (ت ١٣٨٠هـ)، وآل حامد، والثبيت إلى هذا السوق.

في بلاد الحجاز[١] .. إلخ، ولم يعودوا بحاجة للمرور عبر سنحان "حيث "سروم الفيض" ولا عبر بلاد عبيدة (من جنب) حيث "طريب"، ولا المرور ببلاد خثعم حيث "يعرى" و"الجسداء" و"بنات حرب" و"ترج" و"بيشة بعطان"، مما يعني توقف كثير من الأسواق في تلك المناطق عن العمل، مثل سوق "الفيض" و"طريب" و"يعرى" و"جسداء" و"بنات حرب"، بل يتجه الحجاج نحو الشمال الغربي بعيداً عن الطريق القديمة ليصلوا إلى موقع السوق الذي يشرف عليه "آل الطحل"، فيقيمون السوق لعدة أيام، ثم يتجهون من هنالك إلى الشمال نحو بني القرن، وقد استمر الطريق على هذا الحال، ماراً بسوق العصبة بقرية "آل الطحل" الذي استمر نشاطه عبر القرون إلى ما بعد منتصف القرن الهجري الماضي[٢] (الرابع عشر للهجرة)، وكان أشهر الأسواق الخاصة بالحجاج في هذه الجهات، حيث تتجه القوافل منه شمالاً شرقاً عبر شعار ثم المسوح ومنه تسير شمالاً بمحاذاة شرقي جبال الحجاز ووادي بيشة[٣].

والراجح من خلال التداعيات والواقع الجديد لطرق الحج، أن إنشاء السوق وتغيير طريق الحج ليمر ببلاد عنز بن وائل في "رفيدة" و"ذهبان" انتهاءً بقرية آل الطحل ببلاد

---

(١) انظر تفاصيل الطريق عند ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ب ر ط، ١٩٩٦م، القسم الثاني، ص٣٧، ٣٨

(٢) ذكر عبدالرحمن آل حامد في كتاب "العادات والتقاليد... " أن والده ممن حضروا هذا السوق، ص٨٥٨ ؛ ويذكر والدي وعدد من كبار السن في قرية مسلت أنهم عاصروا إقامة هذا السوق وحضور القوافل اليمنية إليه بأعداد كبيرة مع كل موسم لبيع بضائعهم وشراء البضائع من أهل القرى والمناطق المجاورة الذين يحضرون إليه للحصول على حاجياتهم وبيع منتوجاتهم،

(٣) للمزيد انظر طريق القوافل لدى: الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، والأسمري، خالد بن فايز، عسير حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع – الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٥٣

عنز كان موضع الخصومة، فمن خلال هذا التغيير الذي فرض في مسار الطريق فقد استأثر العنزيون بطريق الحجاج وأسواقهم، ما قد يسبِّب خسائراً للأسواق المجاورة في الجهة الشرقية (في بلاد سنحان، وجنب، وخثعم) التي سيهجرها الحجاج، ومن ثم فقد رأت قبيلة عنز بن وائل أن من واجبها أن تحمي مصالحها، وتدافع عن وجهتها وقرار شيخها في إنشاء أسواق جديدة، ويبدو أنه أمام تفوقها العددي وقوتها، ما كان من القبائل المجاورة إلا أن تبحث عن طريقة لإيقاف هذا التداعي عن طريق استدراج إمام اليمن للمشاركة في إيقاف عملية فرض تغيير طريق الحجاج إلى الطريق الجديد، ولدواعي إحداث التأثير والاستدراج، فقد استعاضوا عن عبارة "تغيير مسار طريق الحجاج" بـعبارة "قطع طريق الحجاج"، وهو استعمال ذكي وملائم لتكييف الحالة (من وجهة نظرهم)، وهو ما يبدو أن القبائل اليمنية مثل خولان، وهمدان ربما تكون قد تنبهت له، لذا رأيناها تقاعست عن المسير لغزو بلاد عنز بن وائل كما تشير الرواية، ثم تقاعس الإمام ذاته أخيراً، بل واعتبر في ذلك خيرة.

ومن الملاحظ في هذه الرواية أنها تشير إلى استتباب الأمر في المنطقة لعنز بن وائل، وإلى تسليم وإدراك مجاوريها بخطورة مواجهتها، بل وإلى حذر القبائل اليمنية مثل همدان وخولان ومذحج من مواجهتها، وكما نرى فقد طال الحذر أيضاً الإمام أحمد بن سليمان الذي أبدى الكثير من التردد، إلى أن فضَّل عدم المواجهة، وهو ما يعطينا الدلالة على الإرهاصات واتجاه الأحداث في المراحل السابقة لذلك، حيث تشير إلى أن أحداثاً كثيرة سبقت هذه الحالة أدت إلى هذا الحذر من مواجهة قبائل عنز بن وائل، كما نلاحظ في الرواية ما قد يدلنا على مركزية قبيلة عسير منذ ذلك التاريخ، ومكانتها، وتصدرها لقبيلة عنز بن وائل، إذ أن إيراد اسم عرفطة بن الطحل كشخص محوري في هذه الاحداث يدل على مكانته وتصدره في عنز بن وائل، مما يدل على تصدر قبيلته التي ينتمي إليها، وحيث أن سوق الحجاج استمر في بلاد بني مالك عسير التي ينتمي إليها "آل الطحل" المشرفين مباشرة على السوق إلى ما قبل نهاية القرن الهجري الماضي، فذلك يدل على وجود علاقة لهذه القرية بعرفطة بن الطحل.

ويأتي في نفس المرحلة نص الرحالة محمد بن أحمد بن جبير الكناني الذي زار مكة المكرمة وما حولها في القرن السادس للهجرة فأشار للقبائل المصالية لها في شمالي بلاد السراة، وكتب ملاحظاته عنها، ومما قاله عن أهالي السروات ما يلي:

"السرو المائرون

ومن لطيف صنع الله، عز وجل، لهم في اعتناء كريم سبحانه بحرمه الأمين، أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة، كأنها مضافة لسراة الرجال، على ما اخبرني به فقيه من أهل اليمن يعرف بابن الصيف، فاشتق الناس لهم هذا الاسم المذكور من اسم بلادهم، وهم قبائل شتى كبجيلة وسواها، يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية للعمرة وميرة البلد بضروب الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز. فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة. ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر. فيرغدون معايش أهل البلد والمجاورين فيه. يتقوتون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى. ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش.

ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ليبايعونهم به ويشارونهم. ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجدب ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم، وبوصولهم بها تخصب بلادهم وتقع البركة في أموالهم. فمتى قرب الوقت ووقعت منهم بعض غفلة في التأهب للخروج اجتمع نساءهم فأخرجنهم. وكل هذا لطف من الله تعالى لحرمه الأمين.

وبلادهم على ما ذكر لنا خصبة متسعة كثيرة التين والعنب واسعة المحرث وافرة الغلات، وقد اعتقدوا اعتقاداً صحيحاً أن البركة كلها في هذه الميرة التي يجلبونها، فهم من ذلك في تجارة مع الله عز وجل.

إلى أن يقول:

"ولا ملبس لهم سوى أزر متسخة أو جلود يسترون بها، وهم مع ذلك أهل بأس ونجدة، لهم القسي العربية الكبار كأنها قسي القطانين لا تفارقهم في أسفارهم، فمتى رحلوا إلى الزيارة هاب أعراب الطريق المسكون للحاج مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم وخلوا لهم الطريق. ويصحبهم الحجاج الزائرون فيحمدون صحبتهم. وعلى ما وصفنا من أحوالهم فهم أهل اعتقاد للإيمان صحيح ن وذكر أن النبي ﷺ، ذكرهم وأثنى عليهم خيراً، وقال: "علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء". وكفى بأن دخلوا في عموم قوله، ﷺ: "الإيمان يمان" إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في اليمن وأهله.

وذكر أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، كان يحترم وقت طوافهم ويتحرى الدخول في جملتهم تبركاً بأدعيتهم. فشأنهم عجيب كله"[1].

مصطلح "السرو" المستعمل هنا يبدو أن المعني به هي بيئة بلاد بجيلة وزهران وغامد وما حولها (كما يشير)، حيث كانت هذه المناطق على ارتباط اقتصادي مستمر بمكة مكرمة ولم يكن مثل هذا الارتباط بنفس الدرجة لمنطقة جرش وما حولها، ورغم ذلك فإن لفظ "السرو" أو "أهل السراة" أطلق أيضاً على حجاج عنز بن وائل الذين كانوا يحضرون ضمن قوافل أهل السراة (السرو)[2].

ومن ثم فإن بين أيدينا نصان يتحدثان عن بيئتين سرويتين متجاورتين إحداهما التي تحدث عنها الثقفي في كتاب "سيرة الإمام احمد بن سليمان" وهي بيئة جرش وما حولها، وكانت بيئة حراك عسكري وسياسي واقتصادي نشط، وتحالفات، وصدامات تمثل عنز بن وائل محوراً رئيسياً فيه إلى جانب جنب، وخثعم، وسنحان، حيث التنافس والخصام على

---

(١) الكناني، محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص١١٠ - ١١٣

(٢) الأندلسي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص٦٥٠

الأسواق ومناطق التسويق وطرق الحج ذو بعد اقتصادي كما يتضح من الأحداث، وهو امتداد كما يبدو للصراع على سوق جرش الذي كان بين جذيمة من عنز بن وائل والعواسج من حمير، بينما البيئة الثانية التي أشار لها ابن جبير في رحلته هي بيئة بلاد بجيلة، وزهران، وغامد، وما حولها، وتمثل بيئة قبلية أكثر استقراراً من جرش وما حولها، إلا أنها فيما يظهر أكثر ارتباطاً اقتصادياً بمكة ذاتها لا بطرق الحج، حيث لا يبدو أن طرق الحج الرئيسية لحجاج اليمن كانت تمر بها، ومن ثم كانت مكة بذاتها هي منطقة التسويق الرئيسية لمنتجاتهم خلال هذه المرحلة، ومن الواضح أن بلاد السراة كانت بمجملها خارج إطار أي حكم مركزي شامل خلال هذا القرن، فكانت المشيخات المحلية للقرى والقبائل هي المسيطرة على الوضع السياسي، كما ورد في كلا النصين، كما يلاحظ حتى نهاية هذا القرن أن عنز بن وائل كانت تمثل القوة الرئيسية في الإقليم، حيث يتمحور حولها الحراك في المنطقة، بل من الواضح أن السيادة قد آلت إليها إلى ما قبل نهاية هذا القرن، حتى أن إمام اليمن لم يجرؤ على التدخل لصالح مناوئيها من حلفائه.

رحيل نهد وبعض قبائل الجوار يهيء لاستقرار المنطقة

أورد الشيخ حمد الجاسر حول تاريخ نهد ما يلي:

"قال عبدالله بن حمزة في قصيدة ذات الفروع:

وعنز نفوا نهد بن زيد وجدعوا   معاطسهم بعد اصطلام فأوعبوا

وفي الشرح قوله: وعنز نفوا نهد بن زيد، كان سبب ذلك أن نهدا كانت بتثليث، فاستجاشوا من يليهم من جنب وصداء وبلحارث، وأقبلوا يريدون حرب عنز وشهران، فلقوهم بموضع يسمى الحزم، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، فكانت سبب انتقالهم إلى حضرموت"[1].

---

(١) الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤، ج٣، ص١٩١

يشير الشيخ حمد هنا إلى تاريخ هذه الحروب التي ذكر أنها بدأت بين نهد وعنز بن وائل في العهد الجاهلي، ويبدو من خلال ذلك أنها حروب قديمة امتدت إلى أن تداخلت مع حروب جذيمة من عنز مع العواسج من حمير التي امتدت فيما بين القرن الأول والقرن الخامس للهجرة، حيث كان آخر ذكر لقبيلة العواسج كجزء من هذه الحروب، إذ يتضح أن السيادة الكاملة قد آلت إلى عنز بن وائل في كامل الإقليم فيما بين نجران وجرش وتثليث منذ النصف الثاني من القرن الخامس، إذ خرج العواسج من جرش وسوقها إلى قرب وادي بن هشبل وتوقف نشاطهم تماماً، ورحلت نهد إلى حضرموت ولم يعد لها ولا للحارث بن كعب أثرٌ في المنطقة، ومن الملاحظ أيضاً أن نهداً منذ هجرتها إلى حضرموت (عام ٥٨٩هـ) كانت قبائل جنب (التي استجد وجودها في حضرموت وما حولها في تلك المرحلة أيضاً) تجاورها في المسكن وتقف في حلف معها في حضرموت، فقد حاربت "نهد" و"عبيدة" معا في وقعة كحلان عام ٥٩٩هـ[١]، كما دخلت "نهد" و"جنب" معاً في حرب حدثت عام ٦١٠هـ[٢]، مما يدل على أن بعض قبائل جنب ربما قد رافقت نهد في هجرتها إلى حضرموت في نهاية القرن السادس للهجرة.

أيضاً فإن جزءاً كبيراً من جنب قد هاجر إلى صنعاء وذمار ومأرب وبعض المحافظات اليمنية الاخرى خلال هذه المرحلة[٣]، ولم يعد بجوار عنز سوى خثعم وما

---

(١) شنبل، أحمد عبدالله (ت ٩٢٠هـ)، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٦٣

(٢) شنبل، أحمد عبدالله (ت ٩٢٠هـ)، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، نفس المصدر السابق، ص٧٤

(٣) أثبت الكاتب/ أحمد العبيدي من خلال تتبعه لأخبارها وأحداثها وسيرتها أن قبائل جنب في صنعاء وفي ذمار وقبيلة سنحان في صنعاء وقبيلة عبيدة في مأرب جميعها تنتمي في الأساس إلى جنب وسنحان وعبيدة الواقعة في منطقة عسير وأن هجراتها كانت أثناء مشاركاتهم في معارك الصليحيين ومعارك أئمة اليمن والتي بدأت منتصف القرن الخامس واستمرت حتى نهاية الربع ==

تبقى من جنب اللذين أصبحوا أكثر تقارباً مع عنز بن وائل، مما هيأ لمرحلة قادمة من الوفاق، وانتهاء قرون من المواجهة، مما عزز استقرار المنطقة، خاصة بعد حدوث الوباء عام ٥٩٧هـ - أي خلال نفس المرحلة (نهاية القرن السادس للهجرة) - وما ورد عن أثره على المنطقة، كما سيأتي.

==

الأول من القرن السابع للهجرة. انظر: آل شوية، أحمد بن مسعود بن سعيد، درر العقود الفريدة في تاريخ جنب وعبيدة، ب د ن، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م، ص٣٧٧-٣٧٨

ثالثاً: خبر الوباء وحقيقة أثره

١- خبر الوباء الذي ضرب الإقليم نهاية القرن السادس

ورد في العديد من المصادر التاريخية خبر الوباء الذي أصاب المنطقة في نهاية القرن السادس للهجرة وكان سرد الخبر مختلفاً بين مصدر وآخر، كما كان لهذا الخبر أثره على الواقع، وعلى الرواية التاريخية الحديثة حول عنز بن وائل ووجودهم في هذه المنطقة، فيما بعده، ولكي نصل للنتيجة المرجوة، فعلينا أن نطَّلع على المعلومة، ونمحصها وندرس جوانبها المختلفة، وحقيقتها وتبعاتها، على أرض الواقع، أو على مسار الرواية، ولنصل لذلك يجب أولاً أن نعرض مختلف الروايات كما وردت في المصادر ومن ثم نبدأ في سبر مضامينها، وسنستهل العرض بالمصادر اليمنية بصفتها الأقرب ثم غيرها:

جاء في كتاب مطلع البدور ومجمع البحور ص٦٧٤ ما يلي:

" حبس الدخان ما غطى الأرض حتى إنه كان الإنسان لا يكاد يرى صاحبه إذا بعد عنه قليلاً، وأقام ذلك الي شهر رجب ٥٩٧هـ وكثرت في ذلك الأقاويل، وتحدث الناس بضروب من الكلام والظنون قال: ثم حدث في تلك السنة من الصواعق سيما في المغارب ومخلاف صنعاء.

قال الراوي: وكان في تلك السنة حدث في جهة الشام من راحة ونواحيها وجع الأربية وأظنه الطاعون ورم يصيب الإنسان في مراقه فربما مات من يومه، وربما مات في الثاني أو الثالث، ومنهم من ينفجر بماء ربما يسلم صاحبه، فروي أن بلاداً خلت من سكانها وأهلها وصارت ماشيتهم سائمة لا مالك لها، ثم تناقص ذلك بعد وفاء سنة"

إلى أن يقول:

"وقد ذكره الإمام المتوكل على الله في أول سيرته: اخبرني والدي المذكور أولاً وساق الحديث لهذه الرواية أنه كان في سنة حدثت في المغرب صواعق لم ير الناس مثلها وأخبرني أنه سمع يوماً خريراً فرفع بصره فرأى مثل الجبل الأسود منقضاً في نهج (حجة) إلى نهج

(لاعة) فلما صار إلى هنالك وقعت الصاعقة، وأخبرني بما كان في الشام من الورم. "[١]

جاء في كتاب السيرة المنصورية لابن دعثم ما يلي:

"فذكرت ما صح عندي من فضائل الإمام عليه السلام كإظهار الحديد وطيب الأثمار ورخاء الأسعار في حدود بلاده دون غيرها وما جرى له دون فتح صنعاء من التأييد ورفع العقوبات. من الله تعالى على من دخل في طاعته، وصب النقمة على من خرج عنها. والموت بالطاعون الشنيع في بلاد عنز. وغيرهم، والقحط والبلاء والجلاء والقتل الفظيع بين الناس، والزلازل والخسف والصواعق واختلاف الآراء وافتراق الأهواء. "[٢]

كما جاء فيه أيضاً:

"وفي صفر من سنة تسع وتسعين كان انقضاض الشهب من السماء إلى جهة المغرب من قدر نصف الليل إلى طلوع الفجر... "... إلى أن يقول: "... ومنها الطاعون الذي حدث في بلاد عنز ثم في الطايف فأجلاهم حتى لم يبق لأكثرهم وارث. وصواعق كثيرة في جهة المغارب ودخان أقام على البلاد قدر ثلاث سنين. وأظهر كل في جهته التوبة حتى رفعت عنهم هذه الآيات، ثم عاد كل إلى ما كان عليه، ونسوا ما نزل بهم[٣]".

وجاء عند ابن الأثير[٤] في أحداث عام ٥٩٧هـ ما يلي:

---

(١) ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه، ومحمد يحيى عزان، مركز التراث والبحوث اليمني، ص٦٧٤

(٢) بن دعثم، أبي فراس، السيرة المنصورية الشريفة، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مج١/ ص٥٦

(٣) بن دعثم، أبي فراس، السيرة المنصورية الشريفة، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مج١/ ص٣٣٧

(٤) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري الشهير بابن الأثير، (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) = (١١٦٠ - ١٢٣٣م)، مؤرخ إسلامي ولد في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل وتوفي بها.

"وفيها وقع في بني عَنَزَة بأرض الشراة، بين الحجاز واليمن، وباء عظيم، وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فوقع الوباء في ثماني عشرة قرية، فلم يبق منهم أحد. وكان الإنسان إذا قرُب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها، فتحاماها الناس، وبقيت إبلهم وأغنامهم لا مانع لها، وأما القريتان الأخريان فلم يمت فيهما احد، ولا أحسوا بشيء مما كان فيه أولئك."(١)

وجاء عند ابن كثير(٢) في أحداث عام ٥٩٧هـ ما يلي:

"وفيها وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن، وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة قرية، ولم يبق فيها ديار ولا نافخ نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها، ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منها أحد، ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم، بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحد."(٣)

من خلال هذه النصوص المتوالية، والخبر المتواتر عن حدث الوباء الذي أصاب بلاد عنز في راحة شريف ونواحيها فإن من الواضح أن الرواية كانت أكثر اتزاناً لدى المصادر اليمنية الأقرب إلى الحدث مما هي عند ابن الأثير والذي نقلها عنه بالحرف الواحد ابن كثير، ففي رواية أبي الرجال يشير المؤلف إلى أن الوباء قد أصاب بلاد الشام من راحة

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، اعتنى به محمد العرب، المكتبة العصرية - بيروت - صيدا، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٢/ ص٢٦٣٠

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (٧٠٠ - ٧٧٤هـ)، صاحب التفسير المشهور (تفسير ابن كثير)، ولد بالبصرة ثم رحل إلى دمشق مع اخيه سنة ٧٠٦هـ، سمع من علماء دمشق مثل الآمدي وابن تيمية.

(٣) ابن كثير الدمشقي، الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مج٨/ ص٥٧٦

ونواحيها، وراحة (راحة شريف) هي قاعدة بلاد جنب، وهي في أقصى جنوب بلاد جنب التي تقع برمتها إلى الجنوب عن بلاد عنز القديمة وقاعدتها "جرش"، ونلاحظ أن ابن أبي الرجال لم يشر في معرض الخبر إلى عنز بن وائل بذاتها ولا إلى بلادها بالذات، رغم أن الراوي ذكر أن والده عاصر الحادثة، كما أورد عدة مصادر للرواية، ومن ثم فلا شك أن الوباء قد عم بلاد راحة وجنب، وقد تمحور الوباء في نواحي راحة (راحة شريف)، وهي المعروفة حالياً بـ"الحرجة"، أو لعلها في أقل التقديرات كانت أحد أهم مراكزه، وكان للوباء أثر اجتماعي وسياسي على كامل المنطقة، وهو ما سنأتي عليه لاحقاً.

أما ابن دعثم في السيرة المنصورية فقد ذكر أن الوباء أصاب بلاد عنز وغيرهم ثم انتقل إلى الطائف، وهو لا شك يقصد مدينة الطائف المعروفة فوق جبال السروات فهي امتداد لبلاد عنز للمتجه من اليمن إلى مكة، لذا نجد الراوي يستخدم حرف العطف (ثم) للدلالة على تسلسل المواقع ابتعاداً عن بلاده، فقد وجدت محقق الكتاب يشير إلى أن الطائف عزلة على ساحل البحر الأحمر جنوبي الحديدة، والموقع حسب تحديده لا يستقيم مع قوله (ثم الطائف)، لأن موقع المؤلف سيكون بين الموقعين، ومن البداهة في مثل هذه الحالة أن يذكر خبر الوباء في الموقع الآخر منفصلاً لا امتداداً للأول، فبلاد عنز بن وائل إلى الشمال عنه والحديدة وما وقع جنوبها إلى الجنوب الغربي عنه، لذا فالحدث يبدو أنه بدأ في بلاد عنز وغيرها مما حولها ثم انتقل إلى ما يليهم حتى وصل إلى الطائف عبر بلاد السراة، ومن هنا يفترض أن هذا الوباء قد أصاب الكثير من البلاد فيما بين المدينتين، حيث الاتصال السكاني فوق قمم السراة، ونجد الإشارة إلى أن الوباء لم يكن خاصاً ببلاد عنز في خبر ابن دعثم عندما ذيل الخبر بعد أن ذكر بلاد عنز بقوله: "وغيرها".

وكما نرى فإن تفاصيل الخبر كانت عند أهل اليمن أكثر دقة وتوازناً ومنطقية من سواهم، فقد ذكر ابن أبي الرجال أن الوباء قد أجلى الكثير من أهل القرى حتى أن أنعامهم لم يعد لها وارث، ولا شك أن الجلاء أمر متوقع في حالة حدوث الأوبئة الفتاكة كما هو معروف، وترك الناس لحلالهم وماشيتهم خوفاً من الوباء أو لموتهم أمر حادث في حالة

الأوبئة، كما أنه أشار إلى أن المرض استمر عاماً ثم بدأ يتناقص، وفي ذلك نجد تفصيلاً أكثر، وعلى درجة من الأهمية، فتحديد مدة تفشي الوباء يدل على أن معظم السكان الذين جلوا قد بدأوا بالعودة لأوطانهم بعد عام من الحدث، والمياه عادت لمجاريها، وإن كانت الفاجعة قد أخذت الكثير من الأرواح بدون شك، أما ابن دعثم فرغم أن سرده حمل الإيحاء بأن المرض كان من فضائل الله على إمامه "المنصور"، إلا أنه لم يتحدث بالطريقة التسطيرية التي أوردها ابن الأثير نقلاً عن الرواة، فقد ذكر أن الوباء أصاب عنز وغيرها، وأشار أن الوباء انتقل بعد ذلك إلى الطائف، وهو تفصيل جيد ومتزن مقارنة به عند سواه، كما سيأتي.

أما ابن الأثير فقد أورد الرواية بشيء من التهويل والتسطير غير المعقول، حيث ذكر أن المرض أصاب ثمانية عشر قرية فأبادها ولم يبق منهم أحداً بينما لم يعلم به سكان القريتين المجاورتين من بلاد عنزة اللتين لم يصبهما المرض، بل ولم يتنبهوا لما أصاب بقية القرى المجاورة من أبناء قبيلتهم، ولعل في هذه التفاصيل التي يشوبها طابع الإثارة ونبرة التهويل والتسطير تكمن الكثير من الأسئلة حول إمكانية أخذ تفاصيلها على محمل الجد، ومن ثم فإن الرواية اليمنية هي الأقرب إلى المنطق السليم، خاصةً وأن رواتها أكثر قرباً واستطراقاً لبلاد عنز أو لجوارها في الطريق إلى مكة ومن ثم التصاقاً بالحدث.

أيضاً فإن مما يجب أن نتنبه له في الرواية: ما ورد عن أن قراهم عشرون قرية أبيدت منها ثمانية عشر، فقد عدَّ بعض الباحثين ذلك دليلاً على انقراض قبائل عنز بن وائل في المنطقة بدءاً بموت أكثرهم بالوباء، ورحيل البقية، وانصهارهم في المجاورين، ورويت على هذا الأساس الكثير من الروايات في العصر الحديث المجانبة للواقع[1]، فالحقيقة أن

---

(١) أورد عمر بن غرامة العمري الكثير من التفاصيل حول هجرة قبائل عنز بن وائل، ودخول بقية بطونها في القبائل المحلية وذوبانها فيها، للمزيد اقرأ حول ذلك في كتاب: قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، ج١ / ص١٦٤ - ١٦٥، وكل ذلك مما لا تقوم به حجة ولا يستند إلى مصدر سوى إمتاع السامر وأضرابه من الكتب المزورة، ومن المؤسف أن كتاب عمر بن غرامة أصبح
==

قرى عنز بن وائل تتجاوز العشرين قرية بكثير، فبالرغم من أن ما أورده الهمداني في صفة جزيرة العرب[(١)] والإكليل[(٢)] لم يكن شاملاً لكل قرى عنز بن وائل، إلا أنه مع ذلك قد أورد ستة وثلاثين قرية من قراهم[(٣)].

ونجد من خلال ما سبق أن الهمداني الذي لم يكن معنياً بالإشارة لجميع البلدان، بقدر ما كان معنياً بالإشارة للمشهور منها، وما وصله خبره، قد أشار إلى ستة وثلاثون بلدة من بلاد عنز بن وائل، بينما هي أكثر من ذلك، ولعلنا لا نبالغ عندما نتوقع أن عددها كان أضعاف هذا الرقم في زمن الهمداني حسب ما تحمله الإشارات التاريخية، حيث نقل ابن حزم عن الشيباني أنه رأى بلادهم في اليمن وكانوا أكثر من ثلاثين ألف مقاتل[(٤)]، وهو رقم كبير وصعب، ولكن ما يحمل على المصادقة عليه تلك الأحداث الجسام التي ارتبطت بقبائل عنز بن وائل وصراعاتها مع تحالفات القبائل الكبرى المحيطة بها، وتمكنها من حماية أراضيها وحدودها والبقاء، بل والسيادة على محيطها، وتحقيق الانتصارات في الكثير من الحالات، بل أننا نجد أن حشود القبائل اليمنية تتحاشى مواجهتها عندما

==

مصدراً للمعلومة حول قبائل عنز بن وائل، فقد نقل عنه الكثير ومنهم: عبدالله بن عبار، كتاب أصدق الدلائل في أنساب بني وائل، ص١٩٠.

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد بصنعاء، ص٢٢٩ - ٢٣١

(٢) ذكر الهمداني بلدات حنوية، والرونتان، والمربع عرضياً في كتاب الإكليل على لسان الشاعر إبراهيم العوسجي بصفتها بلدات عامرة من بلاد عنز بن وائل، إلا أنه لم يتنبه لهذه القرى في كتاب صفة جزيرة العرب، فلم يأت على ذكر قرى الرونتان، ولا حنوية، ولا المربع، وهو ما يدلنا على وجود نقص كبير في البلدان المحلية المشار إليها، وأن ما يذكره الهمداني هو فقط إشارات مختصرة للدلالة، لا للشمول والإحاطة، انظر: الإكليل، ج٢/ ص١٤٦

(٣) للمزيد حول أسماء هذه القرى راجع فصل "بلاد عنز بن وائل" في هذا الكتاب

(٤) علي بن أحمد بن حزم الاندلسي، نفس المصدر السابق، ص٤٨٤

استدعاها الإمام احمد بن سليمان لذلك[1] مما يدل على الحجم العددي الهائل لهذه القبيلة، ويزيدنا اطمئناناً بذلك ما نعرفه عن البلاد التي عرفت بعنزيتها، وما نشاهده فيها من أثر لقدم الاستيطان وكثافته، والأعداد الكبيرة من البلدات والقرى، بينما عندما نقرأ الخبر كما أورده ابن الأثير نجد أنه تحدث عن عشرين قرية فقط أصيبت منها ثماني عشرة، وهذا العدد ناهيك عن أنه لا يحقق إلا نسبة جزئية مقارنة بالواقع الذي تفضي إليه الأخبار التاريخية كما أسلفنا، فإننا عندما نقارنها عددياً مع النقل الموثق لما قبل هذه الحادثة، فإنها لا تحقق إلا قرابة النصف مما ذكره الهمداني، وهو ما يجعلنا نقطع بجزئية دلالة الرواية، فقولهم أن الوباء أصاب بلاد عنزة، وكانت عشرين قرية لا يقصد به أن هذه كل بلاد عنز بن وائل، بل المقصود هنا أن الوباء تركز في منطقة من بلاد عنز بن وائل، وكانت هذه المنطقة تتكون من عشرين قرية، فمن الواضح أن هنالك جزء من بلاد عنز بن وائل كان الأكثر تأثراً بالوباء وربما تكون جذيمة، ونزار، وبنو ضرار، بالإضافة لراحة ونواحيها في بلاد جنب، ولعل هذه القبائل العنزية التي ذكرنا كانت قد استوطنت راحة ونواحيها قبيل الوباء، حيث ذكر أن الوباء تمحور حولها، فقد اختفت هذه القبائل، بينما ومن خلال تتبع أسماء بطون قبائل عنز بن وائل التي أوردها الهمداني والكلبي وغيرهم نجد أن بقية القبائل التي أشارا إليها وإلى مواطنها، أو التي وردت في تسلسل نسب عنز بن وائل في كتاب الجمهرة لابن الكلبي، وكتاب الإكليل للهمداني، وفي بقية كتب الأنساب لا زالت موجودة في مواقعها، وتحمل نفس أسمائها القديمة، وتمتد على نفس بلاد عنز بن وائل القديمة، وربما انتقلت بعض القبائل إلى بلاد أخرى مجاورة على إثر الوباء أو مقتضيات الأحوال المعيشية والبيئية على مدى التاريخ، وقد وجدنا بالفعل أن هنالك جزء كبير من بطون عنز بن وائل قد استوطنت البلاد الأخرى سواء داخل منطقة عسير أو غيرها. ولكن رفيدة، وأراشة، وبطونها مثل عسير، وتميم، وعظاظة، ومالك، وغنم، ووهب،

---

(١) الثقفي، سليمان بن يحي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٩٨-٩٩

وجارمة، وزهير، وعاصم، وشيبة، وربيعة، وجابرة، كل هذه القبائل وغيرها كثير من بطون عنز بن وائل لا زالت تقطن نفس أوطانها القديمة، وتحمل نفس أسمائها إلى الآن.

٢- حقيقة أثر الوباء على عنز بن وائل وعلى المنطقة

كان لورود خبر الوباء الذي أصاب بلاد عنز بن وائل في كتاب ابن الأثير وعند ابن كثير بصيغة أسطورية تتضح فيها المبالغة كما أسلفنا، واقتصار روايتهم على الإشارة إلى أثره على بلاد عنز بن وائل، ومبالغة ناقلي الخبر في تفاصيل الرواية بطريقة تنزع للتهويل والمبالغة، وتناقض العقل إلى حد كبير، أثره في مسار الرواية التاريخية عن بلاد عنز بن وائل، حيث نجد أن بعض المصادر في العصر الحديث تشير إلى انقراض قبائل عنز بن وائل، وانقطاع أثرها في المنطقة، وهذا مجانب للحقيقة.

فالوباء في حقيقته كان عاماً على بلاد المنطقة بكاملها كما جاء معنا في ما نقلته المصادر اليمنية التي أوردناها، وكثيرة هي الأوبئة التي عمت المنطقة كلها على امتداد التاريخ، إلا أن وقعه على بلاد عنز بن وائل التي كانت في أوج قوتها وسيادتها على المنطقة كان له أكبر الأثر النفسي والاجتماعي والسياسي على المجتمع المحلي، وعلى الأحداث في المنطقة والمناطق المحيطة بها، حيث كانت عنز بن وائل في أوج قوتها في مرحلة ما قبل الوباء، لدرجة عدم تمكن أئمة اليمن من مناوشتها أو التدخل لتغيير التوازنات لصالح خصومها والذين كانوا حلفاء لهم، لذا كان أثر الوباء على عنز بن وائل بالذات هو الخبر الأهم لناقلي الأخبار، حيث أن عنز بن وائل في تلك المرحلة كانت تشكل قوة لها وزنها المعتبر، وخاضت صراعات وحروب مع جميع مجاوريها، آلت إلى إجلاء بعض القبائل الكبرى من المنطقة، مثل نهد والحارث بن كعب وغيرها، ومن ثم.. فمع أن الوباء تركز في راحة (راحة شريف) وما حولها كما يشير ابن أبي الرجال[1] ثم امتد إلى الطائف كما أورد ابن دعثم[1]،

(١) ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه، ومحمد يحيى عزان، مركز التراث والبحوث اليمني، ص٦٧٤

وهي مناطق تحوي بلاد عنز وبلاد الكثير من القبائل سوى عنز بن وائل، إلا أن الدور الأهم الذي لعبه الوباء في الأحداث، وفي تاريخ المنطقة، كان في ترويض قبيلة عنز بن وائل، فالحدث تلاه تغير في اتجاه الصراعات والتوازنات في المنطقة نظراً لما أصابها من فقد في الأرواح وإجلاء للسكان، وتداخل للقبائل، ودخول الوباء كعدو مشترك للجميع، مما يبدو أنه أسقط الحسابات السابقة وأبقى حساب مواجهة الوباء لدى الجميع في تلك المرحلة.

فنحن رغم كل ذلك، نجد على أرض الواقع أن قبائل عنز بن وائل ظلت تمثل جزءاً أساسياً من تركيبة المنطقة إلى وقتنا الحالي، بل إن هذه القبائل تمكنت بعد الوباء من تحقيق المصالحة مع مجاوريها، وإيقاف تداعيات مرحلة طويلة من الحروب، وأصبحت أكثر استقراراً من ذي قبل، ولكن الوباء في المحصلة أدى إلى تخليها عن وحدتها القبلية التي ربما لم تعد بأهميتها التي كانت عليها أيام حروبها مع العواسج ونهد وجنب وبلحارث ويام وغيرهم من المجاورين، ومن ثم عن اسمها الذي أصبح يحمل استفزازاً لملامح التفرقة العرقية التي ابتدعها النسابون بين قبائل العرب المتجاورة.

فالوحدة القبلية لعنز بن وائل قد انحلت منذ ما بعد القرن السابع، ولم تعد القبيلة تمثل وحدة واحدة، فحمل كل بطن من بطونها مسماه وعصبيته، واستقل بقراره وعلاقته مع مجاوريه.

ولعل ضعف القبيلة الذي كان على إثر الوباء، بالإضافة إلى أثر التقسيم العرقي الذي استحدث في زمن الأمويين، والذي يقوم على أساس تقسيم العرب إلى من أطلق عليهم "العدنانيين" ومن أطلق عليهم "القحطانيين"، ثم فساد علاقة هذه القبيلة مع جارتها وحليفتها خثعم في منتصف القرن السادس (مرحلة ما قبل الوباء)، أقول ربما كان لذلك كله أو بعضه أثر على انحلال وحدة هذه القبيلة أمام حالة العداء والعصبية التي كانت تغذيها وتؤجج فورتها المدونات المستمرة عن هذا التقسيم المزعوم، والذي كان

==

(١) بن دعثم، أبي فراس، السيرة المنصورية الشريفة، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مج١/ ص٣٣٧

لاحتكاك القبائل المحلية مع القادمين من اليمن أثره في تأجيجه، حيث كانت تقرع طبول هذه العصبية هنالك بشدة[١]، فأصبحت رفيدة أكثر ميلاً للارتباط والاتصال بالقبائل المجاورة في بلاد جنب، ومثلها تفرقت قبائل أراشة حيث تحالفت قبائل الشعف من شيبة ومالك وغيرهم مع شهران، بينما اتجهت عسير للتواصل مع الشق التهامي ممتدة في هذه الجهة محتفظة بأوطانها القديمة وبوحدتها القبلية واستقلاليتها مما كرس مركزيتها في المنطقة كبديل للقبيلة الأم.

ولكن يمكننا أيضاً القول بأن حالة قبيلة "عنز بن وائل" هي حالة اعتيادية، فالروابط القبلية القديمة الجامعة للقبائل الأم قد انحلت واختفت الأسماء القديمة في معظم القبائل العربية القديمة، خاصة تلك التي استقرت وتحضرت، فلم نعد نسمع ببني تميم، ولا بمذحج، ولا بالأزد، ولا بجنب، ولا بني حنيفة، ولا عامر بن صعصعة، ولا قضاعة، ولا كنانة، ولا هوازن، ولا بكر ولا تغلب ولا الكثير غيرها على أرض الواقع إلا من خلال كتب التاريخ والجغرافيا، وكتب الأنساب، فقد اشتهرت البطون وتوارت الأسماء الجامعة القديمة خلفها حتى اندثرت رابطتها عبر الزمن.

والمتابع لأحداث التاريخ يلاحظ أن هنالك تراجع كبير لذكر قبيلة عنز منذ عدة قرون في الكتب التاريخية خارج المنطقة، والملاحظ أن هذا التراجع كان تدريجياً، ولم يرتبط بحادثة الوباء مباشرة، وإن كنا نرى أن لها أثر غير مباشر في اتجاه أحداث هذه القبيلة، فقد ذكرت عنز بن وائل في القرن السابع - أي في مرحلة لاحقة لحدوث الوباء - وكان بعض ذكرها مرتبطاً بنشاط حربي، وممن أشاروا لوجودها ابن سعيد الاندلسي[٢] الذي عاش

---

(١) كمثال انظر للهمداني (والذي كان على تواصل مع بعض أبناء جنب وسنحان) وقصيدته "الدامغة" التي كتبها في القرن الهجري الرابع لاستثارة النعرة القحطانية لدى قبائل اليمن، ومهاجمة العدنانيين، وانظر لقصيدة "ذات الفروع" للناصر ابن الإمام المنصور (إمام اليمن) التي كتبها في القرن السادس للرد عليها، والمفاخرة بالقبائل العدنانية.

(٢) إبن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك العنسي، (٦١٠ - ٦٨٥هـ)مؤرخ ورحالة وشاعر عربي، من أعيان غرناطة في القرن السابع الهجري.

فيما بين ٦١٠-٦٨٥هـ، عندما روى مشاهدته لبعض أبنائها وهم ضمن حجاج السرو في مكة[(١)]، وقد قال أيضاً:

"ودخلت جزيرة العرب، فسألت: هل بقي في أقطارها أحد من ربيعة؟ فقالوا: لم يبق من يركب الخيل وفيه عربية وحل وترحال غير عنزة، وهم بجهات خيبر، وبني شعبة المشهورين بقطع الطرقات وهتك الأستار في أطراف الحجاز مما يلي اليمن والبحر، وبني عنز في جهة تبالة[(٢)]؛ وغير ذلك لا نعلمه في المشرق ولا في المغرب.[(٣)]"

بل لقد ورد ذكر حربي لها بعد مرور أقل من عشرين عاماً على الوباء، فقد جاء أن الإمام اليمني المعتضد عندما دعا لنفسه وأراد دخول صعدة قد استنصر بقبائل الشام من عنز وشريف فأمدته بثلاثمائة مقاتل عام ٦١٤هـ[(٤)]، وهو ما يدل على أن عنز بن وائل ظل لها حضورها ووجودها القبلي وثقلها، ولكن من الواضح أن حالة العداء مع جيرانها قد تراجعت كثيراً على إثر حادثة الوباء، وبدأت مرحلة من التعاضد مع المجاورين لمواجهة

---

(١) إبن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى العنسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى - عمان، ب ت ن، ص٦٥٠

(٢) لا أعلم إن كان حدث امتداد لقبيلة عنز بن وائل على تبالة في تلك المرحلة أم لا، فلا يوجد بين أيدينا ما يشير إلى ذلك إلى هذه اللحظة، ولكن المؤكد لدينا من خلال الروايات اليمنية أن عنز بن وائل ظلت خلال القرن السابع قبيلة معروفة في جهات جرش وما حولها، وأن فروعها كانت لم تزل تقطن في هذه المناطق في عهد ابن سعيد وما بعده، بينما لم يأت على ذكر وجودها في جرش وما حولها في كتابه إطلاقاً، ولعل ابن سعيد قد خلط بين جرش وتبالة، فالمدينتان متجاورتان ويأتي ذكرهما معاً في الكثير من الأخبار، فقد ورد خبر إسلامهما معاً عند البلاذري وغيره، ولعل ذلك كان مكمن سبب الخلط عند ابن سعيد.

(٣) إبن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى - عمان، ب ت ن، ص٥٩٩ - ٦٠٣

(٤) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ، ص٤٠٧

الواقع، وربما حدث تداخل مع قبائل بلاد جنب المجاورة وراحة ونواحيها، يدل عليها ما أشرنا إليه من اتجاه الإمام اليمني المعتضد للاستنصار بعنز وبني شريف، حيث كان أئمة اليمن قبل ذلك يتجهون إلى راحة شريف للاستنصار بجنب وسنحان في حروبهم، ولم يذكر لهم تواصلاً مع بني عنز بن وائل ومع ديارهم حول جرش، وهو ما يدلنا على وجود عنز بن وائل حوالي راحة شريف في تلك المرحلة، فكان أن استنصر المعتضد بشريف في "راحة" كما جرت العادة، فأمدته عنز التي كانت متواجدة هناك بشكل رئيسي فذكرها في الخبر قبل شريف - القبيلة الحليفة لأئمة اليمن - وهو ما قد يحمل الدلالة على الثقل العددي للمشاركين من عنز، إلا أن المؤكد أن هنالك قبائل من عنز قد دخلت في جنب وربما سادت عددياً في بعض بلاد جنب التي جلى معظم سكانها إثر الوباء وحمل المستوطنون اسم المكان الذي ربما يكون ارتبط باسم القبيلة الأولى، كما أن بعضها اتجه من هنالك إلى العمق اليمني، واستوطن بلاد اليمن فعد هنالك من جنب، وهو ما سيأتي معنا، كما حدث ارتباط لجزء من عنز أيضاً مع شهران.

رابعاً: ما بعد الوباء

مرحلة جديدة من الوفاق في جرش ونواحيها

١ـ القرن السابع

منذ بدايات القرن السابع تطالعنا الأخبار بمشاركة أفراد من عنز بن وائل لأول مرة في الحروب اليمنية داخل اليمن، وهو تغير محوري في أحداث المنطقة وتحالفاتها وتوازناتها، فقد جاء في كتاب "غاية الأماني في أخبار القطر اليماني" ليحيى بن الحسين بن القاسم في أحداث سنة ٦١٤هـ قوله:

"وكان قد دعا عقيب موت الإمام ص بالله عليه السلام الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى ابن يحيى، من أولاد الهادي عليه السلام ، بنواحي صعدة. وكان أهلاً للإمامة، فأجابه كثير من العلماء، ودخل صعدة، ثم تخوف من الأشراف بني حمزة، فخرج إلى الشام، واستنصر بقوم من عنز وبني شريف، فأعانوه بنحو ثلثمائة فارس، فتوجه بهم إلى صعدة، فوجد الأشراف الحمزيين قد دخلوها، فوقف في درب الهادي، ووقعت بينه وبين الأشراف مناوشة قتال. وضعف بنو الهادي عن إعانته، فأراد أن يخلف بني حمزة على الظاهر.. ". [1]

في هذا الخبر نجد أن الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن في صعدة يستنصر بعنز وشريف في عام ٦١٤هـ، فتمده بثلاثمائة فارس.

والخبر هنا يحمل مستجداً لم نعهده في أخبار الحروب اليمنية قبل ذلك، حيث لم تكن عنز تتداخل مع أحداث اليمن في القرن السادس الهجري وما قبله، فقد كانت قبائل سنحان وشريف وعبيدة ويام هي التي يتواصل معها أئمة اليمن فقط، حيث يتم تجنيدها من أئمة صعدة أحياناً عندما يعجزون عن الحصول على الأنصار في اليمن في الحروب

---

(١) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعد عبدالفتاح عاشور مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص٤٠٧

الواقعة شمال اليمن، بل إن عنز كانت على علاقة عداء مع أئمة اليمن وأنصارهم في المنطقة في معظم الأوقات، وكان منتهى اتصال أئمة اليمن الجغرافي في جهة الشام (هكذا يطلق عليها أهل اليمن) مع "راحة بني شريف"، كمركز لقبائل محاربة من جنب يتم الاستنجاد بهم في الحروب.

والمثير هنا أننا نجده يستنصر بـ(قوم من عنز وبني شريف)، وإيراده لمفردة "قوم" يضم في تبعيتها قبيلتي "عنز" و"بني شريف" تدل على أنهم كانوا يقطنون معاً في حيز جغرافي واحد، فأصبحوا متحدين في دلالة المفردة "قوم"، كما نلاحظ أنه قد تجاهل البقية، القاطنين في بلاد جنب مثل عبيدة وسنحان بني بشر، وهو ما يدل على أنه تواصل مع هؤلاء القوم من عنز وبني شريف في منطقة قريبة وهو ما ينطبق على راحة بني شريف التي دائماً ما يصل إليها أئمة اليمن للحصول على المدد، إذ لم يعهد إطلاقاً تواصل أئمة اليمن مع جرش وما إليها إلا ما عرف من تواصلهم مع أحواز جرش الجنوبية في راحة شريف وما حولها، ووجود عنز في هذه المنطقة المصالية لصعدة، وطريقة ذكره لها تدل على سيادة "عنز" خلال هذه المرحلة واستقرار هذه السيادة، حيث نلاحظ أن الراوي ذكرها قبل ذكره لـ"شريف"، مع أن بلادها الأساسية تقع إلى الشمال عن شريف، وتفصلها عن بلاد شريف وعن بلاد اليمن: بلاد عبيدة وبني بشر وبقية جنب، وهذه القبائل التي أغفلها الخبر أكثر قرباً وتفاعلاً مع أئمة اليمن في صعدة، وأُقرب لهم من عنز، وهو تغير لا يمكن تجاهله، فهو يدل على انكفاء وتراجع جنب بما فيها شريف على العموم بشكل حاد، فكانت عنز هي البديل الأول والمشارك الأكبر، وإلى جانبها كانت شريف التي ذكرها بعد عنز مع أنها الأقرب، كما أن الخبر يحمل الدلالة على توافق وتحالف بين عنز وشريف حيث تشاركتا في نصرة الإمام، بينما كانت العلاقة مع قبائل جنب علاقة عداء، أورد عنها الهمداني الكثير[1]، وكانت آخر

(١) ولمزيد من الدقة نقول أن الهمداني أورد تداخل سنحان بشكل خاص والتي عدت من جنب ضمن قصائد العوسجي بالإضافة لنهد ويام إلى جانب العواسج من حمير في حروبها مع عنز بن وائل.

أخبار هذا العداء ما اورده الثقفي حول خبر لجوء قبائل سنحان وجنب وخثعم قبيل منتصف القرن السادس للهجرة إلى الإمام أحمد بن سليمان، والاستنجاد به ضد عنز بن وائل[1]، بالإضافة إلى ما ورد لدى الهمداني والأشعري والربعي عن الحروب بين الأطراف، وهو ما يدل على تغير محوري وأحداث كبرى جرت في المنطقة أدت إلى تغير التحالفات والمواطن واستتباب الأمر لعنز بن وائل في المنطقة، ونلاحظ أن هذه الحادثة جاءت كأول خبر يرد إلينا بعد خبر الوباء الذي أصاب المنطقة نهاية القرن السادس للهجرة (عام ٥٩٧هـ).

وقد تكرر مثل هذا المشهد مرة أخرى عام ٦١٩هـ مع الأمير عز الدين محمد بن الإمام حين حرضه أحد الفقهاء على دخول صنعاء فقال في ذلك:

"لك عقبى يوم تظل به البيض حيارى والنقع فيه مثـــار
حولي اليعربان عنز وقحطان وجنب وأختها أنمـــار"[2]

ففي هذه الأبيات يشير الأمير اليمني أن حوله عنز وقحطان وجنب وأنمار، وهو تطور لافت فـ"عنز بن وائل" هي من كانت إلى نهاية القرن السادس للهجرة في حالة خصام وحروب مع القبائل المحسوبة على اليمانية والتي كانت تلجأ عادة إلى أئمة اليمن.

ونلاحظ هنا أيضاً أن الشاعر كرر تقديم ذكر عنز بن وائل على مجاوريها من قحطان، ومن جنب، ومن أنمار مرة أخرى، رغم أنها الأبعد تاريخياً عن مناصرة الأئمة في اليمن، والتكرار تسقط معه احتمالات الصدفة، إذ أنه يدل على الدارج حول منزلة القبائل وقوتها في تلك المرحلة، فاستفاضة تقديم عنز بن وائل على مجاوريها دليل على أهميتها، مما يدل على مكانة عنز، وقوتها، وكثرتها في تلك المرحلة - أي مرحلة ما بعد الوباء - وهو ما يؤكد لنا

---

(١) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٢٠٨

(٢) اليامي الهمداني، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، ص١٧٩

عدم مصداقية القول بأن الوباء قد قضى على عنز بن وائل، أو أضعفها دون مجاوريها فيما بين جرش وراحة شريف وتبالة.

فهذان النصان يعطيان الدلالة على أن عنز بن وائل كانت المستفيد الأول سياسياً من الأحداث السابقة، كما أن الوباء الذي حدث نهاية القرن السادس يبدو أن أثره على بلاد جنب وراحة ونواحيها كان مماثلاً أو أشد مما هو على جرش وما حولها، على عكس ما يستشف من ظاهر الخبر لدى المصادر البعيدة[1]، بل ربما أن الأحداث المحلية المتتالية والوباء قد أدت إلى تشتت قبائل بلاد جنب وهجرة الكثير منها، ونجد من أثر ذلك ظهور قبيلة جنب بعد هذه المرحلة في ذمار، وشبوة وحضرموت، وفي قرى مفرقة في اليمن، وظهور "سنحان" في صنعاء متحالفة مع حاشد، وظهور "عبيدة" في مأرب، وفي حضرموت، بل وظهور قبائل تعرف بـ"جنب" في تهامة المحاذية لبلاد جنب، وقد نجد إشارة لأثر الأحداث السابقة فيما ورد في شرح قصيدة ذات الفروع عن هجرة بعض القبائل المجاورة لعنز وتشتتها مثل نهد وبني الحارث بن كعب إثر صراعاتها المحلية مع قبائل عنز وخثعم، ويتضح أثر الوباء على بلاد جنب وما حولها فيما ورد عن الوباء حيث ذكرت الأخبار أنه أصاب بلاد عنز بن وائل، وفي نفس الوقت حددت المنطقة الجغرافية التي تمحور فيها الوباء ببلاد "راحة ونواحيها"[2]، والتي عرفت في المصادر اليمنية كحاضرة

---

(١) المصادر البعيدة (جغرافياً) كابن الأثير وابن كثير اللذان أوردا الخبر بطريقة أقرب إلى الخرافة، ومقتصراً على قبيلة "عنزة". انظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، اعتنى به محمد العرب، المكتبة العصرية - بيروت - صيدا، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ج٢/ ص٢٦٣٠ ؛ وانظر: ابن كثير الدمشقي، الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، مج٨/ ص٥٧٦

(٢) ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه، ومحمد يحيى عزان، مركز التراث والبحوث اليمني، ص٦٧٤

لبلاد جنب حيث تقع راحة في أقصى جنوبها ملاصقة لبلاد سنحان، ومن ذلك، فمن الواضح أن عنز قد تواجدت بكثرة في "راحة" قبيل الوباء، مما أدى إلى ارتباط ذكر الوباء بقبيلة "عنز" وببلاد "راحة ونواحيها" في نفس الوقت، ومما يؤيد ذلك مشاركة قبائل عنز بشكل رئيسي وإلى جانبها شريف في نصرة المعتضد بالله يحيى بن المحسن عام ٦١٤هـ بينما جرت العادة في تلك المرحلة أن يتجه أئمة صعدة إلى بلاد جنب (راحة ونواحيها) لطلب النجدة، لا إلى بلاد عنز (جرش ونواحيها) التي لم يرد لهم أي تواصل بها في تلك المرحلة.

أما المصدر الآخر عن أحداث القرن السابع فهو الرحالة ابن المجاور (٦٠١ - ٦٩٠هـ) الذي زار الجزيرة العربية واستقر بمكة، ثم انتقل منها إلى اليمن (في الفترة ٦٢٥ - ٦٢٦هـ) عبر تهامة، وتحدث عن بلاد السرو، وعن المدن المشهورة ما بين الطائف وصعدة في عصره، فقال:

"من الطائف إلى صعدة

حدثني محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني قال: إن من الطائف إلى المعدن أربع فراسخ. وإلى الران ثمان فراسخ. وإلى مجرى ثمان فراسخ. وإلى الدورب أربع فراسخ. وإلى يافع ثمان فراسخ. وإلى عدان ثمان فراسخ. وإلى ران كسه أربع فراسخ وهو جبل ذو طول وعرض وعليه مجاز الخلق. وإلى صفى أربع فراسخ وهو سوق يقوم يوم الجمعة. وإلى خفن أربع فراسخ وإلى مدر أربع فراسخ وهو سوق يلتام فيه الخلق ليلة الجمعة. وإلى عضة عرين أربع فراسخ وإلى بلاد بني قرن أربع فراسخ وإلى بلاد بني عبد الدار عشرين فرسخا، وإلى ذهبان سبع فراسخ.

صفة هذه الأعمال

وحدثني الراوي قال: جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر وكل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب وبطن من بطون البدو في قرية ومن جورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم. وقد بنى في كل قصر من حجر وجص وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر يخزن جميع ما يكون من

حوزة وملكه وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم. ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه. ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ويحكمه فيهم. وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ولا يؤدون خراجا ولا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه. بهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو وهم طول الدهر على هذا الفن. وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات وأكلهم السمن والعسل. وهم في دعة الله وأمانه وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب.

و أما ذهبان: فهي أم القرى بلاد عز ويقال إن دور أعمالها أربعون فرسخا وهي نجد اليمن والأصح أطراف أعمال نجد اليمن من شرقي تهامة وهي قليلة الجبال مستوية البقاع. ونجد اليمن غير نجد الحجاز غير أن جنوب نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن. وإلى بلاد قحطان أربع فراسخ وإلى راحة بني شريف فرسخين واد فيه وضعت مدينة البصرة ويسمى درب العقيق. وإلى صعدة عشرين فرسخا وهي مدينة ذات عمارة وأرض نزة ودرب آمن. قال ابن المجاوز: وفي هذا الطريق من الأمم والبلاد والمدن والقرى ما لا يعد ولا يحصى ولا تحويه أقلام الدواوين أي في صنعة الحساب. وشرب أهل البلاد من أنهر سائحة وبعضهم يشرب من آبار ماؤها خفيف على افؤاد[1] ذات هضم ولذة"[2].

ومن خلال وصف ابن المجاور الذي لم يزر بلاد السراة، ولكنه كان ينقل عن الكرماني،

---

(١) هكذا جاءت في المصدر

(٢) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ب ر ط، ١٩٩٦م، القسم الثاني، ص٣٧، ٣٨

فإنه وإن كان هنالك افتقار إلى دقة النقل، والشمول الجغرافي، حيث أشار في البداية محدداً السرو المقصود في وصفه بجزئية صغيرة من السراة، وهي بلاد بجيلة وزهران وغامد وما حولها، أي الجزء الشمالي من بلاد السراة، كما أظهر عجزاً في إيفاء تفاصيل الحالة القبلية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية فيها بشكل وافٍ، ولا يلام على ذلك فهذه التفاصيل لا يستطيع إيفائها غريب عنها، فما بالك بمن لم يزر البلاد التي يكتب عنها.

ورغم ما ذكرناه فإن نصه على وجه العموم وبصفته شاهد عصره يؤكد لنا أن هذه المنطقة كانت تدار عن طريق المشيخات المحلية ولا يوجد بها أي أثر لحكم مركزي قوي في القرن الهجري السابع، حيث لم يكن ذلك ليخفى على مجاوريها لو وجد، كما أن تعداده للمدن المهمة تدلنا على الحواضر المشهورة في بلاد السراة في حينه والتي يبدو أنها أسماء المدن الواقعة على طريق الحج اليمني في جهة الحجاز.

كما جاء عند ابن المجاور في ذكر الطريق من صعدة إلى ذهبان قوله:

" من صعدة إلى الحوانيت أربع فراسخ، بناء أسعد الكامل في وادي سجع، بنى هذه الحوانيت سكنة لما عزم أن يعمر نقل حرف العراق، وإلى خطم البكرات فرسخان، ... "

إلى قوله:

"وإلى القديم فرسخان، وهو موضع قوم كما قال: (أورد بيت شعر) وهذا يام بن أصنع وسكنهم بوادي الخانق والحقة، وإلى ملتقى الأودية فرسخ، وإلى غيل[1] جلاجل[2] فرسخان، وإلى المحلف فرسخان[3] موضع قوم، وإلى البصرة[1] فرسخ، وإلى رفيدة

(١) وردت في المصدر "غسل جلاجل" والتصحيح من الكاتب بناء على الواقع وما ورد في المصادر الاخرى مثل: صفة جزيرة العرب، النص والحاشية، ص٢٢٥

(٢) (غيل) جلاجل: موقع في ظهران الجنوب من بلاد وادعة انظر مطوان، أحمد علي، جرش دراسة في المكان والسكان، ص١٥٧

(٣) المحلف (المختلف): من ديار سنحان ؛ انظر مطوان، نفس المصدر والصفحة

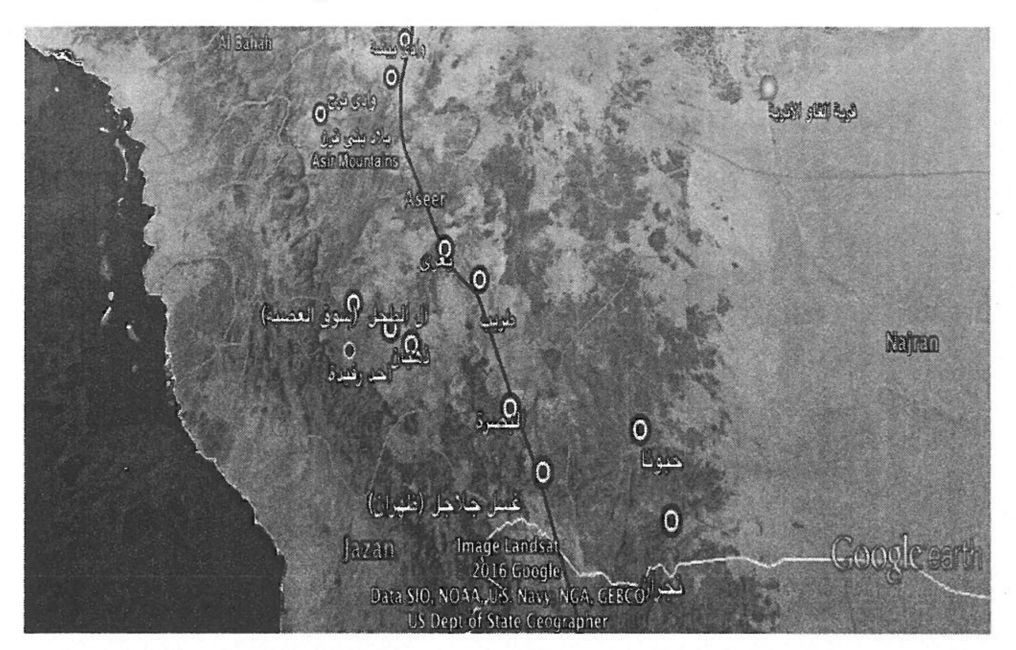
فرسخان، وإلى طريب فرسخان، وإلى ذهبان فرسخان، وتسمى هذه الأعمال بيشة العباس بن مالك بن عمرو بن وائل ويرجع إلى نزار"[٢]

في هذا النص نجد ابن المجاور يشير إلى مسار لحجاج اليمن مختلفاً عن المسار الذي كان في عهد الهمداني (القرن الهجري الرابع) حيث كان الطريق يسير شرقاً ماراً بـ"جلاجل" ثم بـ"طريب" ثم بـ"يعرى" ثم "ينبم" ثم "الجسداء" ثم "بنات حرب" ثم "ترج" ثم "بيشة بعطان"، أما في بداية القرن السابع - حيث عاش ابن المجاور - فالطريق كان قد انحرف لمسافة تزيد عن ستين كيلومتراً إلى الغرب، وأصبح الطريق يمر بـ"البصرة" (الحرجة حالياً) ثم بـ"رفيدة" (إحدى بطون عنز بن وائل)، ثم بطريب - وهي بلدة منقطعة عن هذا الطريق - (ويبدو أن خطأ ما وقع في إيراد طريب هنا كما سيأتي)، ثم بذهبان (خميس مشيط حالياً) ثم بني عبدالدار - التي قدر مساقتها عن ذهبان بسبعة فراسخ - (يبدو من خلال المسافة أن المقصود هو موقع سوق العصبة المعروف بقرية الطحل) ثم بني القرن (بلقرن) التي يمر الطريق عبر ديارها، والتي قدر مسافتها عن بني عبدالدار بعشرين فرسخاً (الفرسخ مابين ٤ - ٦كم).

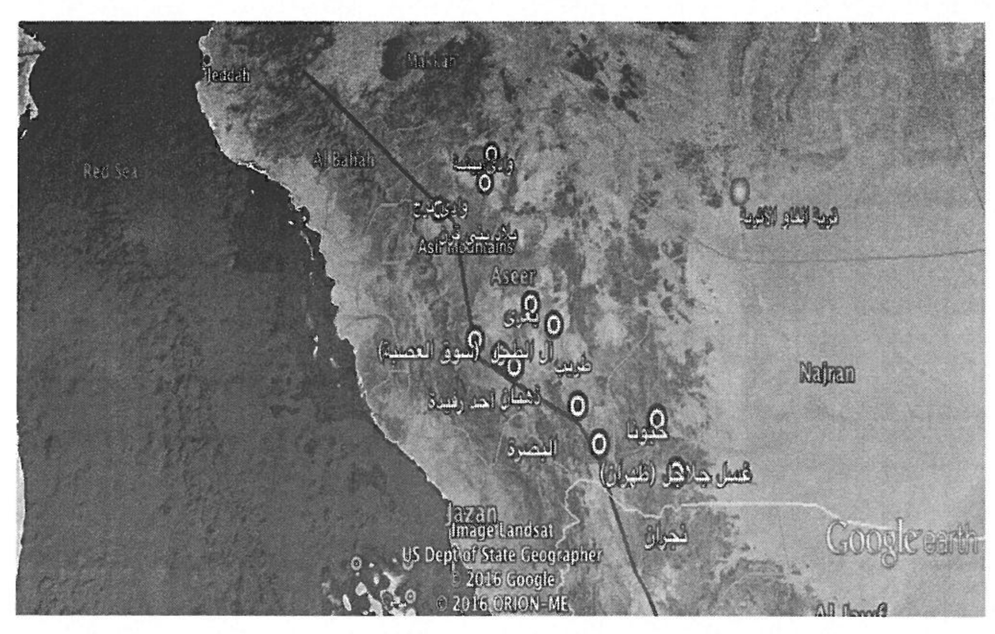
==

(١) البصرة: من قرى الحرجة ؛ انظر مطوان، انظر مطوان، نفس المصدر والصفحة

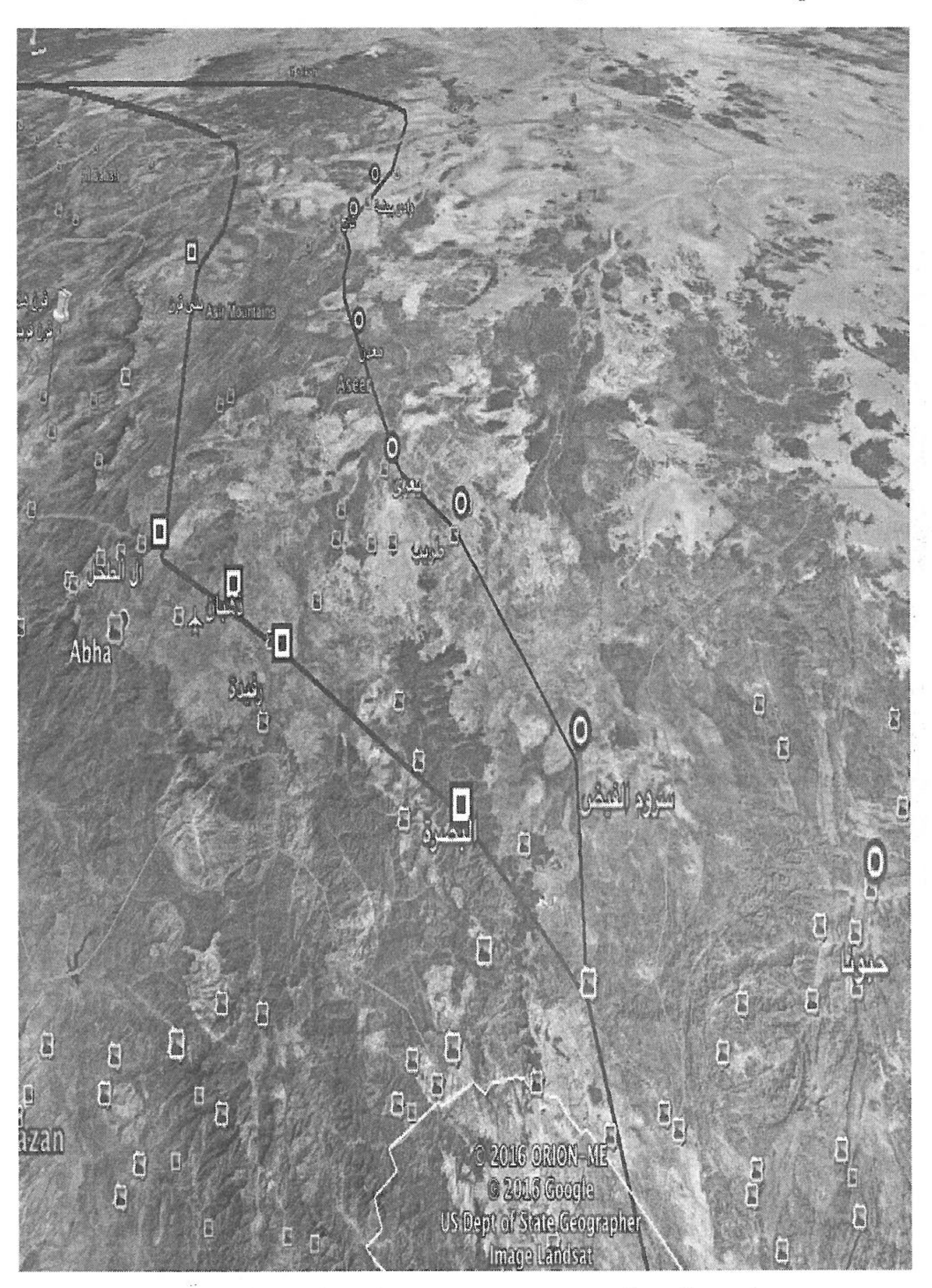
(٢) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ب ر ط، ١٩٩٦م، القسم الثاني، ص٢٣٦-٢٣٨



طريق حجاج اليمن كما وصفه الهمداني وابن خرداذبة في القرن الثالث والرابع



طريق حجاج اليمن كما وصفها ابن المجاور في القرن السابع



طريق الحج القديم (شرق) وطريق الحج الجديد (غرب)

نلاحظ أن الطريق قد انحرف اتجاهها عن السابق إلى الغرب بشكل حاد، فـ"يعرى" التي كانت تمر بها الطريق تبعد عن قرية "آل الطحل" الموازية لها والتي أصبحت الطريق تمر بها أكثر من ٦٠كم إلى الشرق، وقرية آل الطحل، ورغم أنه لم يذكرها ابن المجاور بالإسم، ولا نعلم إن كانت معنية بأي الأسماء الواردة في نصه أم لا، إلا أنه عرف بها سوق لحجاج اليمن يمرون به بعد خروجهم من ذهبان قاصدين مكة وقبل وصولهم إليها عائدين من مكة، ليقام مرتين بشكل سنوي عند ذهاب الحجاج ثم عند عودتهم ويمكث فيه الحجاج حوالي عشرة أيام في كل مرة(١).

ومن اللافت أن ابن المجاور ذكر رفيدة ولم يذكر عنز بن وائل ولعل هذه أول مرة نجد فيها مثل هذه الإشارة، فقد جرت العادة قبل ذلك أن يشار إلى عنز بن وائل كوحدة قبلية واحدة وقد يشار إلى أي بطونها إلى جانبها، وهذا يدلنا على مرحلة بداية تراجع العنزيين عن عصبيتهم، والرغبة في الاندماج في المجتمع المحيط، حيث كانت عنز بن وائل حتى نهاية القرن السادس تخوض صراعاً من أجل البقاء مع مجاوريها، وتحرص على وحدتها خشية أن تتعرض - أو أي بطونها - لحرب إبادة بدافع العصبية العرقية القحطانية التي حملت لواءها القبائل المجاورة (ما عدى خثعم) مقابل العصبية العدنانية التي أثقل بها كاهل قبيلة عنز بن وائل بصفتها ربعية معدية فحملتها، كما نلاحظ أن المؤلف ذكر اسم شامل كانت تعرف به مجموعة من المناطق يبدو أنها تشمل: رفيدة (أحد رفيدة)، وذهبان (الخميس) فأطلق على هذه المواقع: "بيشة العباس بن مالك بن عمرو بن وائل" ويرجع إلى نزار (حسب قوله)، والواضح لدينا أن العباس هذا هو أحد أمراء قبائل عنز، إذ لا وجود لما أسماه "عمرو بن وائل"، بل هنالك "عنز بن وائل" في المنطقة، وهذه بلادهم

---

(١) حول هذا السوق انظر:

- آل حامد، عبدالرحمن بن عبدالله، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، نادي أبها الادبي، ١٤٢٦هـ، ص٨٥٨
- الثبيت، محمد صالح، التلادة قرى وسكان، ب د ن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٥٥، ٥٦

بالضبط، ووادي بيشة يمتد في بلاد رفيدة ثم فيما بينها وبين ذهبان التي تقع على وادي بيشة بينما طريب التي ذكرها لا تقع على وادي بيشة ولا يشملها الاسم كما أنها منقطعة عن رفيدة وذهبان ويستبعد أن يمر بها المار بين رفيدة وذهبان لأنه سيضطر إلى الرجوع إلى الشرق لمسافة خمسة وخمسين كليلومتراً في أرض وعرة ليصل إلى طريب، ثم العودة نفس المسافة والتضاريس إلى الغرب ليصل إلى ذهبان، بينما المسافة بين رفيدة وذهبان حوالي خمسة عشر كيلومتراً فقط من الأرض السهلة، ومن ثم فربما أقحمت طريب بطريق الخطأ أو ربما جرى تصحيف للمسمى.

ولا شك أن هذا التغير في طريق الحج يدل على أن أحداثاً جرت فيما بين عهد الهمداني (القرن الرابع) وعهد ابن المجاور (القرن السابع) أدت لتغير طريق الحج واتخاذ مسار جديد لحجاج اليمن يمر عبر بلاد عنز بن وائل، وهنا نعود إلى قصة "عرفطة الطحل" مع جنب وخثعم وسنحان الذين كانت الطريق تمر بديارهم فقط، لنرجح وبدرجة عالية أن تلك الحادثة التي جرت في منتصف القرن السادس لها علاقة بهذه الحالة، خاصة ونحن نرى مرور الحجاج بقرية "آل الطحل" - التي تحمل اسم عشيرته - في أقصى غرب بلاد السراة، وإقامة سوق لحجاج اليمن سنويا عند الذهاب وعند العودة في نفس القرية، وهو السوق الذي ظل يقام إلى النصف الثاني من القرن العشرين[(١)]، حيث توقف هذا السوق بعد تغير مسار طرق الحجاج تبعاً لمسار طرق السيارات التي أصبحت وسيلة النقل الوحيدة.

وهذا كله يقود إلى التأكيد على صحة أن قبائل جنب وسنحان قد انتقل الكثير منها مع أحداث القرن السادس التي كان آخرها الوباء الذي حل بأجزاء واسعة من بلادها،

---

(١) انظر:

- آل حامد، عبدالرحمن، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، ب د ن، ص٨٥٨
- محمد صالح الثبيت، التلادة قرى وسكان، ب د ن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٥٥، ٥٦

وكان محوره في "راحة ونواحيها"، ومع تواشجها مع أئمة اليمن كمحاربين تم توطينهم في أجزاء متفرقة من اليمن، فمن الواضح أن عنز بن وائل وبقية البطون الوائلية المنضوية فيها قد امتد استيطانها بشرياً على كامل المنطقة ولكن بشكل متفرق إذ أن هنالك قبائل أخرى تداخلت معها البطون العنزية وربما انضوت القبائل العنزية فيها، حيث بدأت عنز تتخلى عن عصبيتها الخاصة بعد الوباء، فتفرقت بعض قبائلها وأخذت تتصرف كل منها باستقلالية، فحمل السكان الجدد لبلاد جنب وسواها أسماء القبائل الأساسية، بل وأمعنت هذه القبائل في محاولة الخروج من ذاكرة الحروب الدامية والعداء مع الوسط المحيط والاندماج في الجوار، فدخل بعضها في همدان ويام، بينما تحالفت أخرى وربما حالفت مجاوريها في الحلف المسمى "قحطان"، إمعاناً في الهروب من وصمة "العدنانية"، خاصة وأن القبيلة كانت منهكة بشدة بعد الوباء.

٢ـ القرن الثامن

لم يختلف القرن الثامن عن سابقه بل كان امتداداً لحالة تراجع عنز بن وائل التدريجي عن التصدر وانضوائها في البيئة المحيطة، وقد نلاحظ ذلك من خلال ما ورد في رحلة اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) إلى مكة وبعض مناطق الجزيرة العربية خلال القرن الثامن، والتي تحدث فيها عن أهل السراة في قوله:

"وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز، فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها، وتعم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم، ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ووقع في مواشيهم، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم، وظهرت فيها البركة، ونمت أموالهم، فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها، اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين، وبلاد السرو التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة، كثيرة الأعناب وافرة الغلات، وأهلها فصحاء

بالألسن، لهم صدق نية وحسن اعتقاد، وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها، لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، داعين الله بأدعية تتصدع لرقتها القلوب وتدمع العيون الجامدة، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم، مؤمنين على أدعيتهم، ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم، ولا استلام الحجر، لتزاحمهم على ذلك. وهم شجعان أنجاد، ولباسهم الجلود. وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم، وذكر أن النبي ﷺ ذكرهم وأثنى عليهم خيراً وقال: "علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء". وكفاهم شرفاً دخولهم في عموم قوله ﷺ: "الإيمان يمان والحكمة يمانية". وذكر أن عبدالله بن عمر ﵄ كان يتحرى وقت طوافهم، ويدخل في جملتهم، تبركاً بدعائهم، وشأنهم عجيب كله، وقد جاء في الأثر "زاحموهم في الطواف، فإن الرحمة تنصب عليهم صباً"[(١)].

ونلاحظ تشابه ما اورده مع ما أورده ابن جبير، إلا أنه قد حدد المناطق المقصودة بـ"السرو" بشكل أوضح، وهو ما لم يرد لدى ابن جبير مما يدل على أن ابن بطوطة كان شاهداً، أو لعله اقتبس من أهل مكة أيضا ولم يقف عند ما قاله ابن جبير فقط، والملاحظ هنا انه لم يرد اسم عنز بن وائل ولا أي بطونها، إذ كان يتحدث عن الجزء الشمالي من بلاد السراة والتي شاهدها ابن جبير (بجيلة وزهران وغامد)،

ولكن تراجع عنز بن وائل عن الحضور السياسي لا يعني أنها انقرضت أو تلاشت كقبيلة معروفة بذاتها او كمكون بشري خلال هذا القرن.

٣- القرن التاسع

ليس لدينا ما يشير إلى أحوال قبيلة عنز بن وائل في هذه المرحلة، وإن كنا لا نرجح انها

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه د. جرويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣١هـ، ص١٤٨

اختلفت عن القرن السابق له، إذ بدأت تضمحل رابطة العصبية الشاملة لها، وأخذت بطونها تتصرف باستقلالية وتنفتح على مجاوريها، وقد نجد ما يدل على تراجع ذكر عنز بن وائل فيما ذكره القلقشندي في القرن التاسع عن بلاد السراة كافة، حيث تحدث عن بلاد السراة بصورة عامة ولم يأت على ذكر عنز بن وائل عندما تحدث حول انقسام اليمن بين الأشراف الحسنيين في الجبال وبقية الممالك في تهامة إلى أن تطرق إلى بلاد السراة ومجاورتها لبلاد اليمن، فقال:

"قال: وحدثني أبو جعفر بن غانم: أن بلاد الشرفاء هؤلاء متصلة ببلاد السراة، إلى الطائف، إلى مكة المعظمة. قال: وهي جبال شامخة، ذات عيون دافقة ومياه جارية، على قرى متصلة، الواحدة إلى جانب الأخرى، وليس لواحدة تعلق بالأخرى بل لكل واحدة أهلٌ يرجع أمرهم إلى كبيرهم، ولا يضمهم ملك ملك، ولا يجمعهم حكم سلطان، ولا تخلوا قرية منها من أشجار وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز، ولها زروع أكثرها الشعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب، وضاقت بها الحضائر. قال: وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من يمر بهم، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم. وإذا ذبحوا لضيفهم شاة، قدموا له جميع لحمها ورأسها وأكارعها وكبدها وقلبها وكرشها، فيأكل ويحمل معه ما يحمل. ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا برفيق يسترفقه منها فيخفره، لوقوع العداء بينهم."(١)

ونلاحظ أن القلقشندي كان يتحدث عن السراة بمفهوم أشمل، حيث شملت إشارته الابتداء من البلاد الملاصقة لبلاد الشرفاء (يقصد أئمة اليمن)، أي ابتداءً من طلحة الملك جنوباً إلى الطائف شمالاً، وما ذكره القلقشندي يدلنا على عدم وجود الدولة أو الحكم الشامل على امتداد تاريخ بلاد السروات فيما بعد اندثار جرش في القرن الخامس، حيث ذكر أنه "لا ترجع قرية من قراهم إلى الأخرى بل كل قرية لها شيخها"، وأفاد بأنهم

---

(١) القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ج ٥/ ص٣٨

لا يخضعون لملك ملك ولا يجمعهم حكم سلطان، كما أنه أشار إلى حالتهم الدينية والاجتماعية حيث كان الناس شديدي التدين على العقيدة السليمة، وأنهم أهل كرم ونخوة، ولكنه أشار إلى كثرة الحروب والعداوات المحلية بين القرى.

٤ـ الحالة السياسية والدينية في بلاد عنز بن وائل في القرنين العاشر والحادي عشر

سنعرض هنا وصف أحد من أقاموا بمنطقة عسير خلال نهاية القرن العاشر للهجرة وجزء من القرن الحادي عشر، كشاهد عيان على الحالة في هذه المنطقة، بصفته يمثل آخر مدونة تصف الوضع السياسي والاجتماعي والديني في المنطقة فيما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى الآن، وهو ما ذكره محمد أبو علامة في كتاب "التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية" في خبر رحلة والده عندما لجأ إلى منطقة عسير في نهاية القرن العاشر الهجري فراراً من اليمن إثر احتلال العثمانيين لها فاتجه من اليمن إلى صبيا قاصداً الطائف، إلا أنه غير وجهته من هنالك إلى عسير التي استقر بها في جهة ذهبان حتى بدايات القرن الحادي عشر، وهذا نص ما جاء في رحلته:

"وكانت رحلته عليه السلام في آخر شهر ربيع الآخر من سنة أربع وتسعين وتسعمائة سنة واجتمع وحضر بيعته من الفريقين الزيدية والشافعية من لم يجتمع في بيعة أحد من العترة الزكية وبعد أن بايعه العلماء رغبوا انتقاله إلى السراة ببلاد قحطان مهاجر آبائه وأجداده فيما مضى من الزمان فارتحل من صبيا وتبعه العلماء إلى السلامة فتلقاهم أهلها بالإجلال والإعظام والكرامة وذلك في جمادى الأولى من السنة المذكورة ثم إلى عتود ثم إلى درب ملوح الشهير وطلبوا جماعة من عقال عسير فوصل مشائخ بني مغيد آل مدحان فأعطوهم ما طلبوا وشرطوا عليهم أن يوصلوا الإمام إلى ذهبان فارتحل بأولاده إلى مهاجر آبائه وأجداده فلما وصل به المشايخ قريتهم مناظر فرت من العتمة القلوب والنواظر، ثم انتقل منها إلى ذهبان وهو خيار بلاد شهران وذلك في غرة شهر رجب من السنة المذكورة فلما وصل إليه تلقاه الشيخ الوفي الأمجد محب آل محمد مريع بن مانع بن ناصر بن الحفارص إلى خارج البلد وهل أصحابه ورحبوا بالإمام ومن معه كعادتهم للضيف بأصواتهم العالية

الحشام. وأدخل أولاد الإمام إلى داره وما زال عند الإمام يكثر له الحمد والشكر لله على أن خصه بجواره وضيف الإمام جميع المشائخ آل الحفارص وعبدين فتكثر الإمام منهم بالخير ودعا لهم وقال نريد الانتقال إلى الواديين فلما سمع الشيخ مريع ذلك المقال ضاق ذرعاً وقال هيهات يا مولانا أن يفوز بالقيام عليك غيري من الرجال وكيف خصني إلهي بهذه الفضيلة وشرفني بهذه النعمة الجليلة وأفوتها إذا أكون أشقى البرية وأجهلهم بحقوق العترة الزكية إبحار السفينة وتابوت السكينة وابتنايات المدينة وآلا بمغلظات الأيمان لا انتقل الإمام من ذهبان إلى أن يدرج الشيخ في الأكفان أو يأتي للإمام بصر من الرحمان فأسعده الإمام وفاز الشيخ ما رام وانقطع الخوض في ذلك الكلام وبنا له الشيخ داثراً عظما وكان محله عنده المحل الأسما وقام به القيام التام وانتظم به حال الإمام وأمر الشيخ جميع من تحت يديه من قبايله بتسليم واجباتهم إليه وساق للإمام وأولاده ما تحل لهم من عين الزكوات واستمر ذلك على أحسن الحالات ووصل إليه مشائخ رفيدة وقحطان فبايعوه وألزموا قبايلهم سوق واجباتهم إليه من جميع الأوطان واهتدى على يديه أكثر أهل تلك البلدان ثم بث الإمام رسايله إلى جميع الأقطار وكانت العلماء تفد إليه وتبايعه من جميع الأمصار وأجيبت دعوته وعظمت كلمته وكان شحناً في حلوق الظالمين وقذاً في عيون الفاسقين، وكانت الأشراف بمكة المشرفة المحمية تراسله وترسل إليه شيء من الواجبات الشرعية "

إلى أن يقول:

"وأقام عليه السلام العلم والدرس والتدريس واستعد بالعبادة والإقرار والتأليف في كل معنى نفيس وأنشأ الخطب والرسايل المفيدة من أبدع القصائد الفريدة... الخ"[1]

هذا النص يمثل شهادة شاهد عيان وتوثيق مهم من رجل استقر في وسط بلاد عنز بن وائل بالضبط، وتعامل مع أهله اثني عشرة عاماً امتدت ما بين نهاية القرن العاشر

---

(١) المؤيدي، محمد بن عبدالله، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية (مخطوط)، ورقة ٣٢٣ ومابعدها

وبداية القرن الحادي عشر، حيث انتقل مع جماعة من قبيلة جماعة إلى رازح عام ١٠٠٦هـ.

في هذا النص ورغم تواجد الراوي في وسط بلاد عنز بن وائل، إلا أننا لا نجد أثراً لذكر عنز بن وائل كقبيلة، ولكن الملاحظ أن فروعها الكبرى مثل "عسير" و"رفيدة" أصبحت كل منها تمثل وحدة قبلية مستقلة وأساسية تحمل اسمها وقرارها بموازاة قبائل المنطقة الأخرى، مثل شهران وقحطان وغيرها، منفصلة عن بعضها البعض، والشاهد هنا انقطاع تواصل العسيريين مع المؤيدي منذ وصوله إلى ذهبان، وبدء تواصله في نفس الوقت مع رفيدة وبقية القبائل مثل شهران وقحطان المجاورتين لها، كما اننا لم نجد ذكراً لقبائل جذيمة ولا أراشة، وربما أن بقية جذيمة التي كانت تقطن بلاد الرونة وما حولها من القرى الواقعة في ذهبان (خميس مشيط) هي قبيلة آل الرشيد الحالية التي تقطن في نفس المواطن، ولكنها انضوت في شهران كبقية شعف أراشة بن عنز بن وائل المجاورين لها.

كما أننا من خلال هذا النص نستنتج استمرار انقطاع الوضع السياسي في منطقة عسير (حيث بلاد عنز بن وائل) عن اليمن وعن ما يحدث فيه، فقد كانت هذه المنطقة خياراً بديلاً للجوء السياسي بعد أن كان الخيار الأول هو الطائف، ومن ثم فقد رجحت كفتها أخيراً، وتمكن عبدالله المؤيدي من اللجوء إلى هذه المنطقة والاستقرار فيها لمدة اثني عشرة عاماً والتواصل مع شريف مكة، دون أن يتعرض له أحد من ولاة الدولة العثمانية في اليمن في حينه.

كما يتضح لنا من خلال إشاراته في قصيدته التي بعث بها إلى أحمد بن علي بن أبي القاسم المعافى في تهامة ما يدل على أنه وجد رفضاً في المنطقة لدعواه للإمامة من خلال قوله:

"كتبت إلى القبائل كل حين ... وطولت الرسايل والكلاما
دعوتهم وشيعتهم جميعـــاً ... وما قصرت نثراً وانتظامـــا
فلبوني سوى خـب حسود ... وأحمق عن هدايته تعاما[1]"

(١) المؤيدي، محمدعبدالله (أبوعلامة)، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء، ورقة ٣٢٨

كما أن النص يشير إلى أن الجزء الأكبر ممن زاروه وبايعوه في القبائل المذكورة لم يكونوا على مذهبه فيما قبل ذلك، ونجد دلالته في قوله: " واهتدى على يديه أكثر أهل تلك البلدان. "(١)

٥ـ القرن الثالث عشر وما بعده

إن من المهم أن نشير إلى أنه وإن كنا قد وجدنا أن ذكر عنز بن وائل في التاريخ الحديث وربطها ببلادها في منطقة عسير في مرحلة ما قبل تحقيق مخطوطات كتاب الهمداني والكلبي فيما بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نادر جداً، فإن الأمر لم يكن كذلك فيما قبل ذلك، فنحن نجد أن أحد القادة العثمانيين الذي دخل لبلاد عسير غازيا عام ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) كأحد قادة الجيش العثماني، ثم استقر في منطقة عسير لعدة سنوات كأحد القادة العسكريين بها، أورد في مذكراته الشخصية ذكراً لعنز بن وائل يقول أنه كان متداولاً بين الناس وكان ذلك في قوله:

"لواء عسير

إن مضافات عسير قائمة – أيضاًـ على بعض الجبال المتسلسلة المذكورة، وفي أرض تهامة. فالأماكن القائمة في الجبال هي: السقا، الباحة الخضراء، أبها، قحطان، شهران، رفيدة، تنومة، غامد، زهران، بيحان، جهرة، وفيها قبائل كثيرة، وقرى عديدة كبيرة، ومعظم هذه الوديان يقال لها: ديار عنز، كما يقال لها أرض طود، أرض جرش، ... (٢)"

ومن خلال هذا النص المنسوب لأحد قادة الدولة العثمانية الذين وقفوا على الوضع في عسير في القرن التاسع عشر، وعايشوه بشكل مباشر، وعاشوه، يتضح أن قبيلة عنز بن وائل في المراحل الأولى من فترة الإمارة العسيرية المحلية كانت معروفة ومشهورة في

---

(١) المؤيدي، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية (مخطوط)، ورقة ٣٢٣ وما بعدها

(٢) راشد، الأمير آلاي أحمد، الحملة العثمانية على عسير، قدم له وعلق عليه د. محمد آل زلفة، بلاد العرب للنشر والتوزيع – الرياض، ط١ ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص١٥٧

المنطقة، وكان السكان على إدراك تام بحجم وجودها بينهم، وعلاقتهم بها، إلا أن الواضح أن المسار السياسي كان يتعارض مع هذا الوجود الذي ظل متداولاً بشكل محدود بين الخاصة لفترة طويلة، فبدأنا نرى في المدونات العسيرية منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الحرص على تغيير المفاهيم حول هذا الوجود، وحول الانتماء القبلي للمنطقة، الذي يبدو أنه ظل على حاله القديم حتى سقوط هذه الإمارة، وهو ما يدلنا على أن عنز بن وائل ظلت موجودة ومشهورة على مدى التاريخ، ولم يحدث أي تغير جذري في التركيبة العرقية لبلادها التي كانت لها السيادة عليها، بل يفترض أنها توسعت سيادتها على بلاد بعض القبائل المجاورة التي هاجرت إلى اليمن وحضرموت ونجد كنهد والحارث بن كعب وبعض جنب، وغيرها.

خامساً: علاقة عنز بن وائل بالممالك والإمارات والإدارت المحلية المحيطة

من خلال ما ورد في النقوش اليمنية وما ورد في كتب السيرة والتاريخ العربي، فمن الواضح أن بلاد جرش وأحوازها (حيث عنز بن وائل) كانت فيما قبل الإسلام تتمتع باستقلالية عن الممالك المجاورة، إذ اعتبر الباحثون في تاريخ جنوب الجزيرة العربية أن الحدود القديمة لبلاد هذه الممالك الجنوبية (التي قامت في مأرب وكحلان وبراقش وحضرموت وما إليها) مثل سبأ، واوسان، وقتبان، وحضرموت، وغيرها كانت تنتهي عند وادي بيش[(١)] في تهامة، كما أنه ورد عند قدامة وابن خرداذبة أن النبي ﷺ قد وضع طلحة الملك حداً بين الحجاز واليمن[(٢)]، فهي تمثل بداية نفوذ ولاة مكة المكرمة، وبعدها تبدأ ولاية اليمن، وهذا لا شك كان امتداد للوضع فيما قبل للإسلام.

وطلحة الملك موقع شمال صعدة بالقرب من ظهران الجنوب[(٣)]، كما أن طلحة الملك أيضاً اسم قرية بناحية الجراف من ظاهر بني صريم في محافظة عمران[(٤)]، جنوبي صعدة، أي أن صعدة - في حالة اعتبار الثانية هي المقصودة - تقع خارج إطار النفوذ الطبيعي للممالك اليمنية القديمة، وكلاهما خارج إطار إقليم جرش وأحوازها.

وقد ظل ولاة جرش يتبعون لمكة المكرمة، والمدينة المنورة طوال مرحلة وجود الولاية الشاملة في جرش، وكان آخر من ورد له ذكر منهم "الموصلي" الذي أشار له الهمداني[(٥)] (عاش في القرن الثالث والرابع).

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢/ ص٥٥٠

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨٩

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، حواشي سفلية، وقد حدد لمحقق "طلحة الملك" بقوله: "قرية كبيرة قرب ظهران الجنوب شمال صعدة"، ص٣٧٢

(٤) ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح، مطلع البدور ومجمع البحور، ص٩٧

(٥) الهمداني، الإكليل، ج٢/ ص١٤٦

ومنذ أن قامت الإمامة في اليمن فإننا لم نجد بين أيدينا من ملامح التواصل بين قبائل عنز بن وائل وأئمة اليمن ما يدل على علاقة تبعية سياسية بأي درجة، بل الواضح أنه كانت هنالك حالة من الحذر من التدخل في بلاد عنز في جرش وما حولها من قبل أئمة اليمن، حتى عندما يستدعون لذلك لأي سبب.

ورغم أنه لا بد من حدوث التواشج بين الطرفين المتجاورين، إلا اننا لم نجده قد حدث إلا في حالات نادرة فقط، كانت لها ملابساتها، ومن ذلك ما حدث في بداية وصول القاسم العياني لصعدة، إذ بعد أن انتقل القاسم بن علي العياني من ترج (أحد أودية سراة منطقة عسير) إلى صعدة عام ٣٨٨هـ، واستقر في عيان، في بداية عهده، تواصل العنزيون معه عام ٣٩٠هـ (أي فور استقراره)، حيث أورد الحسين بن أحمد بن يعقوب:

"وكان يوم الإثنين لثمان خلون من شهر جمادي سنة تسعين وورد إلى الإمام عليه السلام ، وهو بعيان ركب من عرفاء عنز بن وائل مما يدانون الخمسين رجلاً للزيارة له والدخول في طاعته فأقاموا عنده يومين بعيان، ثم صرفهم إلى صعدة وأمرهم بالمقام هنالك، وأمر خزانه بالعناية بهم والكرامة لهم"(١).

ثم يسترسل الراوي بعد سرده للأحداث التي وقعت بين الإمام وهو بعيان والمليح بن إبراهيم بن محمد في صعدة، إلى حين وصول خبر إعلان المليح الملك لنفسه في صعدة إلى الإمام فيقول في ذلك:

"فوصلا للإمام عليه السلام بهذا الخبر فنهض من الحصن على قدميه وأمر بمن كان في الحصن أن يخرجوا ويستعدوا، ولم يكن عنده إلا النفر الذي أتوا معه من عيان، والضيف الذين عنده من الحجاز بنو أبي الطيب الحسيني وخدمه، والرجال (العنزيون)(٢) الذين

---

(١) ابن يعقوب، الفقيه القاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١٧٥

(٢) وردت في المصدر (العشريون) وتم تعديلها من الكاتب هنا، حيث من الواضح أن هنالك خطأ في ==

وفدوا عليه فهبطوا كلهم"[1].

إلى أن يأتي على خبر هجوم أهل صعدة على أنصارهم وهزيمتهم إلى داره ثم حصار أهل صعدة لدار الإمام وخروجه على المحاصرين فيقول:

"وإذا أصحابه لازمون له الطريق لمخرجه من الدار، فلما خرج وهم على ذلك الحال فقلبهم إلى القرية وجعلهم فريقين ففرقة وهم العنزيون وأمرهم يلزموا الشارع الذي يسلك فيه دار بني الملاح إلى السوق وبالقتال فيه من قاتلهم، فلزموه، وقاتلوا فيه، وكفوا إذ ذلك".

ورغم أن هذا التواصل كان مبكراً جداً، ومتزامناً مع بداية وصول الإمام العياني لصعدة، وكافة اليمن، إلا أن هذا الخبر هو الخبر الوحيد الذي بين أيدينا حول التواصل بين عنز بن وائل وأئمة اليمن فيما قبل حدوث الوباء في بلاد عنز بن وائل، والذي كان مع نهاية القرن السادس للهجرة وبداية القرن السابع، والملاحظ أن هذه الحادثة جاءت بعد رحيل الإمام لليمن بفترة ما بين عام إلى عامين، أي فور استقراره في اليمن، وشيوع خبره.

ولا شك لدينا أن الإمام الذي كان مستقراً بـ"ترج" مجاوراً لعنز بن وائل في بلاد الحجاز، كان معروفاً للعنزيين قبل وصوله لليمن، كما أن رحيله من ترج إلى عيان كان معلوماً للعنزيين، ومن ثم فإن الإمام القاسم العياني لم يكن محسوباً على اليمن، بل هو بالنسبة للعنزيين رجل قرشي كان يقطن بلاد السراة (الحجاز)، تمكن من إقامة الحكم في بلاد اليمن، بعد انتقاله إليها، فاستحق التأييد فوراً من العنزيين، ولعل ذلك كان خوفاً من الوسط المحيط الذي بدأت إثارة استعدائه لعنز بن وائل قبيل تلك المرحلة، فالراجح أن

==

النسخ، فصحة المفردة: "العنزيون"، حيث أنهم ضيوف عند الإمام كما ورد في الخبر السابق، وشاركوا مع الإمام في المعارك كما سيرد في الخبر اللاحق، ولا وجود لمسمى "العثريون" في الأخبار السابقة ولا اللاحقة المتعلقة بالحالة.

(١) ابن يعقوب، نفس المصدر السابق، ص١٨٣

العنزيين رغبوا من خلال ذلك في قيام جارهم السابق، والمحسوب مثلهم على العدنانية، بدور ما في ترويض هذا العداء تجاه عنز بن وائل، من خلال وجوده في السلطة، وفي أن يكون نصيراً لهم بعد أن أصبح حاكماً جديداً في بلاد خولان وهمدان وصعدة وما حولها، ومن ثم فلا يمكننا إعطاء وصول هذه المجموعة إلى صعدة أي معنى فيما يخص الارتباط بالإمامة في اليمن في تلك المرحلة، خاصةً وأنها كانت حادثة التواصل الوحيدة عبر القرون المتتالية حسب ما تفضي به جميع الكتب اليمنية والحجازية وغيرها، كما لم يكن قد ذاع خبر دعوته وحقيقتها بالطريقة المعروفة، خاصةً وأننا لم نجد أي خبر عن وصول أي أئمة اليمن إلى بلاد عنز بن وائل أو أي قراها أثناء حكمهم في اليمن.

أما الخبر الثاني حول تواصل عنز بن وائل مع أئمة اليمن فقد كان في مرحلة ما بعد حادثة الوباء مباشرة، وبالضبط في بداية القرن الهجري السابع عام ٦١٤هـ حيث اتجه الإمام اليمني المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى ابن يحيى (من أولاد الهادي عليه السلام) من نواحي صعدة إلى الشام واستنجد بقوم من عنز بن وائل وشريف فزودوه بثلاثمائة فارس، خرجوا معه إلى اليمن[١].

قلت: لا شك أن الإمام اليمني لم يصل إلى جرش ولا إلى بقية بلاد عنز بن وائل المعروفة فيما حول جرش، بل لم يتجاوز راحة شريف كما جرت العادة، والواضح لدينا أن العنزيين الذين ناصروه كانوا يقيمون في راحة وما حولها، ويدل على ذلك مشاركة أفراد من شريف في معيتهم، ويبدو أن هذه المجموعة التي أنجدت الهادي قد استقرت في اليمن، إذ تكررت الإشارة لمشاركة العنزيين مع إمام يمني مرة أخرى بعد فترة وجيزة (عام ٦١٩هـ) مع الأمير عز الدين محمد بن الإمام حين هم بدخول صنعاء فقال في ذلك:

"حولي اليعربان عنز وقحطان　　　وجنب وأختها أنمار"[٢]

---

(١) ابن القاسم، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ، ص٤٠٧

(٢) اليامي الهمداني، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز

==

وهو ما يدل على وجود مجموعة من مقاتلي عنز بن وائل وإلى جوارهم مقاتلين من قبائل اليمن ومن جنب وأنهار في جيش الإمام، ويظهر مما تقدم أن هذه المجموعة قد استقرت في اليمن وتعايشت مع القبائل اليمنية، فقد ورد في المصادر اليمنية وجود قبائل يقال لهم "بنو عنز" ويقال لأحدهم "العنزي" في جهة الجراف[1] بصنعاء.

والاستنجاد بأهل الشام في الكتب اليمنية تعني قبائل سنحان وجنب ويام، والشام في عرف المدونات اليمنية أقصاه راحة شريف، والتي كانت محسوبة على الحجاز ويطلق اليمنيون على قبائلها من شريف وجنب مسمى "الحجازيون"، ولم تكن عنز بن وائل مذكورة في تاريخ وأحداث أئمة اليمن فيما قبل ذلك، ولا ما بعد القرن السابع، بل وحتى راحة شريف لم تكن جزءاً من امتداد نفوذ أئمة اليمن بقدر ما كانت قبائل جنب، وسنحان، ويام متفاعلة مع الأحداث داخل اليمن ومشاركة في الصراعات بين أئمة اليمن داخل المدن اليمنية، ومن ثم فإن تداخل عنز بن وائل في هذه المرحلة والتي كانت بعد حدوث الوباء بما لا يتجاوز ٢٠ عاماً وتداخلها في نفس الوقت مع "شريف" و"جنب" يحمل الكثير من الدلالات أكثر من مجرد التواصل مع أئمة اليمن، إذ أن أئمة اليمن والقبائل المناصرة لهم كانوا على عداء مع قبائل عنز بن وائل كما يتضح من رواية الثقفي في القرن السادس، عندما همَّ بغزو عنز بن وائل بناء على طلب القبائل المجاورة لها، وبقي يلتمس الوقت المناسب ويجمع القبائل حوله ويتحين الفرص لذلك لفترة طويلة إلى أن

==

باليمن، تحقيق ركس سميث، مركز تحقيقات كامبيوتر علوم إسلامي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٧٩

(١) جحاف، لطف الله، حوليات المؤرخ جحاف - السنوات الأولى من سيرة المهدي عبدالله، تحقيق ودراسة د. حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر - دمشق/ بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٦٩

يئس من القيام بهذه المهمة فرجح أن يكون في ترك ذلك خيرة[1]، ومن هنا فلعل العنزيين شعروا بخطورة وضعهم ما بعد الوباء فقرروا التواشج مع القبائل المحيطة وتحسين العلاقة معها، والتواصل مع أئمة اليمن خوفاً من إعادة ما كان قبل الوباء من حالة صدام، وما قد ينتج عنها لو تقدم أي أئمة اليمن قاصداً غزو بلاد عنز مع ما تعانيه من ضعف على أثر الوباء الذي أصابها، وربما كان العكس هو الذي حدث خاصةً وأن الوباء أصاب الجميع.

(١) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٩٨- ٩٩، ٢٠٠ - ٢٠٨

الخلاصــة

من خلال هذه النبذة عن تاريخ عنز بن وائل، فإننا أمام شعب كان له أثر كبير على تاريخ المنطقة، إذ شكّل محوراً لأحداثة السياسية على مدى التاريخ المدون منذ ما قبل البعثة النبوية إلى وقتنا الحاضر، حيث حافضت عنز بن وائل بشكل رئيسي وإلى جوارها بقية القبائل على استقلالية هذه المنطقة وأعطتها عنوانها وطابعها وتاريخها.

كما أن من أجمل معالم تاريخ هذا الشعب العظيم أن نجد ضمن المصادر التاريخية ما يدل على أنه كان عنواناً للوداعة المحمودة والشيم وحسن الخلق وايواء اللاجئ وإقراء الحاج وعابر السبيل وإجابة الملهوف والترفع عن الغلو في العصبية القبلية التي فرضت عليه بالقوة، إذ احتوت هذه القبيلة بطوناً من خولان بكل أريحية وتداخلت مع خثعم المجاورة، وتصاهرت مع القبائل المجاورة القريبة منها والبعيدة، في نفس الوقت الذي ارتبط تاريخ هذا الشعب بهذه المنطقة، وأخذ على عاتقه كتابة تاريخها بمداد من الأنفة والشموخ والقوة والاستقلالية، فقد وقف وجود عنز بن وائل عبر القرون سداً منيعاً أمام تفكير المجاورين في الاستيلاء على هذه المنطقة ومد نفوذ ممالكهم سواء من أئمة اليمن أو من حكام مكة المكرمة، فظلت هذه المنطقة وبلاد السراة كافة منذ القرن الهجري الخامس حرة طليقة منيعة يتمتع أهلها بحريتهم الكاملة، لا يجرؤ مجاوريهم على التفكير بغزو بلادهم، فلم يدينوا لأحد بولاية ولا بتبعية ماضيهم، وبالتالي مستقبلهم إلا بما يتبناه أبناؤها ذاتهم ويؤمنون به، ومن ثم كان للعقيدة السلفية أن تجد طريقها إلى هذه المنطقة في بداية القرن الثالث عشر بكل سهولة، فتكون رأس حربتها إلى باقي مناطق غرب الجزيرة العربية سواء في اليمن أو مكة أو المدينة أو سواها.

وعنز بن وائل لم تعد تعني فلانا أو فلاناً فنحن امام شعب امتد داخل المنطقة وتداخل مع كل اجزائها ومن ثم فمن المؤكد أنه سيظهر مع المزيد من فحوصات الدي إن إي وجود امتداد جيني، لهذا الشعب على امتداد جبال السروات وفي جميع قبائل المنطقة.

المبحث الثالث

أعلام عنز بن وائل

معوقات البحث

إن أول معضلة تواجهنا في البحث عن أعلام عنز بن وائل التشابه الكبير في لقب أبنائها مع لقب المنتسبين إلى عنزة بن أسد بن ربيعة، إذ يندر أن تجد الاهتمام بالتشكيل في مراحل الكتابة الأولى، بينما لا يمكن التفريق بينهما إلا بالتشكيل، حيث درج الرواة على تسكين النون للمنتسبين لعنز بن وائل وفتحها للمنتسبين لعنزة بن أسد، والمعضلة الثانية هي أن هنالك خلط وقع لدى الرواة في الانتماء لأي القبيلتين فجميع أعيان عنز وجدت من يتجه إلى فتح نون العنزي لهم بل والإشارة إلى أنها بالفتحة، ومن ينسب أيهم إلى عنزة ويظن أن هذا اسم عنز بن وائل فيقول بعضهم "عنزة بن وائل"، كما أن الجهل بقبيلة عنز بن وائل التي كانت تقطن جنوب مكة فأصبحت يمانية عند أهل الشام والعراق ومعدية شامية عند أهل اليمن كان من أهم أسباب هذا الخلط في أعلامها.

وقد قسمنا أعلام هذه القبيلة إلى ثلاثة أقسام فبدأنا بالصحابة ﷺ، ثم المحدثين والرواة والأعلام، ثم الشعراء، ثم الأعيان الذين عرفوا في بلاد عنز بن وائل.

أولاً: الصحابة من عنز بن وائل

كان هنالك عدد من الصحابة من عنز بن وائل بينهم من هو من السابقين الأولين، ومنهم من كان من الولاة، ومنهم من استوطن مكة والمدينة، ومنهم من وفد على النبي ﷺ وعاد إلى بلاده ومن هؤلاء:

١ـ عامر بن ربيعة العنزي[(١)] (ت ٣٣هـ):

هو الصحابي الجليل "عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مالك بن ربيعة بن حجر ابن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن

(١) ذكره ابن ماكولا في الإكمال من أعلام عنز بن وائل، ج٧/ ص٤٤

هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار" أبو عبد الله العنزي، ثم العدوي، حليف بني عدي بن كعب، قال الطبري في نسبه: "عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجر بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار"، وقال معمر بن المثنى: "عامر بن ربيعة العدوي حليف عمر بن الخطاب كان بدريا وهو من ولد عنز بن وائل أخي بكر بن وائل"، وورد عن الحسن الدارقطني قال: "وأما عنز فهو عنز بن وائل أخو بكر وتغلب من ولده عامر بن ربيعة العدوي"، قال ابن سعد: "كان حليفا للخطاب، قد تبناه ودعي إليه بعد موت أبيه، فكان يقال: عامر بن الخطاب، حتى نزل القرآن ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾. فرجع عامر إلى نسبه، وهو صحيح النسب في وائل"[1].

وهو من أكابر الصحابة، ومن السابقين إلى الإسلام، شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وكان من المهاجرين الأوائل إلى المدينة، ذكره الزركلي من الولاة[2]، روى عن النبي ﷺ إثنين وعشرين حديثاً، وروى عن أبي بكر وعمر، روى عنه ابنه عبد الله بن عامر، وعبد الله بن الزبير، وعيسى الحكمي، قال يزيد بن رومان: أسلم عامر بن ربيعة قديما قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وقبل أن يدعو فيها، وعن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال ما قدم أحد المدينة للهجرة قبلي إلا أبو سلمة بن عبد الأسد، قال وأنا محمد بن عمر نا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال ما قدمت ظعينة المدينة أول من ليلى بنت أبي حثمة (يعني زوجته)، قال ابن إسحاق أول من قدم المدينة مهاجرا أبو سلمة وبعده عامر بن ربيعة وقال محمد بن سعد: في الطبقة الأولى ممن شهد بدرا عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجر بن سلامان بن مالك

---

(١) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ص٣٨٧

(٢) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٣/ ص٢٥١

بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن ربيعة بن نزار، حليف للخطاب بن نفيل، ويكنى أبا عبد الله، أرسله الرسول ﷺ في عدد من السرايا، مات قبل قتل عثمان بأيام وقد كان لزم بيته فلم يشعر الناس إلا بجنازته قد أخرجت، وكان موته بالمدينة حين نشب الناس في أمر عثمان، وقال ابن مندة: "عامر بن ربيعة بن عنز وابن وائل وقيل ابن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجر بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط يكنى أبا عبد الله حليف ابن الخطاب أبو عمر العدوي هاجر الهجرتين وشهد بدرا توفي سنة ثنتين وثلاثين له صحبة ولأبيه رؤية، روى عنه عبد الله بن عمر وابنه عبد الله بن عامر"، دفع إليه عمر بن الخطاب اللواء لما سار للجابية السنة العاشرة، قال أبو حسان الزيادي، وفيها، يعني سنة ست عشرة - سار عمر بن الخطاب إلى الجابية، وعقد لواءه يوم الخميس، النصف من صفر، ورفعه إلى عامر بن ربيعة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان[1]. وقد ولاه عثمان المدينة عندما حج عام ٢٢هـ، وعن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبد الله بن عامر قال لما نشب الناس في الطعن على عثمان قام أبي يصلي من الليل وقال اللهم قني الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك قال فما أخرج إلا جنازة، قال مصعب بن عبد الله الزبيري أن عامر بن ربيعة البدري توفي سنة اثنتين وثلاثين، وروى ابن عساكر مسندا إلى خليفة قال: "ومات عامر بن ربيعة حين نشب الناس في أمر عثمان وكأنه يعني في سنة ثلاث وثلاثين"، وروى مسنداً إلى المدائني قال: "وفي سنة ثلاث وثلاثين توفي العباس بن عبد المطلب وعامر بن ربيعة"[2].

---

(١) المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج (ت ٧٤٢)، تهذيب الكمال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج١٤/ ص١٨

(٢) انظر:

- ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي، ، تاريخ دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥م، ج٢٥/ ص٣١٢ - ٣٢٩
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت، ج٣/ ص١٠٢٧

==

- من خلال ما تقدم نلاحظ الإجماع على نسب عامر بن ربيعة إلى عنز بن وائل وعلى انتماء عنز إلى ربيعة بن نزار، كما نلاحظ أن عمراً عندما سار إلى الجابية عقد لواءه، ورفعه إلى عامر بن ربيعة، كما يجدر ملاحظة أن عامر قد تولى على المدينة عندما حج عثمان رضي الله عنهما، وهذا شرف كبير ناله هذا الصحابي الجليل، وهو ما يدلنا على مكانة عامر بن ربيعة كأحد أكابر الصحابة، فقد كانت المدينة حينها عاصمة الخلافة الإسلامية، وكان بالمدينة جمع من أكابر بني هاشم وبني أمية وبقية قريش، ومن كبار الأنصار، ومع ذلك ولى عثمان عامراً، وهو ما يدلنا على مكانة الرجل وقومه في العرب، فلا شك أنه كان هنالك اعتباراً لمكانة الرجل الذي يولى على المسلمين (خياركم في الجاهلية: خياركم في الإسلام)، ومما يجدر ذكره هنا ما ذكره ابن منده من أن "أباه له رؤية"، وهو ما يدل على أن والده كان معروفاً لدى أهل مكة وأنه استوطن مكة (أو لعله كان استيطاناً طارئاً لسبب ما)، ومن ثم فإن عامراً قد حضر إلى مكة مع والده وتوفي والده في مكة في عهد النبي ﷺ.

٢ـ عبادة بن الأشيب العنزي[1] (صحابي):

وفد إلى النبي ﷺ وأسلم فأمَّره على قومه، ومما جاء عنه عند ابن حجر عن ابن منده ما ساقه من طريق مطرف بن جبير إلى عبادة بن الأشيب العنزي قال: خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، فكتب إلي كتاباً: من محمد نبي الله إلى عبادة بن أشيب إني أمرتك على قومك.. "[2]

وروى عنه ابن الأثير ما يلي: "عبادة - بضم العين وفتح الباء المخففة، وبعد الدال هاءٌ- هو عبادة بن الأشيب العنزي عداده في أهل فلسطين، روى عنه انه قال: خرجت الى

==

- السمعاني، أبي سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٤/ ص٢٥١

(١) ذكره ابن ماكولا في الإكمال من أعلام عنز بن وائل، ج٧/ ص٤٤

(٢) ابن حجر، أحمد علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ، ص٧٦٩، ترجمة (٤٥٦٥)

رسول الله ﷺ فاسلمت، وكتب لي كتاباً:" بسم الله الرحمن الرحيم، من نبي الله لعبادة بن الأشيب العنزي: إني أمّرتكعلى قومك، ممن جرى عليه عمالي وعمل بني أبيك، فمن قرئ عليه كتابي هذا فلم يطع فليسله من الله معونٌ" قال: فاتيت قومي، فاسلموا"[(١)]

- يخبرنا حديث عبادة عن إحدى روايات دخول الإسلام إلى بلاد عنز بن وائل، وهذه الرواية تدل على مكانة عبادة بن الأشيب، حيث تأمر على قومه من عنز، كما أنها تعطي إشارة قوية إلى انتمائه إلى بيت إمارة في بلاد عنز بن وائل، حيث ورد في الرسالة "مما جرى عليه عمالي وعمل بني أبيك"، أي أن الإمارة في حينه كانت لبيتهم، كما أن النص يحمل لنا دلالة على أن عبادة قد شارك في فتوحات بلاد الشام حيث استقر به المطاف في بلاد فلسطين، فعد من أهلها، مثلما استقر ببقية الصحابة الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية في مختلف الأمصار فعد كل منهم لدى الرواة في عداد بلد سكناه الأخير.

٣- عبد الله بن عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي (الأكبر):

صحابي، حليف بني عدي، شهد بدراً مع والده، استشهد في غزوة الطائف مع رسول الله ﷺ[(٢)] جاء عنه في كتاب أسد الغابة:

"عبد الله بن عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي حليف بني عدي بن كعب ثم حليف الخطاب منهم وهو من عنز بن وائل أخي بكر بن وائل القبيلة المشهورة من ربيعة بن نزار وقيل هو من مذحج من اليمن وهذا عبد الله هو الأكبر صحب هو وأبوه رسول الله ﷺ واستشهد يوم الطائف مع رسول الله ﷺ"[(٣)].

---

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري، أسد الغابة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٣/ ص١٥٦

(٢) الدمشقي، شمس الدين، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت-١٩٩٣م، ج٦/ ص٢٠٨

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٣/ ص٢٩١

٤ـ عبدالله بن عامر العنزي[١] ـ الأصغر ـ (ت ٨٣ هـ)،

حليف الخطاب والد عمر وهو أخو المقدم ذكره قبل هذه الترجمة وهذا هو الأصغر، وأمه أم أخيه المقدم ذكره ليلى بنت أبي حثمة بن عبد الله بن عويج بن عدي بن كعب، وأبوهما عامر بن ربيعة من أكابر الصحابة، روي له حديث عن الرسول ﷺ، وكان شاعراً، ومحدثاً[٢]

جاء عنه في في كتاب أسد الغابة ما يلي:

"عبد الله بن عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي حليف الخطاب والد عمرو هو أخو المقدم ذكره قبل هذه الترجمة، وهذا هو الأصغر في قول أبي عمر، يكنى أبا محمد، وهو عنزي بسكون النون من عنز بن وائل، وقيل هو مذحج من اليمن، وقال ابن منده وأبو نعيم عنزة حي من اليمن، ولد على عهد رسول الله ﷺ، قيل ولد سنة ست وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن أربع سنين، وقال أبو نعيم كان ابن خمس سنين، وأمه أم أخيه المقدم ذكره ليلى بنت أبي حثمة بن عبد الله بن عويج بن عدي بن كعب، وأبوهما عامر من أكابر الصحابة، وعبد الله بن عامر هذا هو القائل يرثي زيد ابن عمر بن الخطاب وكان قتل في حرب كانت بين عدي بن كعب جناها بنو أبي جهم بن حذيفة وابن مطيع:

إن عديــــا ليلة البقيع	تكشفوا عن رجل صريع..
مقابل في الحسب الرفيع	أدركه شؤم بني مطيـــع

وروى شعيب عن الزهري قال أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة وكان من أكبر بني عدي قال أبو عمر نسبه إلى حلفه وكذلك كانوا يفعلون أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة

---

(١) ذكره ابن ماكولا في الإكمال من أعلام عنز بن وائل، ج٧/ ص٤٤

(٢) انظر:

- العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار – مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية – بيروت، ج٣/ ص١٠٢٧
- الأنساب للسمعاني، ج٤/ ص٢٥٢

بإسناده عن عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي عن ... عن زياد مولى لعبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي عن عبد الله بن عامر قال أتانا النبي في بيتنا وأنا صبي فذهبت ألعب فقالت أمي تعال يا عبد الله أعطك فقال رسول الله ما أردت أن تعطيه قالت أردت أن أعطيه تمرا قال فقال رسول الله أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة وتوفي عبد الله بن عامر سنة خمس وثمانين"(١)

٥ـ سعد بن قيس العنزي، (صحابي):

وفد على النبي ﷺ، روى ابن حجر عن ابن منده بسنده أنه قدم على النبي ﷺ، فقال له: "ما اسمك؟" قال: سعد الخيل. قال: "بل أنت سعد الخير"، كما روى من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبدالله بن أبي سلمة أن النبي ﷺ بعث سعد بن مالك وسعد الخير إلى مكة، وروى له ابن قانع وابن منده من طريق الحسن بن فرقد عن الحسن عن سعد بن قيس عن النبي ﷺ قال: "قال الله يا ابن آدم صل أربع ركعات أول النهار أكفك آخره"(٢).

٦ـ ربيعة بن عامر العنزي

(صحابي) حدث عن النبي ﷺ حديثاً واحداً، قال ابن عساكر "ربيعة بن عامر العنزي من رهط عامر بن ربيعة العنزي"(٣).

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، المصدر السابق، ج٣/ ص٢٩١-٢٩٢

(٢) لم يرد تحديد جليّ لنسبه، إلا أن أحد المصادر أورده: "العنسي" وأكثرها على "العنزي"، ومنه نرجح انتمائه لعنز بن وائل، لتشابه النطق، وتكرار هذا الخطأ مع العنزيين، انظر: ابن حجر، أحمد علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ، ص٥٦١، ترجمة (٣٢٥٧)

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج١٨/ ص٦٨

٧- ربيعة بن عمرو الجرشي

ويقال له "ربيعة بن الغاز": أبو الغاز دمشقي، صحابي (مختلف في صحبته)، روى عن النبي ﷺ وعن سعد وأبي هريرة وعائشة ومعاوية ﷺ. وعنه ابنه الغاز وخالد بن معدان ويحيى بن ميمون الحضرمي وعلي بن رباح وغيرهم، ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى، كان فقيه الناس في زمن معاوية[١]، وهو جد هشام بن الغاز، والغاز من نزار[٢]، ونزار من بطون عنز بن وائل[٣]، كان يفقه الناس في زمن معاوية، توفي ربيعة عام ٦٤هـ في معركة مرج راهط[٤]، وكان يقاتل إلى جانب الزبيريين ضد جيش مروان بن الحكم[٥] الأموي، وقد خرج من عقبه عدد من كبار رجال العلم وأهل الحديث، على امتداد العصر الأموي والعباسي.

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب، مطبعة دار المعارف النظامية - الهند، ط١، ١٣٢٥هـ، ج٣/ ص٢٦١

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٩

(٣) ابن رسول، عمر (الأشرف) بن يوسف، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ك. و. سترستين، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ، ص١٢٠، ١٢١

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج١٩/ ص٧٩

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج٤٠/ ص٣٤٩ - ٣٥٠

ثانياً: المحدثون وأهل العلم والأعلام

رغم صعوبة البحث ومعوقاته كما أسلفنا، فقد أمكننا الوقوف على خبر عدد ممن نسبوا إلى عنز بن وائل، وممن عرفناهم حتى الآن من أعلامها ومحدثيها ورجال العلم ومن ترشح نجد التالي:

١- **أبو شاهر، محمد بن جابر بن وهب بن شاهر بن أمية العنزي**(١) **(محدث)**: روى عن مطرف بن أبي الجبير بن مصادف بن أمية العنزي عن جده المصادف عن عبادة بن الأشيب العنزي الذي وفد إلى رسول الله ﷺ(٢)، وقد عرف كأحد الرواة من عنز بن وائل بين المحدثين، إلا أن ابن قانع أورد لقبه مفتوح النون وذكر اسمه (العنزي بن بكر بن وائل)(٣)، وهذا خطأ، فهو عنزي من "عنز بن وائل".

٢- **المصادف بن أمية العنزي**(٤)، (محدث تابعي) من أهل فلسطين، روى عن عبادة بن الأشيب العنزي(٥)

٣- **مطرف بن أبي الجبير بن مصادف العنزي**: محدث من اهل فلسطين، روى عنه محمد بن شاهر العنزي(٦)

---

(١) ذكره ابن ماكولا في الإكمال من أعلام عنز بن وائل، ج٧/ ص٤٤

(٢) ابن ماكولا، إكمال الكمال، ج٥/ ص٣

(٣) معجم الصحابة، ابن قانع، أبي الحسين عبدالباقي بن قانع ٢٦٥ - ٣٥١هـ، ضبط وتعليق صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ب ت ن، ج٢/ ص١٩٣، رقم الحديث ٦٩٢

(٤) ذكره ابن ماكولا في الإكمال من أعلام عنز بن وائل، ج٧/ ص٤٤

(٥) ابن ماكولا، إكمال الكمال، ج٥/ ص٣

(٦) انظر:

- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت، ج٣/ ص١٠٢٨

==

٤- **إبراهيم بن عبدالملك الصدفي العنزي:** فقيه ومحدث، نزيل بطليموس في المائة الخامسة، ذكره ابن حجر في معرض ذكره لأعيان "عنز بن وائل"[(١)].

٥- **أبو الحسين خالد بن ذكوان العنزي:** تابعي[(٢)]، محدث، ذكره ابن حجر من جملة أعيان عنز بن وائل[(٣)].

٦- **عبد العزيز بن عبد الله العنزي،** محدث، تابعي، حجازي، وهو من أحفاد الصحابي الجليل المعروف "عامر بن ربيعة العنزي"[(٤)]

٧- **الحارث بن أسد المحاسبي العنزي[(٥)]:** فيلسوف صوفي، ولد بالبصرة ١٦٥هـ/

==

- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج٤/ ص٢٥٢

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت، ج٤٢/ ص٢٤٠

(٢) انظر:
- إبن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج١٠/ ص٨٦
- إبن الجوزي، مسند الإمام أحمد، مصدر سابق، ج٥/ ص١٦٢

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت، ج٤٢/ ص٢٤٠

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية- الهند، الناشر - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت، ج٤/ ص٣٣

(٥) وورد لقبه في كتاب طبقات الشافعية (العَنَزِي) مفتوحة النون، إلا أن المحقق يذكر في الحاشية أنه في الأصل "العزي"ولكنه صححه نقلاً عن طبقات الصوفية ٥٦، وعن اللباب٢/ ١٥٦، مما يعني أن الفتح لا أصل له في مخطوط الكتاب المحقق، وبتتبع مصادره فإنه لم يرد مفتوح النون في أيها، فقد ورد في كتاب الأربعين بدون تشكيل، وورد في طبقات الصوفية بدون تشكيل، كما لم يرد في "لباب الأنساب" لقبه ما بعد المحاسبي، فلم يرد لفظ "العنزي"، وقد رأيت أن لا أتجاهله هنا وقد تجاهله بنو عنزة، فالراجح عندي أنه من أعلام عنز بن وائل خاصةً وأن بني "عنزة" أكثر وضوحاً

==

٧٨١م، انتقل إلى بغداد أول شبابه، له طريقة في ربط الشرعية الصارمة بالتصوف لذا لم يقبل إرث والده الذي كان واقفياً (قدرياً)، طالب بمحاسبة النفس من الناحيتين الدينية والخلقية، وعمل داعياً إلى التوبة، وله العديد من الكتب يقول السبكي: "قال الخطيب له كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة. قلت كتبه كثيرة الفوائد جمة المنافع، وقال جمع من الصوفية: إنها تبلغ مائتي مصنف. ")، طبع من كتبه كتاب "التوهم" في توهم حال أهل الجنة والنار، وكتاب "الرعاية لحقوق الله والقيام بها" ويتكون من نصائح لأحد المتعلمين، ويربط الجدل بالرواية، يقول عنه "كارل بروكلمان"[(١)]: "ولكنه لا ريب أجمل كتاب إسلامي عن الحياة الباطنة"، وله أيضاً كتاب العقل، ورسالة المسترشدين، وغيرها، هَجَرَهُ الإمام أحمد بسبب كثرة كلامه عن حديث النفس وتجلياتها والوساوس مما لم يرد بها أثر، ورغم ذلك فإن له معه قصة شيقة رواها ابن كثير في أحداث سنة ٢٤١هـ، كما رواها ابن الجوزي بإسناد عن إسماعيل بن السراج قال: "قال لي أحمد بن حنبل يوماً: بلغني أن الحارث هذا - يعني المحاسبي - يكثر الكون عندك؛ فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه؟ فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبدالله، وسرني هذا الابتداء من أبي عبدالله، فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة، فقلت: وتسأل أصحابك أن يحضروا معك، فقال يا إسماعيل، فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت، ففعلت ما أمرني به، وانصرفت إلى أبي عبدالله وأخبرته، فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار، واجتهد في ورده إلى أن

==

في انتمائهم لعنزة من بني عنز بن وائل، وهو من عنز بن وائل في كل الحالات لدينا إذ الراجح لدينا أن "عنزة" من "عنز بن وائل"، ولبني "عنزة" حق ضمه في مدوناتهم أيضاً حتى يظهر ما يفرق في الأمر.

(١) نقلاً عن شبكة المعرفة الريفية

فرغ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا، ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها، وقعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل، وابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون كأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يحن، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبدالله، فوجدته، قد بكى حتى غشي عليه، فانصرفت إليهم، ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا، فقاموا، وتفرقوا، فصعدت إلى أبي عبدالله، وهو متغير الحال، فقلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبدالله؟ فقال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، وعلى ما وصفت من أحوالهم فلا أرى لك صحبتهم. ثم قام وخرج"(١)، توفي عام ٢٤٣هـ/ ٨٣٧م(٢).

---

(١) ابن الجوزي، الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (٥١٠-٥٩٧هـ)، مناقب الإمام أحمد، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الجيزة، تحقيق عبدالمحسن التركي، ط٢، ص٢٥٣-٢٥٤

(٢) انظر:

- المالبني، أبي سعد أحمد بن محمد بن أحمد، كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١٤٢، ترجمة رقم ١٥
- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ٧٢٧-٧٧١هـ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ب ر ط، ب ت ن، ج٢/ ص٢٧٦-٢٨٤
- السلمي، أبي عبدالرحمن محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٨-٦٣، ترجمة رقم ٦
- السمعاني، أبي سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٥/ ص٢٠٧

٨- **مالك بن زيد بن الحارث المالكي العسيري العنزي:** هو مالك بن زيد بن الحارث بن خديج بن إياس بن ذهل بن سعد بن غنم بن مالك بن عسير بن إراشة بن عنز بن وائل بن قاسط، ذكره ابن الكلبي في "أنساب معد واليمن" في وارد التعريف بالأعلام المنتسبين لعنز بن وائل، وذكر أنه كان حليف الأزد بمصر[1]، والحق أننا لا نعلم الكثير عن هذا الرجل حتى الآن، فذكر الكلبي له كعلم من أعلام عنز بن وائل، يدل على مكانة الرجل فقد تجاوز الكلبي الكثير من أعلام عنز من الصحابة ممن ذكرنا أعلاه إلى "عامر بن ربيعة" في كتاب "جمهرة النسب"، وإلى "مالك بن زيد" في كتاب "نسب معد واليمن الكبير"، مما يدل على شهرته ومكانته، ولكني لم أجد حتى الآن ما أضيفه إليه هنا.

٩- **هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشي الدمشقي:** الإمام المقرئ، المحدث، أبو العباس، وقيل أبو ربيعة، وقيل أبو عبدالله.

روى عن: أنس بن مالك وعن عطاء بن أبي رباح، وعمرو ابن شعيب، ومكحول، وعبادة بن نسي، والزهري، ونافع، وطائفة. وتلا على يحيى الذماري.

حدث عنه ابنه عبدالوهاب، وابن المبارك، ووكيع والوليدن وعيسى بن يونس، وشبابة، وإسحاق بن سليمان الرازي، وأبو المغيرة الخولاني، ويحيى ابن يمان، وعدة.

قال أحمد بن حنبل: صالح الحديث. وروى عباس بن يحيى: ليس به بأي. وقال محمد بن عبدالله بن عمار: شامي، ثقة، وقال خراش: كان من خيار الناس. وقال الفسوي: سألت دحيماً عنه فقال: ما احسن استقامته في الحديث.

قال أبو مسهر: كان هشام بن الغاز على بيت المال لأبي جعفر، يقال: مات في سنة

---

(١) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق/ د. ناجي الحسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩٥

ست وخمسين. وقال يحيى بن معين: مات سنة ثلاث وخمسين ومئة[1].

١٠- **بشر بن الغاز بن ربيعة الجرشي:** أخو هشام وربيعة قال عنه ابن عساكر: "حدث عن مولى له روى عنه أيوب بن سويد الرملي الحميري أبو مسعود في نسخة ما شافهني به أبو عبد الله الخلال أخبرنا أبو القاسم بن مندة أخبرنا أحمد بن عبد الله إجازة قال وأخبرنا أبو طاهر بن سلمة قراءة أخبرنا علي بن محمد قال أنبأنا محمد بن أبي حاتم قال بشر بن الغاز بن ربيعة أخو هشام بن الغاز روى عن مولى له كان مع يزيد بن الأسود في غزاة روى عنه أيوب بن سويد سمعت أبي يقول ذلك قال وسمعت دحيما يقول بشر بن الغاز وهشام بن الغاز وربيعة بن الغاز إخوة ثلاثة"[2].

١١- **الحارث بن عبد الرحمن بن الغاز بن الجرشي:** ويقال ابن عبد الرحمن بن عمرو بن ربيعةوفد على المنصور واستعطفه لأهل الشام بالغوطة وهو من وجوههم وفصحائهم وكان الحارث من سود قبل وصول مروان إلى مصر، روى ابن عساكر عن أبي الحسين الرازي مسنداً إلى عبد الأعلى بن مسهر أن الحارث بن عبد الرحمن الجرشي سود ومروان لمغنانا فإنهم كتبوا إليه بولايته دمشق فكان بداريا يأتيه ابن سراقة والأشراف يسلمون عليه قال وأقبل عبد الله بن علي حتى نزل دمشق قال وأخبرني محمود بن محمد بن الفرحان الرافعي نبأنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال قدم علي أبي جعفر المنصور بعد انهزام عبد الله بن علي وفد من أهل الشام فيهم الحارث بن عبد الرحمن بن ربيعة الجرشي فقام عدة منهم فتكلموا ثم قام الحارث بن عبدالرحمن فتكلم فقال يا أمير المؤمنين إنا لسنا وفد مباهاة ولكنا وفد توبة، وقد ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا، واستخفت حليمنا فنحن بما قدمنا معترفون وبما سلف منا معتذرون، فإن تعاقبنا فبما أجترمنا وإن تعف عنا فبفضلك علينا، فاصفح عنا إذا

---

(١) الذهبي، الغمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعلي أبو زيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٧/ ص٦٠

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠/ ص٢٤٩

ملكت، وامنن إذ قدرت، وأحسن إذ ظفرتن فطالما أحسنت. فقال المنصور خطيبكم الجرشي وأمر برد ضياعه إليه في الغوطة" وقيل: "قال أبو جعفر: قد فعلت قد فعلت قد فعلت ثلاثاً"، وقد غزا الحارث بن عبدالرحمن الجرشي الصائفة سنة خمس وثلاثين ومائة، وذكر الواقدي: أن المهدي استعمل ثمامة بن الوليد القيسي على الصائفة سنة إحدى وستين ومائة، فظفرت الروم فيها من المسلمين بما لم تظفر بمثله قبلها ولا بعدها فقال رجل من سلخ يكنى أبا الخرقاء في ثمامة:

أثمـــام لم تسمع صريخ جماعة	صرخوا بدعوة مجرح ملهوف
ينحـال يأسرهم وأنت بمسمع	منهم بدابق في ألوف ألـــوف
حيـران تضرب صدريك مهانة	وحماقة كالضارط المنـــزوف
فدع المعالي لست من أخلاسها	للحارث الجرشي أو معيوف[1]

١٢- **عبد الرحمن بن الغاز ابن ربيعة الجرشي:** محدث من أهل دمشق، حدث عن عمرو بن مرة الجهني، حدث عنه عبد الرحمن بن آدم الأودي ويقال الأزدي[2]

١٣- **محمد بن الليث بن القاسم أبو الحسن الموصلي المعروف بالعنزي المؤدب حدث بصيدا** سنة تسع وثمانين وثلاثمائة عن محمد بن عبد الله بن مضاء روى عنه أبو عبد الله الصوري وذكر أنه أول شيخ سمع منه[3]، والراجح أنه هو نفسه "محمد بن الليث" الجرشي (من ولد هشام بن الغاز) الذي عاش في نفس الفترة في نفس المدينة (صيدا) والذي أشار له المؤلف[4].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١١/ ص ٤٤٨-٤٥١

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٥/ ص٣١٠

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٥/ ص١٥٤

(٤) يلاحظ أن "محمد بن الليث بن القاسم"(المعروف بالعنزي) حدث بصيدا في نهاية القرن الرابع للهجرة (٣٨٩هـ)، وفي نفس الوقت فإن "محمد بن الليث الجرشي" (من ولد هشام بن الغاز) ==

١٤- **أيوب بن حسان أبو حسان الجُرشي:** من أهل دمشق روى عن موسى بن بشار والأوزاعي ويونس بن يزيد الأيلي وهشام بن الغاز وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر والوضين بن عطاء وعكرمة بن إبراهيم البصري والمثنى بن الصباح المنكوب عبد الرحمن بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الرحمن القرشي وعتبة بن أبي حكيم الهمداني وهشام بن عروة وأمية بن يزيد القرشي وثور بن يزيد وسليمان بن عبد الله بن فروخ الطائفي ويزيد بن أبي يزيد الرحبي ومحمد بن راشد ورأى عطاء الخراساني روى عنه هشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن ودحيم بن يحيى الحجزاوي.[1]

١٥- **عبد الصمد بن هشام بن الغاز الجرشي** حكى عن كتب أبيه روى عنه أبو سعد بشر بن إبراهيم بن بشير بن سعد القرشي[2]

١٦- **عبد الوهاب بن هشام بن الغاز الجرشي:** محدث، روى عن أبيه روى عنه ابنه محمد بن عبد الوهاب والوليد بن مزيد[3]

==

الذي قرأ على يده "عبدالوهاب الكلابي" المتوفي عام (٣٩٦هـ) كان صيداويا، وهو مجهول لدى المؤلف ابن عساكر، حيث استخدم في وصفه عبارة إذا كان أراده (يعني أبا الليث الجرشي)، ومما تقدم فإن تزامن مرحلة نشاط الشخصين في نفس المدينة (صيدا)، واتفاقهما في نوع النشاط العلمي (رواية الحديث)، وتماثل الاسم المركب لهما (محمد بن الليث) يقود إلى ترجيح أن هنالك ارتباك لدى الرواة في تعريف الشخص كما هو حادث في أسماء بعض الرواة، وأن محمد بن الليث الجرشي الصيداوي هو ذاته محمد بن الليث (المعروف بالعنزي) الذي حدث بصيدا في نفس المرحلة فاللقبان أيضاً (الجرشي، والعنزي) قابلان للصحة في حالة اطلاقهما معاً على نفس الشخص حيث جرش من بلاد عنز بن وائل منذ ما قبل الإسلام وما بعده، وربما كان "محمد بن الليث" المذكور ابناً "للقاسم بن محمد الجرشي" الوارد خبره لدى ابن عساكر، في نفس المصدر، ج٦١/ ص ٢٥٥.

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠/ ص٩٢، ٩٤

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٦/ ص٢٦٠

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧/ ص٣٥٠

١٧- **علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن السفر بن محمد بن سعيد بن ربيعة بن الغاز أبو القاسم الجرشي البزار**: محدث، قرأ على هارون الأخفش وروى عن بكار بن قتيبة وعثمان بن عبد الله بن أبي حميل وأحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن البرقي ووزيرة بن محمد ويزيد بن محمد بن عبد الصمد ومضر بن محمد وإسماعيل بن حمدويه البيكندي روى عنه تمام بن محمد وعبد الرحمن بن عمر بن نصر وأبو سهل المقرئ وكان يسكن بسوق الأحد، حدث عن بكار بن قتيبة البصري روى عنه تمام بن محمد الرازي، مات ابن السفر في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة. (١)

١٨- **علي بن عبد الله بن أحمد بن عبد الصمد بن هشام بن الغاز أبو الحسن الجرشي الصيداوي** حدث بصيدا عن العباس بن الوليد روى عنه أبو بكر بن المقرئ وأبو يعلى عبد الله بن محمد بن حمزة بن أبي كريمة. (٢)

١٩- **عمرو بن محمد بن عمرو بن ربيعة بن الغاز أبو حفص الجرشي**: روى عن الوليد بن مسلم ومحسن بن تميم روى عنه أبو الحسن أحمد بن نصر بن عساكر وأحمد بن المعلى وجماهر بن أحمد الزملكاني وأبو المطلع محمد بن عصمة السعدي وأبو بكر عبد الرحمن بن القاسم وأحمد بن أنس بن مالك(٣)

٢٠- **عباد بن شرحبيل بن الأشيم بن أمية العنزي(٤)، محدث.**

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤١/ ص٣٤٧-٣٤٨

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٢/ ص١١

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٦/ ص٣٢٥ - ٣٢٦

(٤) سماه المؤلف "العنزي" إلا أنه ذكر أنه من بكر بن وائل، كما انه روى عنه حديثاً غير حديث عبادة بن الأشيم (الأشيب)، مما يدل على أنه آخر، وعادة ما يخطئ بعض الرواة في عنز بن وائل فيقولون عنز بن بكر بن وائل، كما فعل ابن سعيد في "نشوة الطرب.. " وغيره. انظر: ابن قانع، معجم الصحابة، ج٢/ ص١٩٠، حديث٦٨٧

وهنالك عدد من المحدثين ممن يحملون لقب "العنزي" بدون تشكيل، أو بتباين التشكيل بين مصدر وآخر، بينما لم نجد عن أنسابهم ما ينتهي إليه الباحث، وهم كثر، نورد منهم على سبيل المثال التالي:

١- أبي جعفر محمد بن أحمد بن عطية العنزي(١)، **محدث**

٢- العلاء بن ميمون العنزي(٢)، **محدث**

٣- عبدالحميد بن صبيح العنزي(٣)، **محدث**

٤- شيبان بن حاتم العنزي(٤)، **محدث**

٥- مسعود بن واصل العنزي(٥)، **محدث**

٦- سرَّار بن عبيدة العنزي، **محدث**(٦)

---

(١) ورد في الأصل بدون تشكيل. انظر: جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي عمر حفص بن عمر الدوري (ت٢٤٦هـ)، تحقيق ودراسة حكمت بشيرياسين، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٦٦، رقم الحديث١٦

(٢) (ورد في المصدر بدون تشكيل)، اللالكائي، أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، رسالة دكتوراه لأحمد مسعود حمدان، جامعة أم القرى، ب د ن، ب ت ط، مج٣/ ج٦/ ص١٠٥٥، حديث رقم ١٩٦٢

(٣) (ورد في المصدر بدون تشكيل)، الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)، شرف أصحاب الحديث، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلى، كلية الإلهيات - جامعة أنقرة، ب د ن، ب ت ط، ص٤٥

(٤) الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد السامرائي، اعتلال القلوب، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مج١/ ج٤/ ص١٨٧

(٥) معجم ابن الأعرابي، ص٤٨٤، حديث رقم ٩٣٨

(٦) الدينوري، أبي بكر أحمد بن مروان(ت ٣٣٣هـ)، المجالسة وجواهر العلم، تخريج وتعليق مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية - البحرين، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م، ج٦/ ص٢٤٠، حديث رقم (٢٥٩٨)

٧- محمد بن عبد الرحمن العنزي: محدث[١].

والحقيقة أن من يحملون اسم "العنزي" من الرواة والمحدثين والقراء ورجال العلم والأعيان يعدون بالمئات، ولكن جلهم لم يحدد نسبه ألِى "عنز بن وائل"، أم إلى "عنزة بن أسد"، فأهملناهم لصعوبة التحديد، ناهيك عن أن ما ورد من تشكيل للقليل منهم لا يغني من يبحث عن حقيقة أنتماء أيهم، حيث الخطأ في هذا الشأن يكاد يكون شاملاً، لم يسلم منه معظم من يحملون اسم "العنزي"، مع العلم أن هنالك من الأسماء الجانبية لبعض المحدثين - الذين لم يرد لألقابهم تشكيل في المدونات المتاحة - كاللذين اعتمدنا في استحضاره على تشكيل موقع نداء الإيمان، حيث لاحظت وجود تمييز لديهم في فتح النون أو تسكينها يتوازى مع الوارد في المدونات.

وأتمنى أن نجد في المستقبل دراسة شاملة عن كل من ينتمون إلى القبيلتين بما فيهم تلك الأعداد الكثيرة التي لا يمكن تحديد انتمائها لأي الجهتين.

وربما لو اتجهت نتائج التحليل الجيني إلى إثبات حقيقة انتماء "عنزة بن أسد" إلى "عنز بن وائل" بشكل قطعي فلن نحتاج بعدها للتمييز، إذ سيكون لنا حينها أن ندون أعداداً كبيرة جداً من الأعلام ضمن قائمة أعلام "عنز بن وائل".

---

(١) البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين، فضائل الأوقات، مكتبة المنارة - مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ، ج١/ ص٣٤٥

ثالثاً : شعراء عنز بن وائل

عندما نبحث عن ما انتجته هذه القبيلة من الشعراء فإنه يواجهنا نفس العائق الذي يواجهنا في البحث عن تاريخها وتفاصيل أحداثها، التي رأينا مدى جسامتها، واستحقاقها أن تسطر في مجلدات عديدة وان يتفرغ لها من أهل الأخبار أمة يرصدون تفاصيل ما لم نتمكن من معرفة تفاصيله، فلم نقع على شيء من تفاصيل هذه الأحداث إلا نتفا تطفو على إثر المماحكات السياسية في بلاد اليمن، أو مع حاج يحدث أحد الاخباريين في مكة، وفي موازاة مثل هذه الأحداث والمعارك والمواجهات لا بد من وجود الشعراء، فقد نقل لنا الهمداني أخبار عدد من شعراء خصومهم وما قالوه في حروبهم مع عنز، ومثل هذا النشاط الأدبي الموازي لهذه المعارك عادة جرت عليها القبائل في الجزيرة العربية في تسجيل وقائعهم وتحفيز همم مقاتليهم والتفاخر بمنجزاتهم في هذه الحروب، إلا أننا لم نجد أثراً حتى الآن لما أنتجه الجانب العنزي في هذه الأحداث، قلت لا شك أنه كان للعصبية دورها في تجاهل ما أنتجه شعراء عنز خلال هذه الأحداث، وحصر مناطق تداوله، ويكفي أن نلاحظ أن ما بين أيدينا من انتاج كان إما عن طريق رجل من خارج المنطقة يبحث عن نوادر ما أنتجه شعراء الجزيرة العربية ليقيده مختصراً بقصيدة من هنا وأخرى من هناك، فوجد لنا قصيدة عسيرية غزلية، ولا نشك أن لشاعرها قصائد أخرى لم توثق في الوسط المحيط، فمن كتبوا قصائد في الغزل وهم يخوضون الحروب مع مجاوريهم، كتبوا لا شك قصائداً في المفاخرة والهجاء.

ويجب أن لا ننسى أيضاً أن قبيلة عنز بن وائل قبيلة متحضرة مستقرة، وهو ما يجعل شعراءها أقل انتشاراً من شعراء البادية الذين تطوف قصائدهم مع طوافهم بين البلاد بحثاً عن العشب والكلأ، والحال كذلك لكل القبائل التي استقرت منذ عهد مبكر، كقبيلة بني حنيفة وقبيلة ثقيف وقبائل الأزد وغيرها.

ولدينا الآن عدد من شعراء عنز بن وائل ممن وقعنا على خبر وجوده مع قليل جداً من محصوله الشعري، ومن هؤلاء:

١ـ رشيد بن رميض العنزي:

شاعر جاهلي، قيل من بكر، وقيل من عنزة بن أسد، وقيل من عنز بن وائل، يقول محمود شاكر: "رشيد بن رميض العنزي (بفتح العين، وسكون النون) من بني عنز بن وائل"[١].

شاعر جاهلي عاصر بداية الرسالة، ورغم وجود نصوص تنسبه إلى عنزة، إلا أن له قصائد حول مواجهة قومه مع بعض ملوك اليمن خلال مرحلة البعثة النبوية، وهو ما يعني استمرار ارتباط قومه بجهة الجنوب حينها، وهي مرحلة لاحقة لهجرة معظم ربيعة من المناطق المجاورة لليمن (في عسير ونجران) إلى جهات هجر، واليمامة، والعراق، حيث لم يبق جوار اليمن إلا عنز بن وائل، وبعض بكر بن وائل، وهو ما يبقي احتمالية انتمائه إلى عنز بن وائل التي نكتب عنها قائمة اعتماداً على رأي شاكر، مع أن للجاسر ملاحظات حول ذلك.

ومما جاء على لسانه في هذا الخصوص قوله:

"هذا زمان الشد فاشتدي زيم[٢]... " إلى آخر القصيدة التي أوردناها في هذا الكتاب[٣]

قال التبريزي قالها في غارة الحطم، وهو شريح بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد، أغار على اليمن، فقتل وليعة بن معد يكرب، أخا قيس، وسبى بنت قيس بن معد يكرب، أخت

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري المسمى "جامع البيان عن تأويل القرآن"، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج الأحاديث: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، ج٩/ ص٤٧٢

(٢) الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، شرح ديوان الحماسة "أبو تمام، عالم الكتب بيروت، ج١ / ص١٨٤ – ١٨٥

(٣) انظر: المبحث الأول: الفصل الثالث: "الأعراق، والفصاحة، بين المفاهيم الموروثة والكشوفات العلمية: ٤. "اللغة في عسير بين اليمانية والمعدية"

الأشعث ابن قيس، فبعث الأشعث يعرض عليه في فدائها، بكل قرن من قرونها (ظفائرها) مئة من الإبل. فلم يفعل الحطم، وماتت عنده عطشاً[١].

٢- أبو بكر بن حنظلة العنزي (بسكون النون):

شاعر أموي ذكره ابن المظفر في من ذكر في تصنيفه، ونقل عنه قوله:

مفيد مفيت ما تجيء دراهمي ... إذا جئن إلا عابرات سبيل[٢]

وقال المدائني، كان أبو بكر بن حنظلة العنزي منقطعاً إلى خالد بن يزيد فجفاه فقال:

بدا لي ما لم أخش منك ورابني ... صدود وطرف منك دوني خاشع

وما ذاك من شيء سوى أن ألسناً ... علي فرت ذنباً وهن سوابغ

أبا هاشم لا ضارع إن جفوتني ... ولا مستكين للذي انت صانع

ولكن إعراضاً جميلاً وعفة ... وبينا سليماً عنك والبين فاجع[٣]

٣- ثابت بن عبدالملك العريجي:

شاعر من بني مالك عسير من عنز بن وائل ورد له قصيدة غزلية نقلها شيخ من جرش للهجري (ت ٣٠٠هـ) فدونها في نوادره ومنها:

ألا أيها الريح التي نَسَمْت لنا ... من الأفِق الشامي فطَاب نَسيمُها

---

(١) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق على حواشيه / محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه / أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ب ت ن، ج٩ / ص ٤٧٢ - ٤٧٣

(٢) ابن الفضل، المظفر، نضرة الاغريض في نصرة القريض، تحقيق د. نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص٧٣-٧٤ (ورد اسمه في المصدر "العنزي" ساكن النون)

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق: د. سهيل زكار و: د. رياض زركلي، بإشراف دار البحوث والدراسات في دار الفكر العرب للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط١ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٥/ ص٣٩٠

فَقَد نَسَمتْ من نحو من بَـــاتَ حُبـــه ... يؤرّقني من مَضجعـــي فأَرومُهَـــا
لأَغـشِم هـــولَ الأرض بَيني وبَينَهـــا ... بلَيـلٍ وفي عَـرضِ السماء نُجومُهَـا
ألا أيها الـريح التـي نَـسَمْــت لنـا ... من الأفِـق الـشامي فطَاب نَـسيمُها
فَقَـد نَـسَمتْ مـن نحـو مـن بَـاتَ حُبـه ... يـؤرّقني مـن مَـضَجعي فأَرومُهَـــا
لأَغـشِم هــولَ الأرض بَيني وبَينَهـا ... بلَيـلٍ وفي عَـرضِ الـسماء نُجومُهَـا
فأَشـــفى قَلبْـي مـــن هَـــواهُ بلمّـةٍ ... فهـو هـوى نفسي ومـا إنَّ ألومُهـا
ســـبَتْني بَميَّـــالِ القُـــرُونِ كأنـــهُ ... عناقيـدُ حـالِيَّ تـروَّى كرومُهَـــا
إلى كفـــلٍ نـــابي المجَـسِّ وبَطْنُهَـــا ... كأعطافِ رَيطٍ حين تبدي عكومها
إلى قَـــدَمٍ مَخْــصُورة لاقبيحـــة ... ولمـــا يُــشنِّيها بُكـــوراً تُقومُهـــا
أَروجُ الـضُّحا رعبوبـةٌ عذبـةٌ الـشُعَا ... نَـشَتْ في غنـىً جَـمَّ ودامَ نعيمُهَـا
وإنِّي لمُسْتَـــسق لأرضِــت تحُلُّهـــا ... كُتيمَـةُ وَبْـلاً بعـد وَبْـلٍ جَميمُهَـا
تكُـــونُ نواشِــيه نَـــواغِش كُلهَـــا ... إلى عَبـــلٍ أهْــضَامُها فَحزُومُهَـــا
علـى عَـيْن أنْ أمـسَت كُتَيمَـةُ حَلَلَّـتْ ... (ألا)[1] فسَقى الرحمنُ أرضاً تقيمها
ألا ليـــتَ شِـعري إن أتاهَـــا مُخَـبِّرٌ ... ألا ثابـتُ جـاهٍ لـنفسٍ حَميمُهَـا
أمُسْبلَـــــةُ بالدمعِ منهـــا كَظَنَّنَـــا ... بها أو تُعزّى نفسَها وتَلومُهـــا"[2]

لقد قدم الهجري خدمة للأدب في الجزيرة العربية لا تجارى في تتبعه لنوادر القصائد من خلال لقائه بالحجاج والزوار القادمين من مختلف مناطق الجزيرة العربية، فتمكن من توثيق قصائد لها أهمية قصوى من حيث اللغة المستخدمة ومن حيث الطابع الأدبي والأهم

==

(١) وردت فراغ في الكتاب المصدر، والإضافة مقترحة من المحقق الشيخ حمد الجاسر في الهامش ليستقيم الوزن والمعنى

(٢) الهجري، أبوعلي هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، تحقيق حمد الجاسر، ب د ن، ط١، ١٤١٣هـ، القسم الثاني، ص٥٥٠

من ذلك الإنباء عن مواطن تداول الشعر في الجزيرة العربية، فلا شك أن كتاب الهجري لم يعط الأهمية التي يستحقها إلا من علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، ولا زال هذا الكتاب يستحق المزيد من تسليط الضوء على محتوياته، فبطيه النصوص الأكثر براءة فيما نقل من قصائد العرب خاصةً فيما انفرد بنقله من القصائد المحلية في الجزيرة العربية والتي تشي بأشياء كثيرة عن البيئة المحلية.

ولا شك لدينا أن هذا الشاعر (ثابت العريجي) له قصائد أخرى لم تر النور، وأن هنالك شعراء أخرين لم تر قصائدهم النور، فخروج هذه القصيدة لم يكن إلا مصادفة، ولا شك أن هذه الصدفة لم تتهيأ للكثير من الشعراء والكثير من القصائد الجميلة خاصة في مناطق العمق من الجزيرة العربية فماتت في مهدها.

٤ـ ذو الأصابع حبان بن عبدالله:

شاعر من عنز بن وائل ذكره الآمدي ضمن الشعراء الذين صنفهم، قال: " ومنهم ذو الأصابع وهو حبان بن عبدالله من ولد عنز بن وائل أخي بكر وتغلب ابني وائل"[١]، كما ذكره صاحب تاج العروس وسماه ذو الإصبع وقال عنه: "ذو الإصبع: (حبان بن عبدالله التغلبي الشاعر)، من ولد عنز بن وائل، أخي بكر وتغلب ابني وائل، وبه تعرف أن الصواب في نسبه "العنزي" بل قيل في هذا أيضاً: ذو الأصابع"[٢].

ولا شك أنه لم يصنف كشاعر لدى الآمدي ويذكره الزبيدي في معجمه كشاعر إلا لأن له قصائد عديدة، ولكني ولسوء الحظ لم أعثر على شيء من شعره حتى تاريخه.

---

(١) الآمدي، أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدي، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، صححه وعلق عليه الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٥٠/ ترجمة ٣٥٩

(٢) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٢١/ ص٣١٤

٥- عبدالله بن عامر العنزي:

هو الصحابي المعروف، فقد كان شاعراً، ومن شعره قوله يرثي زيد بن عمر بن الخطاب وكان قتل في حرب كانت بين عدي بن كعب جناها بنو أبي جهم بن حذيفة وابن مطيع:

إن عديا ليلـــة البـقيـــــع ... تكشفوا عن رجل صريـــــع
مقابل في الحســــب الرفيع ... ادركه شؤم بني مطيــــــع[١]

٦- مبذول العنزي:

ومما ورد عنه من الشعر قوله:

ومولى كضرس السوء يؤذيك مسه ... ولابد إن آذاك أنـــك فاقـره
دوي الجوف إن ينزع يسؤك مكانه ... وأن يبق تصبح كل يـوم تحاذره
يسر لك البغضاء وهو مجامــــل ... وما كل من يجني عليك تساوره
وما كل من مددت ثوبك فوقـــه ... لتستره مما جنى أنت ساتره[٢]

وليس هؤلاء فقط هم شعراء عنز بن وائل، فلدينا الكثير من الشعراء الذين عرفوا في قبائل عسير ورفيدة والشعف خلال مرحلة ما بعد القرن الهجري الحادي عشر، إلا أنهم لم يحملوا اسم عنز بن وائل، بل حملوا أسماء قبائلهم الفرعية مثل عسير، أو رفيدة، أو ما هو أدنى من العشائر والأسر، ومن ثم فلم ترتبط أسماؤهم بالقبيلة الأم عنز بن وائل، ومن أمثال هؤلاء: محمد المتحمي ومداوي المتحمي وجمعان الشواطي وغيرهم كثير، ناهيك عمن لم يرد لهم ذكر، لأسباب كثيرة، فماتوا ومات شعرهم وذكرهم معهم.

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، المصدر السابق، ج٣/ ص٢٩٢

(٢) لم يرد نسبه بشكل جلي، وقد ورد في أحد النسخ "الغنوي"، إلا أن المعتمد هو "العنزي"، انظر: ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس - وبكر عباس، دار صادر- بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٢/ ص٢٠٩

رابعاً : الأعيان في بلاد عنز بن وائل

هنا سنستعرض بعض من وردت أسماؤهم من أعيان عنز بن وائل في بلاد عنز، والبحث في هذا الجانب هو الأكثر صعوبة في دراسة تاريخ عنز بن وائل وأعلامها حيث أن البيئة المحيطة لم تعتني بتدوين تاريخ عنز ولا أعيانها، ويكفي أن نرى كيف أن الهمداني الذي مر بجوار ديار عنز بن وائل وكتب عنها الكثير، لم يذكر أي أعيانها، فعنز بن وائل عنده هي مجمل لا أعيان بها، بينما ذكر أعيان العواسج وخولان وسنحان وبني شهر وأسهب في امتداحهم، ورغم أهمية ما أورد من أخبار في معرفة تاريخ عنز بن وائل، إلا انه تحاشى أي ذكر إيجابي لهذه القبيلة، ومن ثم تفادى الإشارة إلى قياداتها في حروبها مع العواسج، وشعرائها، وأعيانها، والهمداني لا شك أنه أصبح نبراساً، في تعامل الجانب المحلي مع عنز، ولكننا لن نتوقف عند هذه المعضلة، فقد وصلنا من خلال البحث إلى بعض الأعيان، وممن وقعنا له على ذكر – حتى الآن – من أعيان عنز بن وائل في بلادهم التالي:

١ـ عبادة بن الأشيب العنزي:

عبادة هو صحابي وفد إلى النبي ﷺ[١] كما ورد معنا[٢]، كما أنه كان واحداً من أعيان عنز بن وائل وأحد قادتها، وولاتها، فقد كان ينتمي إلى أسرة لها سيادة في بلاد عنز بن وائل، كما يتضح من نص خطاب النبي ﷺ له، كما أن النبي ﷺ ولاه على عنز بن وائل وبعث معه رسالة إلى قومه يدعوهم للإسلام ويخبرهم بتأميره له، ومن ثم فلا شك بأن عبادة كان أحد القادة والأعيان في عنز بن وائل في بلادهم، قبل وبعد الإسلام، وقد انتقل عبادة بن الأشيب مع بعض عشيرته إلى فلسطين، بعد الفتوحات الإسلامية، ولعله قد أوكل إليه قيادة مقاتلي قومه من عنز بن وائل المشاركين في فتوحات الشام.

---

(١) ابن حجر، أحمد علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ، ص٧٦٩، ترجمة (٤٥٦٥)

(٢) إقرأ المزيد عنه في فقرة الصحابة من عنز بن وائل في فصل "أعلام عنز بن وائل" من هذا الكتاب.

٢ـ البذاخ العنزي:

وهو من جذيمة من قبيلة رفيدة بن عنز بن وائل، وقد ورد ذكره في القرن الخامس عندما انتقل أبناء العياني إلى ترج هرباً من الصليحي بعد تمكنه في اليمن، وذلك عندما خرجوا من بلاد عبيدة - من جنب - إلى بلاد عنز بن وائل، حيث اتجهوا إلى منزله فوراً، وقد كان دليلاً للحاج، وكان مفاتناً للعواسج بجرش، وقد اكرمهم الرجل وأجزل ثم أرفق معهم رجلاً رفيدياً من عنز، من صبيحة اليوم التالي، وهذا ما جاء عن ذلك في الرواية منذ خروجهم من عبيدة:

"ثم مضينا نحن وهم ونحن على أحزم أمورنا حتى انتهوا بنا إلى قرية من بلد عنز مما يليهم فلقينا أهل تلك القرية بالترحيب فقال لهم الشريف: ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابة لنا إلى إمامنا فصحبونا حتى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل، وهو دليل الحاج فرحب وأجمل وقرى وأجزل وعرفنا أنه مفاتن للعواسج بجرش.

وكانت كتب الصليحي قد تقدمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرة الصليحي بمساءتنا حراص، ونحن لهم خوف، وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً فأمرنا فكمنا في دربه صبيحة يومنا ذلك. فلما كان من الليل ركب معنا حتى استصحب لنا رجلاً رفيدياً من عنز فسار بنا الرجل من فوره..."[١]

ونلاحظ أن العياني قد طلب الوصول إليه فور وصوله بلاد عنز، وأطلق عليه إمامنا وهو ما يدلنا على مكانة الرجل، وما يحضى به من السؤدد والجاه والنفوذ، كما أن قوله بأنه كان "مفاتنا للعواسج" يعد مؤشراً ذا دلالة على أنه كان معنياً بالعداء مع العواسج بشكل شخصي، مما يعني أنه ذو مكانة تحمّله مسؤولية العداء مع الأعداء القبليين لعنز بن وائل بشكل مباشر، بالإضافة لإرساله بعض المرافقين مع الإمام بعد أن قام على إكرامه بالشكل اللائق، مما يؤكد أنه كان أحد القيادات في عنز بن وائل في حينه.

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الاميرين... ، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي - بيروت، ط١، عام ١٤١٣هـ، ص١٢٢، ١٢٣

٣- عرفطة بن الطحل:

ورد ذكره في كتاب "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، ومما جاء في خبره: أن وفوداً من جنب ثم وفوداً من خثعم وسنحان اتجهوا إلى صعدة فى نفس المرحلة، وكانوا يطلبون من الإمام أحمد بن سليمان أن يغزو عنز بن وائل لأن عرفطة بن الطحل من عنز بن وائل قد قطع طريق الحاج[1].

ومن خلال هذا اللجوء إلى الإمامة في اليمن وما قد يحمله ذلك من إمكانية حدوث حرب كبرى على قبيلة عنز بن وائل، وهو احتمال تم البت في الاستعداد للتنفيذ الفعلي له من قبل الإمام، ولم يعطله إلا تراجع القبائل اليمنية عن القيام معه لغزو عنز بن وائل، ومن خلال ما لوحظ في السرد من عدم اكتراث العنزيين بما كان يحاك في اليمن لعدة شهور، فإن كل ذلك يشير إلى أن عرفطة الطحل كان ذو نفوذ قوي في قبيلته، لذا فقد كان له أن يتصرف بما أغضب مجاوريه، واستثار إمام اليمن، دون أن تتوجه عنز إلى محاولة إيقاف التداعيات، أو التبرير للإمام، أو التبرؤ من عرفطة وصنيعه، ولعل محدودية نتيجة التداعيات التي ذكرنا للحالة تحمل الدلالة على أن الأمر لم يكن قطع طريق حسب المفهوم المعتاد، ولكنه لا شك يتعلق بالحجاج وطريقهم بطريقة أو أخرى، حيث ربطت جميع الوفود فعل عرفطة بالحجاج !، ومن ثم فالواضح لنا أن الأمر يتعلق بسوق الحجاج المعروف بـ(سوق العصبة)، وهو السوق الذي كان يقام سنوياً لمدة عشرة أيام قبل الحج وعشرة أيام بعده، ويشرف عليه رهط عرفطة وهم (آل الطحل) الواقعة قريتهم في بلاد بني مالك عسير، وقد ظل هذا السوق يقام سنوياً في مواعيده إلى نهاية العقد الثامن من القرن الرابع عشر للهجرة، كما أسلفنا، والسوق يقع أساساً إلى الغرب من طريق الحجاج الذي ذكره ابن خرداذبة (ت٢٨٠هـ)[2] ثم الهمداني (ت٣٣٨هـ)[1]، حيث لم يكن له ذكر في عهد ابن

---

(١) الثقفي، سليمان بن يحي، "سيرة الإمام أحمد بن سليمان"، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١-٢٠٠٢م، ص٩٨- ٩٩، ٢٠٨

(٢) ابن خرداذبة، عبيدالله بن عبدالله، المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨١م، ص١٣٤ - ١٣٥

خرداذبة ولا عهد الهمداني (توفيا حوالي منتصف القرن الرابع)، مما يدل على أنه استحدث بعد هذه المرحلة، وربما كانت حادثة إقامة السوق وتغيير مسار طريق الحجاج القديم إلى مسار يمر بموقع السوق بما لا يوافق مصالح القوى المجاورة هي محل النزاع في حينه.

ومن خلال اتجاه الاحداث كما أسلفنا يتضح لنا أن عرفطة بن الطحل ما كان إلا رجلاً وقوراً كريماً ذا اهتمام بشئون قومه العليا، وله من النفوذ والسؤدد والرضى والتأييد في قومه ما جعله يفرض طريقاً جديداً لحجاج اليمن يمر ببلاد الحجاز، فأصبح طريق الحجاج الذي كان يمر شرقاً عبر سروم الفيض (سروم راح)، وطريب، ويعرى، وجسداء، وبنات حرب، إلى بيشة، (وكلها من بلاد سنحان وجنب وخثعم) يمر بعد حادثة عرفطة ببلاد عنز بن وائل حيث رفيدة ثم ذهبان[٢] ثم يتوقف بجوار قريته (آل الطحل)[٣] ومنها يتجه مباشرة إلى بلاد بني القرن (بلقرن) ومنها عبر عدة بلدات حجازية إلى الطائف[٤]، واستمر على هذه الحالة بعده على مدى أكثر من تسعمائة سنة إلى أن فرضت طرق السيارات الحديثة نفسها على الطرق القديمة.

ومن ثم، فلا شك أن عرفطة بن الطحل كان ذا شان كبير في عنز بن وائل، وأنه كان

==

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر السابق، ص٣٠٢

(٢) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ب ر ط، ١٩٩٦م، القسم الثاني، ص٢٣٦-٢٣٨

(٣) انظر:

- آل حامد، عبدالرحمن، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، ب د ن، ص٨٥٨
- محمد صالح الثبيت، التلادة قرى وسكان، ب د ن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٥٥، ٥٦

(٤) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، نفس المرجع السابق، ص٢٣٨

يمثل إحدى القيادات المركزية الكبرى في عنز في حينه، ويستحق أن يخلد اسمه ضمن أعيان عنز بن وائل على مدى التاريخ.

وبعد كل ما ذكرنا نقر ونعترف بالتقصير، ونأمل من الله أن نتمكن من الوصول إلى ما هو أفضل مما قدمنا حول أخبار وأحداث عنز بن وائل لاحقاً.

كما نود التنويه إلى أن هنالك الكثير من الأخبار والأحداث الهامة التي جرت في بلاد عنز بن وائل في العصر الحديث منذ بداية القرن الثالث عشر للهجرة، ولعل أهمها تكوين الإمارة العسيرية والدخول إلى جانب الدولة السعودية في مناصرة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم تمدد هذه الإمارة على اجزاء واسعة من اليمن، ومن نجد، ومن الحجاز، ومن تهامة، وعشرات الحروب التي توالت خلال قرنين من قوات محمد علي باشا ومع الحكومة العثمانية ومع القوى المحيطة في الجزيرة العربية وخارجها.

كما أن هنالك الكثير من الأعيان في بلاد عنز بن وائل في العصر الحديث (منذ نهاية القرن الثاني عشر للهجرة) لم نتطرق لهم ضمن أعيان عنز بن وائل، إذ أن كل من عرف من أعيان القبائل الفرعية من عنز بن وائل مثل عسير، ورفيدة، والشعف، وكود، هو من أعيان عنز بن وائل وهم كثير جداً، فهنالك الأمراء، والقادة العسكريون، والعلماء، والشعراء، والكتاب المعاصرون، ورجال الأعمال، وكبار المسؤولين، ورجال العلم، والاكاديميين وغيرهم من الأعيان، إلا أننا معنيون هنا بكتابة تاريخ عنز بن وائل خلال التاريخ القديم فقط، للتعريف بتاريخ هذه القبيلة، وأهمية دورها ومحوريته في تاريخ المنطقة من باب محاولة الإنصاف فقط.

المراجع

الكتب

١- ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح

- مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه، ومحمد يحيى عزان، مركز التراث والبحوث اليمني

٢- ابن أبي طالب، علي رضي الله عنه

- نهج البلاغة، شرح الإمام الشيخ محمد عبده،مراجعة وتدقيق أحمد ابراهيم زهوة، دار الكتاب العربي - بيروت، ٢٠١٢م

٣- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م
- الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

٤- الأزدي، أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد

- الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط١ - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م

٥- ابن إسحاق، محمد بن اسحق بن يسار بن خيار المطلبي

- السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٤م

٦- الأشجعي، حمود مهلي، ومهارش العجرش، ومساعد عوض، عويد القوطي

- قبيلة الأشاجعة من عنزة الوائلية، تحقيق د. إسماعيل سلامات، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية ، ب د ن، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

٧- الأشعري، محمد بن أحمد

- **التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب**، تحقيق د. سعد عبدالمقصود ظلام، الناشر: نادي أبها الأدبي - أبها، ب ر ط، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

٨- الأصفهاني، أبو الفرج

- **الأغاني**، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، التزم طبع الكتاب الحاج محمد أفندي سامي المغربي، قرب على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية، بتصحيح الأستاذ الشيخ أحمد الشنقيطي
- **الأغاني**، تحقيق كل من: د. إحسان عباس ود. ابراهيم السعافين وأ. بكر عباس، دار صادر - بروت، ط٣، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج١

٩- الألمعي، ابراهيم طالع

- **من قيم الشعر الشعبي في عسير عبدالله بر عامر - ابر بدَّة - أنموذجاً**، منشورات دار الشريف للاعلام والنشر، ط١، ٢٠١١م

١٠- الآمدي، أبي القاسم الحسن بن بشر

- **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، صححه وعلق عليه د. ف. كرنكو، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م

١١- الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، والأسمري، خالد بن فايز

- **عسير حصن الجنوب الشامخ**، دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

١٢- بدوي، عبدالرحمن

- **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، دار العلم للملايين - بيروت، ط١ - ١٩٧٩م

١٣- البراقي، حسين بن أحمد بن اسماعيل بن زيني الحسيني النجفي

- **تاريخ الكوفة**، استدراك: محمد صادق آل بحر العلوم، تحقيق: ماجد أحمد العطية،

الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ

١٤- برو، توفيق

• تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر - بيروت/ دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

١٥- البشاري، أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي (٣٨٧هـ)

• أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م

١٦- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي

• رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه د. جرويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣١هـ

١٧- البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب

• الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م

١٨- البغدادي، محمد بن حبيب الهاشمي

• المحبر (رواية السكري)، اعتنى بتصحيحه د. إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة بيروت

١٩- البقالي، أحمد عبدالسلام

• مغامرات سفير عربي في اسكندنافيا منذ ألف عام، انطلاقاً من رسالة ابن فضلان لسامي دهان - وأكلة الأموات لمايكل كرايتن، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٢٠- البكري الأندلسي، أبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز

• معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ

٢١- البلاذري، الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

- فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق عليه، عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف - بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م
- أنساب الأشراف، تحقيق: د. سهيل زكار و: د. رياض زركلي، بإشراف دار البحوث والدراسات في دار الفكر العرب للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط١ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

٢٢- البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل

- اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

٢٣- البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين

- فضائل الأوقات، تحقيق عدنان عبدالرحمن مجيد القيسي، مكتبة المنارة - مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ

٢٤- الثبيت، محمد صالح

- التلادة قرى وسكان، ب د ن، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

٢٥- الثقفي، سليمان بن يحي

- سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق د. عبدالغني محمد عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - مصر، ط١-٢٠٠٢م

٢٦- الجاسر، حمد

- في سراة غامد وزهران "نصوص، مشاهدات، انطباعات"، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض، ط٢، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧

٢٧- جحاف، لطف الله

- حوليات المؤرخ جحاف - السنوات الاولى من سيرة المهدي عبدالله، تحقيق ودراسة د. حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر - دمشق/ بيروت، ط١، ١٩٩٨م

• درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور، تحقيق ابراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٢٨- ابن جني، أبي الفتح عثمان

• الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م

٢٩- ابن الجوزي، أبي الفرج عبدارحمن بن علي بن محمد،

• المنتظم في أخبار الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

• مناقب الإمام أحمد، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الجيزة، تحقيق عبدالمحسن التركي، ط٢

٣٠- الجوهري، إسماعيل بن حماد

• الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤،١٩٩٠م

٣١- آل حامد، عبدالرحمن بن عبدالله

• العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير دراسة وثائقية، نادي أبها الادبي، ١٤٢٦هـ

٣٢- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي

• الثقات

٣٣- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني

• الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية - بيروت، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ

• تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي المكتبة العلمية - بيروت

• لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات - بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

• المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق قاسم بن صالح القاسم، ، دار العاصمة + دار الغيث - الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

• تهذيب التهذيب، مطبعة دار المعارف النظامية - الهند، ط١، ١٣٢٥هـ

٣٤- ابن حزم، علي بن أحمد الاندلسي

• جمهرة أنساب العرب، ضبط ومراجعة عبدالمنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ

٣٥- حسين، طه

• في الشعر الجاهلي (الكتاب والقصة)، تقديم عبدالمنعم تليمة، رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠٠٧

٣٦- الحسيني، محمد بن محمد بن عبدالرزاق (المعروف بمرتضى الزبيدي)

• تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي، راجعه عبدالستار أحمد فراج، طبع بمطبعة حكومة الكويت بإشراف لجنة من وزارة الإعلام الكويتية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م

٣٧- الحفظي، محمد بن ابراهيم زين العابدين

• نفحات من عسير، نسقه وأخرجه للطبع عبدالرحمن بن ابراهيم زين العابدين الحفظي، ب د ن، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م

٣٨- الحكمي، نجم الدين المشهور بعمارة اليمني

• تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع

٣٩- الحمداني، طارق نافع، والربيعي، مي فاضل

• الخليج والجزيرة العربية في مجلة المقتطف المصرية، بيت الوراق للنشر - بغداد، ط١، ٢٠١٠م

٤٠- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي

• التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس - وبكر عباس، دار صادر - بيروت، ط١ - ١٩٩٦م

٤١- حمزة، فؤاد

- في بلاد عسير، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م
- قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

٤٢- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي

- معجم البلدان، دار صادر - بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

٤٣- ابن حنبل، الإمام أحمد

- مسند الإمام أحمد، جمعه وأشرف عليه، الدكتور أحمد معبد عبدالكريم، دار المنهاج، جمعية المكنز الاسلامي، مكنز الجزيرة للنشر والتوزيع - جدة، ١٤٢٩هـ

٤٤- الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد السامرائي

- اعتلال القلوب، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

٤٥- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله

- المسالك والممالك، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨١م

٤٦- الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)

- شرف أصحاب الحديث، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلى، كلية الإلهيات - جامعة أنقرة

٤٧- الخطيب التبريزي

- أبو زكريا يحيى بن علي ، شرح ديوان الحماسة "أبو تمام، عالم الكتب - بيروت

٤٨- ابن خلدون، عبدالرحمن

- تاريخ ابن خلدون المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، راجعه د. سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

٤٩- ابن دعثم، أبي فراس

• السيرة المنصورية الشريفة، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

٥٠- الدمشقي، أبو الفداء الحافظ بن كثير

• البداية والنهاية، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

٥١- الدمشقي، شمس الدين

• توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٣م

٥٢- ابن الدمينة، عبداللهبنالدمينةالأكلبي الخثعمي

• ديوان ابن الدمينة،تحقيق محمد الهاشمي البغدادي، ط١، ١٣٣٧هـ

٥٣- الدوري، أبي عمر حفص بن عمر (ت٢٤٦هـ)

• جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق ودراسة حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

٥٤- الدينوري، أبي حنيفة احمد بن داوود

• الأخبار الطوال، صححه وضبط ألفاظه وطبعه على نفقته: محمد سعيد الرافع، مطبعة السعادة بمصر، ط١، ١٣٣٠هـ

٥٥- الدينوري، أبي بكر أحمد بن مروان(ت ٣٣٣هـ)

• المجالسة وجواهر العلم، تخريج وتعليق مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الاسلامية - البحرين، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

٥٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

• تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

• سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعلي أبو زيد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م
• ميزان الاعتدال في نقد الرجال

٥٧- الرازي، عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي
• كتاب الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٥٣م

٥٨- راشد، الأمير آلاي أحمد
• الحملة العثمانية على عسير، قدم له وعلق عليه د. محمد آل زلفة، بلاد العرب للنشر والتوزيع – الرياض، ط١ ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

٥٩- الربعي، مفرحبن أحمد
• سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، تحقيق رضوان السيد، وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي – بيروت، ط١، عام ١٤١٣هـ

٦٠- ابن رسول، السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف
• طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه ك. و. سترستين (عضو المجمع العلمي العربي)، دار صادر – بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

٦١- رفيع، محمد عمر
• في ربوع عسير .. ذكريات وتاريخ، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م

٦٢- الزبيدي، عمرو بن معدي كرب
• شعر عمرو بن معدي كرب، جمعه ونقحه مطاع الطرابيشي، من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٦٣- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني
• تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

٦٤- الزركلي، خير الدين
- الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م

٦٥- الزهري، محمد بن سعد بن منيع
- كتاب الطبقات الكبير، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

٦٦- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ٧٢٧-٧٧١هـ
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ب ر ط، ب ت ن

٦٧- إبن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى - عمان، ب ت ن

٦٨- ابن سلام الجمحي، أبو عبدالله البصري محمد بن سلام
- طبقات الشعراء، تمهيد الناشر جوزف هل، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ب ت ن

٦٩- السلمي، العباس بن مرداس
- ديوان العباس بن مرداس، تحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م

٧٠- السلمي، أبي عبدالرحمن محمد بن الحسين
- طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

٧١- سمسم، عبدالمعطي محمد عبدالمعطي
- العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م

٧٢- السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي
• الأنساب ، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي ، دار الجنان - بيروت، ط١- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٧٣- السهيلي، عبدالرحمن
• الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق وشرح عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، ط١ - ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

٧٤- الشافعي، الإمام الحافظ نور الدين علي بن سليمان ابن أبي بكر الهيثمي
• بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق دكتور حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م

٧٥- شاكر، محمود
• شبه جزيرة العربـ نجد، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م

٧٦- شبّر، جواد
• أدب الطف .. أو شعراء الحسين، دار المرتضى - بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م

٧٧- شفيق باشا، سليمان
• مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، النادي الأدبي بأبها، ط١ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م

٧٨- شنبل، أحمد عبدالله (ت ٩٢٠هـ)
• تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية، ط٢

٧٩- آل شوية، أحمد بن مسعود بن سعيد
• درر العقود الفريدة في تاريخ جنب وعبيدة، ب د ن، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م

٨٠- ابن صاعد التغلبي، صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد
• طبقات الامم، نشره وذيله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس لويس شيخو

اليسوعي، المكتبة الكاثيولوكية للآباء اليسوعيين - بيروت، ١٩١٢م

٨١- صليبا، ثافيلوس جورج (مطران جبل لبنان)

• معلم اللغة السريانية ، ب د ن، ط٢، ٢٠٠٧م

٨٢- الصليبي، كمال

• التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت، ط٦، ١٩٩٧م

٨٣- ضيف، شوقي

• تاريخ الادب العربي - ١ العصر الجاهلي، دار المعارف - القاهرة، ط٢٢، ب ت ن

٨٤- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب

• المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط٢

٨٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ)

• تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

• جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق على حواشيه / محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه / أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ب ت ن

• ضعيف تاريخ الطبري - السيرة النبوية، حققه محمد بن طاهر البرزنجي، أشرف عليه وراجع التحقيق محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ٢٠٠٧م

٨٦- ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي

• الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل - بيروت، ط١ ـ١٤١٢هـ

• القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، يليه في نفس الكتاب - الإنباه على قبائل الرواة (ترقيم موحد)، مكتبة القدسي، - القاهرة، ١٣٥٠هـ

٨٧- **العتيبي، محمد بن سلطان**

- **التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ**، من منشورات وزارة التربية والتعليم السعودية - وكالة الآثار والمتاحف، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

٨٨- **العزي، عبدالمنعم صالح العلي**

- **دفاع عن أبي هريرة**، دار القلم - بيروت، مكتبة النهضة - بيروت / بغداد، ط٢، ١٩٨١م

٨٩- **آل عساف، محمد**

- **موقع الجهوة**، مكتبة الحكمي - الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ

٩٠- **ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي**

- **تاريخ دمشق**، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥م

٩١- **العصفري، خليفة بن خياط**

- **تاريخ خليفة بن خياط**، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه د. مصطفى نجيب فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

٩٢- **علي، جواد**

- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، نشر بمساعدة جامعة بغداد، ط٢ - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م

٩٣- **العنزي، عبدالله بن دهيمش بن عبار،**

- **أصدق الدلائل في أنساب بني وائل**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٨، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

٩٤- **عيتاني، حسام**

- **الفتوحات العربية في روايات المغلوبين**، دار الساقي - بيروت، ط٢، ٢٠١٤م

٩٥- **آل فايع، أحمد يحيى**

• دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

٩٦- الفريح، عبدالرحمن

• بنو بكر بن وائل منذ ظهور الاسلام حتى بداية العصر الأموي، تقديم ومراجعة أبي عبدالرحمن بن عقيل، دار ابن حزم للنشر والتوزيع - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ

٩٧- ابن الفضل، المظفر

• نضرة الاغريض في نصرة القريض، تحقيق د. نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

٩٨- بافقيه، محمد عبدالقادر، ك روبان

• من نقوش محرم بلقيس، ريدان - حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، عدد١

٩٩- الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب

• القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت

١٠٠- ابن القاسم، يحيى بن الحسين،

• غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعد عبدالفتاح عاشور مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

١٠١- ابن قانع، أبي الحسين عبدالباقي بن قانع

• معجم الصحابة، ضبط وتعليق صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ب ت ن

١٠٢- ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم

• المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة، ط٤، (بدون تاريخ نشر)

١٠٣- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت

١٠٤- القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد

- صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية، ب ر ط، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م

١٠٥- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير

- البداية والنهاية، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

١٠٦- كحالة، عمر رضا

- معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين - بيروت، ط٢، ١٣٨٨ هـ١٩٦٨ م،

١٠٧- الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب

- جمهرة النسب، (رواية السكري عن ابن حبيب)، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١ ـ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
- أنساب معد واليمن الكبير، تحقيق د. ناجي الحسن، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- افتراق ولد معد، جمع وتحقيق احمد محمد عبيد، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٠م

١٠٨- الكناني، محمد بن أحمد بن جبير

- رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، بدون تاريخ

١٠٩- اللالكائي، أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، رسالة دكتوراه لأحمد مسعود حمدان، جامعة أم القرى

١١٠- ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ

١١١- المالِيني، أبي سعد أحمد بن محمد بن أحمد

• كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

١١٢- مؤلف مجهول

• حوليات يمانية، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م

١١٣- المؤيدي، محمد عبدالله (أبو علامة)

• التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء

١١٤- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني

• صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ب ر ط، ١٩٩٦م

١١٥- المرقش الأكبر والمرقش الأصغر

• ديوان المرقشين الأكبر والأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر - بيروت، ١٩٩٨م

١١٦- مروة، حسين

• النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي ت بيروت، ١٩٧٨م

١١٧- المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج (ت ٧٤٢)

• تهذيب الكمال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

١١٨- مطوان، أحمد

• جرش - دراسة في المكان والسكان، ب د ن، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

١١٩- ابن مقبل

• ديوان ابن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي - بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م

١٢٠- مهران، محمد بيومي

• دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط ٢٠٠٥،٢م

١٢١- النعمي، هاشم

• تاريخ عسير بين الحاضر والماضي، طبعة المئوية، ١٤١٩هـ

١٢٢- النويري، شهاب الدين بن أحمد

• نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق كل من الأستاذ عبدالمجيد ترحيني والأستاذ عماد علي حمزة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٤هـ

١٢٣- الهجري، أبو علي هارون بن زكريا

• التعليقات والنوادر، تحقيق حمد الجاسر، ب د ن، ط١، ١٤١٣هـ

١٢٤- ابن هشام

• السيرة النبوية، تحقيق وضبط وفهرسة مصطفى السقا، وابراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي

١٢٥- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب

• الإكليل من أنساب اليمن وأخبار حمير ، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨م

• صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

١٢٦- اليامي، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد

• السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث، مركز تحقيقات كامبيوتر علوم إسلامي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م

١٢٧- ابن يعقوب، الحسين بن أحمد

• سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

الدوريات والصحف والمنشورات

١- الجاسر، حمد، مجلة العرب، س٢٤

٢- فياض، نبيل، بحث مترجم عن الموسوعة اليهودية، عن نص حصل عليه الباحث من جامعة لايبتسغ الألمانية، إنظر موقع نبيل فياض على الشبكة

٣- شبكة المعرفة الريفية

٤- القرآن الكريم، سورة نوح

٥- محمد بن أحمد معبر، بحث بعنوان: "قراءة نقدية تصويبية في كتاب: إقليم عسير في الجاهلية والإسلام. لعمر بن غرامة العمروي"، في كتاب "القول المكتوب في تاريخ الجنوب - الجزء الثامن" لغيثان بن جريس، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٢٩٥_٣٣٣

٦- مشروع فيكتار

https://www.familytreedna.com/public/J-M267/default.aspx?section=ycolorized

٧- مشجرة فيكتار http://genogenea.com/J-M267/tree

8- **Distribution of European Y-chromosome DNA (Y-DNA) haplogroups by country in percentage**

9- http://www.eupedia.com/europe/european_y-dna_haplogroups.shtml

10- upediaJ1
http://www.eupedia.com/europe/Haplogroup_J_mtDNA.shtml

11- **International Society of Genetic Genealogy Wiki**
http://isogg.org/wiki/Y-DNA_haplogroup_projects



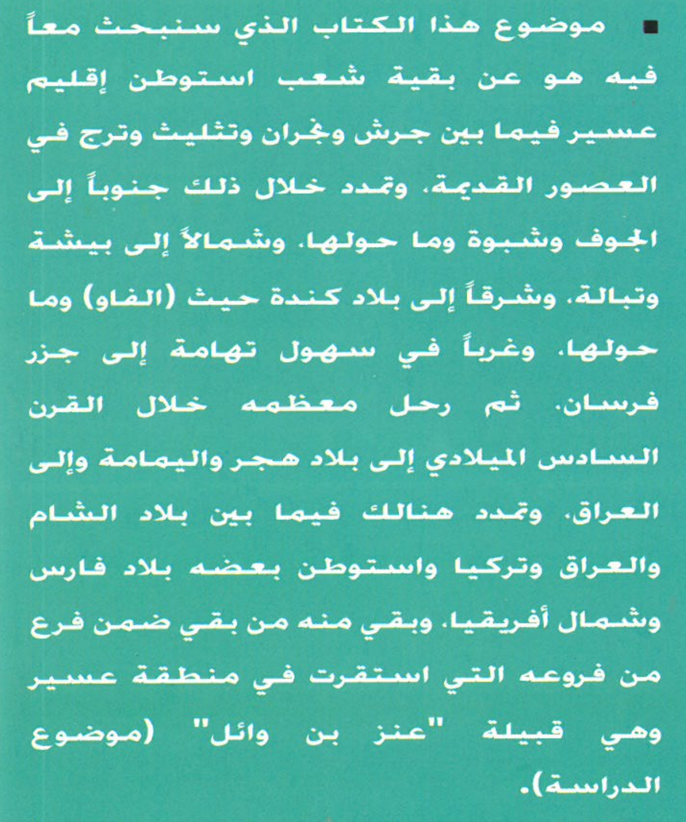
منصور احمد الثبيت العسيري

- ينتمي الكاتب إلى إحدى الأسر المعروفة في منطقة عسير والتي تقيم حوالي مدينة أبها.
- أتم مراحل دراسته ما دون الجامعية في مدينة الخرج ثم دراسته الجامعية بكلية الزراعة بجامعة الملك سعود بالرياض عام ١٩٨٥م. ثم في جامعة ولاية أريزونا بالولايات المتحدة عام ١٩٨٩م.
- يعمل بصندوق التنمية الزراعية .وقدم عددا من الدراسات عن النشاط التعاوني في المجتمعات الزراعية الريفية بمنطقة مكة المكرمة.و عضو في اللجنة الفنية لمعالجة مياه السيول والأمطار بمحافظة جدة.
- أحد أدواته فى البحث التاريخى والتى تميزه عن الكثير من المؤرخين الاكاديميين هى المعرفة العميقة للتاريخ الشفهى المتوارث لمنطقة عسير. كما تنقل بين البلدان لزيارة دور الوثائق والمكتبات بها للاطلاع على الوثائق التاريخية ، و أتاح له تطوافه بحكم عمله بين مناطق المملكة المختلفة و دول الخليج العربي واليمن اطلاعاً مباشرا على جغرافيا وتاريخ الجزيرة العربية فأفرزت تلك المعارف المتنوعة أطروحات تاريخية جديدة .
- صدر له كتاب "عسير والتاريخ وانحراف المسار" عام ٢٠١٢م

دار الطنائي للنشر

قبيلة عنز بن وائل

جذور وحضور



- موضوع هذا الكتاب الذي سنبحث معاً فيه هو عن بقية شعب استوطن إقليم عسير فيما بين جرش ونجران وتثليث وترج في العصور القديمة. وتمدد خلال ذلك جنوباً إلى الجوف وشبوة وما حولها. وشمالاً إلى بيشة وتبالة. وشرقاً إلى بلاد كندة حيث (الفاو) وما حولها. وغرباً في سهول تهامة إلى جزر فرسان. ثم رحل معظمه خلال القرن السادس الميلادي إلى بلاد هجر واليمامة وإلى العراق. وتمدد هنالك فيما بين بلاد الشام والعراق وتركيا واستوطن بعضه بلاد فارس وشمال أفريقيا. وبقي منه من بقي ضمن فرع من فروعه التي استقرت في منطقة عسير وهي قبيلة "عنز بن وائل" (موضوع الدراسة).

وقد اخترت دراسة تاريخ هذه القبيلة نظراً للفقر الكبير في دراستها. فلم يكن هنالك إلا إشارات متفرقة بعضها ذات اتجاه سلبي. فلا زال هنالك جهل كبير بهذه القبيلة وشك يخامر الكثير من أبناء عسير في صلتها بهم وببلادهم.

المؤلف